

مجلة مجمع المصنفين

السنه ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في اشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤١ م

الحرم وصفر سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق

العودة

تعود مجلة المجمع العلمي العربي إلى الظهور بعد احتجائها بضع سنين كان السبب الأول فيه نقص مواردها . ويسرتها اليوم أن ترجع إلى اتصالها بقراءها على ما كانت خلال الخمس عشرة سنة التي طالعتهم فيها بأبحاثها .

يعود المجمع العلمي العربي إلى مزاولة أعماله وسط زعازع هذه الحرب الناشئة ، وكله أمل أن 'يظل' السلام العالم فيتمصل بأعضائه في الغرب والشرق ، ويعود الذين حيل بيننا وبينهم الآن إلى افادتنا من دراساتهم .

يحتاج العلم إلى الهدوء والاستقرار فإذا متع حقدته بذرونها وجب عليهم ألا يتوقفوا عن بذل الجهد فيما تمحضوا له . ألسنا قد قرأنا في صحف الأقدمين أن بعض المؤلفين من أجدادنا كانوا يصنفون كتبهم والعدو يحاصر مدينتهم ، وبعضهم أنجز تأليفه والعرادات والديابات تتعاور ضرب أسوار قلعتهم ، ما ثنام حول الوغى عن نفع قومهم بشمرات عقولهم ، ووجدوا في العمل سلوى ، وفي بث الفكر واجباً يوفونه . والاضطرابات كالمصائب طبيعية الحدوث في هذا العالم ، وما عهد أن صفت الدنيا لأبنائها صفاء تاماً

ولقد اطرود صدور مجلتنا هذه خلال ثورة سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ والأخطار منا قاب قوسين أو أدنى فوجب رصيفنا العلامة ماكدونالد الأيركي لثباتنا في تلك الفتنة وقال إننا أحيينا سنة الجمعية الآسيوية الباريزية يوم كانت نشابر على إصدار مجلتها وباريز محصورة .

احتل المجمع العلمي منذ نشأته ألوان المشبطات ، ولقي أيضاً شيئاً كثيراً من المشبطات . فما وهى في الأولى ولا زها في الثانية . ويغتبط اليوم أن يرجع إلى ربط ما انقطع من سند أجاديته بفضل من مهدوا له السبيل لإتمام مقاصده ، شاكرآ لم مناصرهم . والحق إذا خذله أعداؤه لا يعدم من أوليائه تأييداً ، والله الملمهم والمسد .

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي	دمشق	٢٦	الفيكونت فيليب دي طرازي	بيروت
٢	الدكتور أسعد الحكيم	«	٢٧	الشيخ مصطفى الغلاييني	«
٣	الشيخ محمد بهجة البيطار	«	٢٨	الدكتور نقولا فياض	«
٤	السيد خليل مردم بك	«	٢٩	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٥	« رشيد بقدونس	«	٣٠	الشيخ أحمد رضا	النبطية
٦	« سليم الجندي	«	٣١	الشيخ سليمان ظاهر	«
٧	« شفيق جيري	«	٣٢	« سليمان أحمد	اللاذقية
٨	« عارف الكندي	«	٣٣	السيد ادوارد سرقس	«
٩	الشيخ عبدالقادر المبارك	«	٣٤	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
١٠	« عبدالقادر المغربي	«	٣٥	السيد اساف النشاشيبي	القدس
١١	السيد عز الدين التوخي	«	٣٦	« عبدالله مخلص	«
١٢	« فارس الحوري	«	٣٧	الشيخ رضا الشيباني	بغداد
١٣	الدكتور مرشد خاطر	«	٣٨	الأب انتاس الكرملي	«
١٤	السيد معروف الأرفاوط	«	٣٩	السيد كاظم الدجيلي	«
١٥	الأمير مصطفى الشهابي	«	٤٠	« معروف الرصافي	«
١٦	الشيخ بدر الدين النمساني	حلب	٤١	« طه الراوي	«
١٧	« راغب الطباخ	«	٤٢	الشيخ مصطفى باشا عبد الرازق	مصر
١٨	« عبد الحميد الجباري	«	٤٣	« عبد العزيز البشري	«
١٩	« عبد الحميد الكيالي	«	٤٤	السيد خليل ثابت	«
٢٠	السيد سوريوس انرام	حمص	٤٥	أحمد بك أمين	«
٢١	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت	٤٦	السيد أحمد حسن الزيات	«
٢٢	فؤاد باشا الخطيب	«	٤٧	« محمد لطفي جمعة	«
٢٣	السيد بولس الحولي	«	٤٨	الدكتور أحمد عيسى بك	«
٢٤	الشيخ عبدالرحمن سلام	«	٤٩	أحمد لطفي السيد باشا	«
٢٥	السيد عمر الفخوري	«	٥٠	السيد خير الدين الزركلي	«

أعضاء المجمع العلمي العربي

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
٥١	الدكتور أمين باشا الطوف	مصر	٧٠	السيد هيس	سويسرا
٥٢	السيد خليل مطران	"	٧١	« هوتما	هولاندة
٥٣	« عباس محمود العقاد	"	٧٢	« أراندونك	"
٥٤	الشيخ محمد الخضر حسين	"	٧٣	« كريشكو	أوكرا
٥٥	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس	٧٤	« بروكلمن	ألمانيا
٥٦	الشيخ عبد الحمي الككتاني	فاس	٧٥	« هارتان	"
٥٧	الأمير شكيب أرسلان	لوزان	٧٦	« ميتوخ	"
٥٨	السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	الهند	٧٧	« سترتين	السويد
٥٩	الشيخ أبو عبدالله الزنجاني	إيران	٧٨	« أوستروب	الدانمارك
٦٠	السيد عباس اقبال	"	٧٩	« موجيك	فينا
٦١	« ماريه	تونس	٨٠	« ماهر	بودابست
٦٢	« مامه	الجزائر	٨١	« كوفالكي	بولونيا
٦٣	« كي	فاس	٨٢	« كراتشكوفكي	ليننراد
٦٤	« دوسو	باريز	٨٣	« وزل	براغ
٦٥	« ماسينيون	"	٨٤	« ماكدونالد	أميركا
٦٦	« بونا	"	٨٥	« هرزفلد	"
٦٧	« كولان	رباط (سراكنس)	٨٦	« كريكو	فنلاندا
٦٨	« آين بلايوس	مغريط (أبانيا)	٨٧	« فيليب حتي	أميركا
٦٩	« لوبس	لشبونة (البرتغال)			

الأعضاء الراحلون

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	٨	السيد سليم عنحوري	دمشق
٢	« مسعود الكواكبي	«	٩	« عبد الله رعد	"
٣	السيد مالحجو	«	١٠	السيد أمين الريحاني	بيروت
٤	الشيخ سليم البخاري	«	١١	السيد حسن يهم	«
٥	السيد الياس قدسي	«	١٢	الأب لويس شيخو	«
٦	« أنيس ملوم	«	١٣	الشيخ عبدالله البستاني	«
٧	« جميل العظم	«	١٤	السيد جبر صرمط	«

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

٦

عدد	الاسم	محل الإقامة	عدد	الاسم	محل الإقامة
١٥	السيد عبد الباسط فتح الله	بيروت	٣٩	السيد اوجينيو غريفي	مصر
١٦	السيد جرجي بني	طرابلس الشام	٤٠	رفيق العظم	«
١٧	الدكتور صالح قنار	حماة	٤١	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
١٨	الاب جرجس نلحت	حلب	٤٢	السيد رينه باسه	«
١٩	السيد جرجس منش	«	٤٣	السيد ميشو بلاير	طنجة
٢٠	السيد فطاحي حمصي	«	٤٤	السيد زكي مفايز	الاستانة
٢١	الشيخ كامل الغزي	«	٤٥	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٢٢	السيد ميخائيل الصقال	«	٤٦	السيد فران	باريز
٢٣	الشيخ خليل الخالدي	القدس	٤٧	كليمان هوار	«
٢٤	السيد نخلة زريق	«	٤٨	السيد جويدي	ايطاليا
٢٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم	٤٩	السيد نلينو	«
٢٦	الشيخ جيل صدقي الزهاوي	بغداد	٥٠	السيد هومل	المانيا
٢٧	الشيخ محمود شكري الآلوسي	«	٥١	السيد ساخاو	«
٢٨	الشيخ احمد الاسكندري	مصر	٥٢	السيد هوروفيتز	«
٢٩	احمد زكي باشا	«	٥٣	السيد مرتين هارتمان	«
٣٠	احمد شوقي بك	«	٥٤	السيد مونه	سويسرا
٣١	السيد أسعد خليل داغر	«	٥٥	السيد سنوك هورغرينه	هولاندة
٣٢	حافظ ابراهيم بك	«	٥٦	السيد مرجليوت	انكرا
٣٣	الشيخ محمد رشيد رضا	«	٥٧	السيد بن	«
٣٤	السيد مصطفى صادق الرافعي	«	٥٨	« براون	«
٣٥	أحمد كمال باشا	«	٥٩	السيد بول	الدانمارك
٣٦	أحمد تيمور باشا	«	٦٠	السيد بدرسن	«
٣٧	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	«	٦١	السيد اغناطيوس غولدسبير	بودابست
٣٨	الدكتور يعقوب صروف	«	٦٢	الدكتور سعيد أبو جرة	البرازيل

خزائن الكتب العربية في الخافقين

هذا سفر عظيم عني الأستاذ الفيكت فيليب دي طرازي أحد أعضاء
المجمع العلمي العربي بتأليفه منذ أكثر من خمسين سنة فجاء في أزيد من ألف
وثلاثمائة صفحة كبيرة ، وهو يعمل فيه منذ عشر سنين ليعده للنشر ، وقد ضمنه
أبحاثاً مشبعة عن خزائن الكتب العربية قديمها وحديثها ، وذكر أخبار مؤسسيها
ومعززيها والعاملين فيها في أربعة أقطار المعمورة .

هذا كتاب فريد في بابهِ مبتكر في موضوعه لا أعلم أديباً من أدباء العرب
ومؤرخيهم سبق إلى تأليف مثله ، فصنف مؤلفاً مفصلاً عن خزائنا العربية وعن
مؤسسيها ومحتوياتها وعمما آل إليه أمرها . ويظهر لي من لائحته أنه منطوق على خرائد
وشوارد وعلى طرائف ولطائف ، ولقد طالع زهاء سبعمائة كتاب من مؤلفات الأوائل
والأواخر ، ففربلها وانتخلها حتى صنى منها ما صنى كما يشاهد حقيقة الأمر في
الموامش التي علقها على الكتاب من بدايته إلى خاتمته . وقد سدد به ثلثة
فوهات ، في التاريخ والأدب معاً . وانا توخيت في هذه العجالة أن أطلع أبناء
الضاد على ما ملكوا في صالف الأحقاب وعلى ما يملكون اليوم من الكنوز العلمية
الغالية الأثمان .

* * *

دعا المؤلف كتابه : « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وضمنه ١٨ باباً .
قد يكون كل باب من أبوابه الواسعة كتاباً قائماً برأسه .
فالباب الأول انطوى على مقدمة وشبعة فصول ذكر المؤلف في الفصل الأول
خلاصة علوم العرب في الجاهلية و صدر الإسلام ، فوصف وصفاً دقيقاً حفظهم
وتدوينهم وخطوطهم وأنديتهم ومجالسهم وأسواقهم الأدبية واستفعال دولتهم .
وتبسط في الفصل الثاني في وصف القرآن الكريم وتأثيره ، واجماع الملوك

والأقطاب على تكريمه وتعظيمه . وأورد خلاصة ما كتبه عنه علماء النصارى . وعدد المتاحف التي انطوت على أقدم الكتب القرآنية وأثمنها وأجملها وأغربها . وتكلم في الفصل الثالث عن حالة البلاد الشرقية قبل الفتح العربي .

وخصص الفصل الرابع بثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب ولغاتهم ومدارسهم وكتبهم وخزائنهم وعدد في الفصل الخامس نقول العرب عن العلوم الدخيلة منذ عهد أمير المؤمنين عبد الله المأمون العباسي فصاعداً

وبحث في الفصل السادس مصادر العلوم الدخيلة ومشاهير تفلتها عن اللغات الهندية والفارسية واليونانية والسريانية والعبرية وغيرها . وانتقل إلى ذكر آل بختيشوع الذين كانت لهم مكانة عظيمة في بلاط الخلفاء العباسيين خلال ثلاثة قرون . ولم يغمض عن ذكر من جازاهم في هذا الميدان كأبي قرة وابن ماسويه والكندي وحنين بن اسحق وهلم جرأ ، واتخذ خاتمة لهذا الفصل كلمة اثبتها في كتابي « القديم والحديث » عنوانها « فضل نقلة علوم الأعاجم » .

وختم هذا الباب بفصل سابع وصف فيه عصر النهضة العربية الذهبي . فاسترسل في ذكر ثقافة العرب وترقي العلوم بين ظهرانهم وتأسيسهم المدارس والمراصد والمستشفيات والمتاحف . ونوه بمبالغة الخلفاء في تكريم العلماء والأدباء وعدد مشاهير الكتبة في تلك الحقبة المباركة .

هذا هو الباب الأول ، وقد أفرغه المؤلف الفاضل في أسلوب لذيذ جذاب لا يكاد يطالع القارئ فصلاً من فصوله إلا ازداد رغبة في مطالعة بقيته ، ثم سرد المؤلف في الباب الثاني أخبار تكوين الخزائن العربية وانتشارها واندثارها ، وأشار إلى حرص العرب الأقدمين على تدوين آثارهم وأخبارهم ، ونسابقهم في اقتناء المخطوطات وجمعها ، وتنافس أدبائهم وخطاطيهم ومجلديهم في تعزيز الخزائن العامة والخاصة ، وأثبت أن المؤرخين لم يتصدوا لنشر كتاب خصوصي جامع يضمنونه أخبار الكتب العربية سابقاً وحاضراً .

وانتقل المؤلف الى الباب الثالث بعدد أخبار الخزائن الإسلامية العامة ، وقد بلغ عددها في كتابه ٢٩٥ خزانة خصص لها ٣٣ فصلاً ، فذكر خزائن بغداد والبصرة وكربلا والتجف والموصل واربيل وماردين وميفارقين وآمد وحلب وحماة والمعرّة وكفرطاب . ثم أحصى خزائن دمشق وطرابلس الشام وفلسطين وشرق الأردن . وانتقل الى البلاد العربية فوصف خزائن مكة المكرمة واليمن والحجاز والحويزة . ثم راح إلى بلاد فارس فكتب عن خزائن مهر ومراغة وشيراز وجنده وخراسان وفيروزاباد والري ونيسابور وطوس وازدشير وسمرقند واصبهان وخوارزم وهمدان وهراة وبخارة . ثم تكلم عن الخزائن العربية في الهند وغيرها . وتبسط المؤلف في ذكر دور كتب القاهرة والاسكندرية وسائر الأقاليم المصرية خزانة خزانة قديمة وحديثة . وانتقل الى شمال افريقية فسرّد أخبار خزائن تونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس وسبتة والرباط . ولم يفتّه وصف خزائن الأندلس والإلماع الى حضارتها العربية وسابق عزها . وختم هذا الباب بذكر المخطوطات العربية في دور كتب الاستانة والرومي والاناضول الخ . ولم يغمض المؤلف في كل من هذه الفصول الممتعة عن ذكر ثروة تلك الخزائن العامة وذخائرها ومعارضها ومطبوعاتها ومديرها وخزنتها واعتناء الملوك والامراء والادباء بتعزيزها .

وفي الباب الرابع وصف المؤلف الخزانة العربية الخاصة التي أسسها افراد المسلمين وأدباؤهم ومشايخهم وعلمائهم في مختلف الأنحاء ، فتوسع في وصفها توسعه في وصف الخزانة الإسلامية العامة ومنها خزانة أنشئت في مدن غير المدن التي أحصاها المؤلف في سياق كلامه عن الخزائن العامة . نذكر منها خزائن بيروت وجبل لبنان وجبل عامل ودوما ونابلس وبافا وعكا و خليل الرحمان الخ . ثم عدد الخزائن الخاصة في المغرب الأقصى وصغاري افريقية ، فكان مجموع ما أحصاه

٣٥٩ خزنة اسلامية خصوصية وصف كلا منها وصفاً جيداً ، وذكر أخبار مؤسسيها وأحصى عدد مجلداتها يوم عزها وما حل بها من الرزايا على كرور الازمنة .

وأخذ المؤلف بعد وصفه الخزائن الاسلامية عامة وخاصة يعدد في الباب الخامس أهم الخزائن النصرانية العربية في بلاد الشرق . فوصف مجموعات النساطرة واليعاقبة والملكيين والموارنة والاقباط ومجموعات السريان والكلدان والارمن والبرتستان ، وقد اناث عددها على ٢٠٠ . خزنة أنشئت في القصور والاديار والمدارس وبيوت الافراد في مدن سورية ولبنان وفلسطين وما بين النهرين والعراق ومصر وشمال افريقية . فهناك خزائن دمشق وصيدنايا واقاميا وانطاكية وجبل سمعان ، وخزائن بيروت وبتدين والشرفة وبكركي والبلمند ، فخزائن الكرمل والقبر المقدس ودير مارسابا ودير مار سرقس ودير مار يعقوب فخزائن الاقباط بالاسكندرية والقاهرة وأديار وادي النطرون وطور سيناء ، فخزائن الرها وآمد وملطية وماردين ودير الزعفران ودارا ونصيبين وطور عبيد وسمرت فخزائن المدائن ودير نفي وبغداد واورمية وقود شائيس وتكريت والموصل ودير الشيخ متي ودير الريان هرمزد ، وخزائن تونس والجزائر والمغرب الأقصى وطرابلس الغرب الخ . وقد جرى المؤلف في وصف هذه الخزائن جمعا مجراه في وصف الخزائن العربية الاسلامية .

وتطرق المؤلف في الباب السادس لوصف خزائن بيروت العامة كخزائن الاتحاد والترقي والحزب العظمى والمجلس البلدي والقضاة وغرف القراءة ونقابة الصحافة ونقابة المحامين وغيرها .

واسترسل في الباب السابع في وصف الخزائن العربية باوربا فذكر اهتمام البابوات والملوك بتعزيز اللغة العربية بمطابعهم ، وتعليمهم اياها في جامعاتهم ، وشراءهم المخطوطات العربية أحيانا بما يوازي ثقلها ذهباً . وتجهيزهم منها مجموعات نفيسة تستحق الاعتبار ، واعتناءهم بادخار الكتب العربية اعتناء جزيلاً . وأيد بيناته بما أثبتته أنا في كتابي «خطط الشام» عن كيفية تسرب مخطوطات بلادنا الى

دول أوربا على يد فريق ممن كان يرجع اليهم أمر المدارس والجامع ، تخانوا عهود الأمانة واستحلوا بيع ماتحت ايديهم بأجنس الأثمان .

ثم وصف المؤلف معارض المخطوطات العربية النفيسة في دور كتب أوربا ونوه بالثروة العربية في خزائن عواصمها ولا سيما دار كتب الامنكورريال بامبانيا ودار كتب الامبروسيانة في ميلانو .

وأحصى كذلك احدى عشرة خزانة عربية أنشأها فريق من السوريين في أوربا كمجموعة رشيد الدحداح و خليل غانم وجان دي طرازي بباريس وعبد الله مرآش في مرسيليا وحبيب زيات في نيس ، ولويس صابونجي ورزق الله حسون بلندن . وروفايل جروة بالبندقية الخ . وعدد كذلك عشرين خزانة أنشأها كبار المستشرقين في برلين وباريس ورومة وميلانو وبالرمو واسوج ولشبونة ومدريد ، وأحصى فيارس المؤلفات العربية في دور كتب اوربا وذكر عدد مخطوطات كل منها .

وحصر المؤلف بحثه في الباب الثامن بذكر الخزائن العربية في أميركا ، فقال بأن الكتب العربية في خزانة نيويورك تعد أغنى دار للكتب العربية في العالم الجديد على الاطلاق لاتضاهيها في الشرق خزانة سوى دار الكتب المصرية ودار الكتب الازهرية بالقاهرة وخزانة الآباء اليسوعيين ببيروت .

وخص الباب التاسع بالخزائن الاسرائيلية ، فكشف النقاب عن جهود اليهود في خدمة اللغة العربية على عهد الخلفاء العباسيين والفاطميين . وسرد أخبار مشاهير علمائهم في العراق ومصر وفارس والاندلس . ثم تطرق لذكر خزائهم سابقا ولاحقا خزانة خزانة . ووصف دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبرية في القدس فصرح باحتوائها على أكثر من ٣٥٠٠٠٠ مجلد بينها ٥٠٠٠٠ مجلد ونيف تتضمن ابحاثا شرقية .

وبعد ما فرغ المؤلف من تعداد الخزائن العربية اسلامية ونصرانية واسرائيلية في مختلف الاقطار أخذ يدون في الباب العاشر أخبار غلاة الكتب وهوائها من

المسلمين . فذكر منهم ملوكاً وأمراء ووزراء وعلماء ووجهاء أربى عددهم على السبعين
وكلهم رفعوا ألوية المعارف بما اكتزوه من الاضفار العربية ، فحرصوا عليها حرصهم
على أغلى الدرر واتخذوها في قصورهم وأنديتهم ومنازلهم من أحسن الزينة وافخرها ،
وأضاف المؤلف إلى ذلك نتفاً من طرائفهم وغرائبهم ، وخلص تراجم واحداً
فواحداً وفقاً للتسلسل التاريخي بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة .
وانتقل المؤلف إلى الباب الحادي عشر فسرده فيه تراجم غلاة الكتب وهواتها
من المسيحيين قديماً وحديثاً . فعدد منهم زهاء العشرين ممن كلفوا بجمع
المخطوطات منذ صدر الاسلام حتى زماننا الحاضر ، وأتى كذلك على طرفٍ
من أخبارهم ونواديرهم .

ولما انتهى المؤلف إلى الباب الثاني عشر اتسع في الكلام عن خزانة دور الكتب
منذ عصر الارتقاء العربي فذكر مناقبهم وثقافتهم وخدمتهم للمعاهد الكتابية وحصر
تراجمهم في عشرة فصول مبتدئاً بخزانة الكتب في سورية ولبنان فالعراق ففارس
فمصر فشمال إفريقيا فالاندلس فالبحر فاليمن فالبحر حتى الهند . فكان مجموع أولئك
المشاهير الذين قاموا على الخزائن في تلك الأمصار أكثر من سبعين خزاناً .
وأردف هذا الباب بباب ثالث عشر تحدث فيه عن مشاهير الخزائن الشرقية
في أوربا وأميركا ، فصرح بتفوقهم في المعارف ، وأشار إلى تعزيزهم مقام الشرق
في الغرب ، وقال انهم برحنوا للعالم أجمع على أن الشرقي لا يقل عن الغربي
بجدارة وكفاءة . وقد أحصى من أولئك الجهابذة عشرة خزنة : ثلاثة في
الخزانة الواتكانية وخازنين في الاسكوريال ومدريد باسبانيا ، وخازنين في المتحف
البريطاني بلندن ، وخازنين في القسطنطينية ، وخزاناً في مكتبة برينستون
بأميركا الشمالية . . .

وبحث في الباب الرابع عشر عن المخطوطات العربية والعاملين فيها ، فأفرد
لذلك ١٥ فصلاً وهي : ١ : ترايا المخطوطات العربية وتنافسها ٢ : الوراقة والوراقين

٣ و ٤ : نوابغ الخطاطين وخطاطات وغمرائهم ٥ : النساخة والطباعة وبراكير المطابع والمطبوعات العربية شرقاً وغرباً ٦ و ٧ : مشاهير النساخ المسلمين والنصارى قديماً وحديثاً ٨ : القبط والإتقان في نساخة الكتب ٩ : التنافس في تأليف الكتب والاستكثار من نسخها تعميماً للمعارف ١٠ : صناعة تجليد الكتب وانتقالها إلى أوروبا على يد العرب ١١ : أشهر أسواق الكتب في البلدان العربية ١٢ : تيجار الكتب ودلاؤها وسماسرتها وكساد تجارتها ١٣ : عشاق المخطوطات وصرعى الكتب ١٤ : سخط أحبار النصارى على مرآة مخطوطاتهم ١٥ : اعادة الكتب واستعارتها وأقوال الشعراء فيها . وضمن المؤلف هذه الفصول الخمسة عشر فروعاً شتى بلغت ٨٣ فرعاً ، وانطوت تلك الفروع على موضوعات نادرة لم يتعرض لها أحد قبله .

وخصص الباب الخامس عشر بالمخطوطات العربية المصورة فوضفها في ١٨ فصلاً افتتحها بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين وفي نشأته عند العرب . ثم أورد أسماء المخطوطات العربية المصورة هكذا : مخطوطات الكيمياء المصورة . فمخطوطات الطب فالأدب فالتاريخ والرحلات فالعلوم الحربية والبحرية فالعلوم الصناعية والميكانيكية فالجغرافية فالدين الاسلامي فالدين المسيحي فالنجامة والعلوم السحرية فالهندسة فاللغة فالنبات فالفلك فالفروسية والصيد والبيطرة فالموسيقى وعلى هذا الاسلوب لم يترك المؤلف مخطوطاً عربياً مزداناً بالصورة إلا تحرى استقصاء البحث عنه في خزائن الشرق والغرب فوصفه وصفاً شبعاً ، ونوه بمزاياه وأشار إلى ما تفرّد به وإلى مكان وجوده .

واستمر في الباب السادس عشر في تعداد الرزايا التي حلت بالكتب وخزائنها الشهيرة منذ العصور الخوالي حتى اليوم ، وخصص لها أربعين فصلاً سرد ما حسب تواريخها على ما يلي ١ : اجهاز البرازة والملوك القدماء على الكتب ٢ : حريق خزائن الاسكندرية ورومة والقسطنطينية ٣ : إحراق كتب الآراميين

والعبرانيين والوثنيين والمجوس ٤ : اتلاف الكتب النصرانية في العصور الغابرة
 ٥ : محو كتب الفرس واحراق مصاحف القرآن الكريم ٦ : احراق الفرق
 الاسلامية كتب بعضها بعضاً ٧ و ٨ : ذكر من غسل كتبه أو دفنها ٩ : احراق
 بعض المسلمين خزائهم ١٠ : اغراق الخزائن خاصة ١١ : رزايا كتب بغداد
 والبصرة ١٢ : اتيان الحاكم بأمر الله على كتب النصارى واليهود ١٣ : اتلاف
 خزائن الفاطميين في القاهرة ١٤ : احراق خزانة سيف الدولة في حلب ١٥ : نكبات
 الجامع الأموي ١٦ : اتلاف الافرنج عدة خزائن في غزواتهم الصليبية ١٧ : احراق
 مصاحف وخزائن حجة في بلاد فارس ١٨ : انتفاض صاعقة على كتب المسجد الحرام
 بمكة ١٩ : احراق اسمعيل شاه مصاحف أهل السنة وكتبهم ٢٠ : اجتراف السينول كتب
 بغداد ومكة والموصل ٢١ : احراق ابن الأبار البلسني واحراق كتبه معه ٢٢ : كنساح
 المنول خزائن ما بين النهرين والعراق والشام وتركستان والهند ٢٣ : بيع مخطوطات
 الخزانة الفاضلية بارغفة خبز ٢٤ : احراق كتب ابن حزم الأندلسي ٢٥ : فواجع
 خزائن الأندلس والاسكوريال ٢٦ : غارات تيمورلنك على خزائن بلاد الهند
 وفارس والعرب ٢٧ : قضاء الاسبانيين على كتب الجامع الأعظم بتونس ٢٨ :
 احراق مطران غوا البرتوغالي كتب النساطرة الملبارين ٢٩ : مصائب مكينات
 انكلترا ٣٠ : اغراق مخطوطات حجة في الأنهار والبحار ٣١ : غارة الجزائر
 على كتب جبل عامل ٣٢ : غائلة مخطوطات صيدنايا ٣٣ : احراق الفلاحين بمصر
 مدارج قديمة ليشموا طيب رائحتها ٣٤ : تبديد كتب جامع ازبك بن ططخ
 بين الانتفاض ٣٥ : رزايا خزائن لبنان وسورية ٣٦ : جوائح خزائن طور عبيد
 وما بين النهرين وصمرت واتخاذ رقوق مخطوطاتها أحذية ٣٧ : مصائب خزائن كريمون
 وتورينو بايطاليا ٣٨ : فظائع الشيوعيين في خزائن اسبانيا ٣٩ : احتراق خزانة
 مونزال بانكلترا ٤٠ : الاجهاز على الكتب ودورها أثناء الحرب العظمى وبعدها
 في النمسا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وتركيا وروسيا وبولونيا والبلقان وغيرها .

واشتملت هذه الفصول الأربعون على نحو ٢٥٠ فاجعة من الوف الفواجع التي امت بالكتب ، وقد وصفها المؤلف وصفاً مؤثراً وأحاط بتفاصيلها من جميع الأطراف ، ولم يثنأ أن يتوسع أكثر من ذلك في سرد أمثال تلك الفواجع حباً بالاختصار .

ولم يغفل المؤلف أيضاً عن ذكر بعض الكوارث الأدبية التي حلت بالكتب ، وتكلم عنها بالتفصيل بما أوتي من علم وطول نفس في البحث ، وبما تهيأ له من الخبرة الطويلة في إدارة دار الكتب اللبنانية مدة عشرين سنة . فأبرز الباب السابع عشر لسرد تلك الكوارث المؤلة فأجاد وأفاد . وقد حدثنا في الفصل الأول عن أعداء الكتب والخزائن ، وذكر في الفصل الثاني لصوص الكتب ، وأنهى باللائمة سيف الفصل الثالث على العابثين بالكتب المخطوطة . ودم في الفصل الرابع تصرف الرهبان في مجموعات الأديار . واستقبح في الفصل الخامس قلة الأمانة في حفظ الكتب . واستهجن في الفصل السادس احتيال بعضهم في حرفة الأدب . وأبدى في الفصل السابع عوامل تأسفه لما فقدته عالم الأدب بسبب ذلك من الكنوز .

ولهذا الباب كسائر أبواب الكتاب فروع جمة فصل فيها المؤلف ما انتاب الكتب ودورها من الكوارث . فروى كثيراً من حوادث لصوص الخزائن وخونتها ، وقرع تقريباً ألباً من يحرق المخطوطات أو يبعث فيها أو ينتحلها لنفسه . وعنف تعنيفاً مرّاً من يتغاضى عن صيانة الكتب أو يتهاون في نظافتها . وقبح خصوصاً من يختلق المشاكل ويلتق الأكاذيب لتكيس رايات الأدب ومناهضة المجاهدين في تعزيزها .

وقد ألحق المؤلف كتابه هذا المبكر باب أخير هو الباب الثامن عشر فشرح فيه فصلاً فداً أحوال دار الكتب اللبنانية ببيروت . وأعرب عن

جهوده المتواصلة في تكوينها وتجهيزها وإدارتها ، وتكلم عن تسجيله إياها باسم الحكومة اللبنانية ، ووصف رحلاته الى مختلف البلاد حباً بريقها واعلاء شأنها ، وذكر انشاء فيها معرضاً فنياً للتحف والمخطوطات القديمة ، وألمح الى احتامه بتصوير ٦٠ صورة تمثل كبار حملة الأقلام وأرباب الفن من المسلمين والمسيحيين في بيروت ولبنان . ثم ذكر انشاءه في سبيلها كتاباً مبتكراً عنوانه « ارشاد الأعراب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وأضاف الى ذلك فصلاً فيمن تبرعوا لتلك الدار وفي كبار زوّارها وفي كتابها الذهبي . وألمح باحصاءات شتى الى ادارتها وأشار الى بنائها الجديدة وافتتاحها رسمياً . واختتم الكتاب بفصل ذكر فيه اعتزاله منصب ادارة المكتبة وأقوال الجرائد في ذلك .

هذا هو الكتاب الفريد الذي جدّ صديقي العالم طرّازي في جمعه ووضع .

وأنفق الدنانير في انشاءه ، وقتل الليالي في تنسيقه وضبطه . وهو بلا ريب ثمرة ناضجة من ثمرات أبحاثه الدقيقة ومطالعاته المستمرة مدة تنيف على نصف قرن . ولم يتوخّ المؤلف من تعب هذا كله الا أن يخدم العلم ويعرف أبناء الضاد ثروة الآباء والأجداد . جزاء الله عن عمله أفضل جزاء ومدّه له في الحياة ليرى كتابه وقد أخرج للناس مكنون فوائده .

محمد كرد علي

أسماء منتخبة لمسميات حديثة

(١) القنّع

قال في اللسان القنّع والقنّاع^(١) الطبق من عسب النخل يوضع فيه الطعام والجمع أقنّاع وأقنعة وفي حديث الربيع بنت ميمونة قالت أتيت النبي (ص) بقنّاع من رطب وأجر من زغب قال القنّع والقنّاع الطبق الذي يؤكل عليه وقال غيره ويجعل فيه الفاكهة وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتى بقنّاع جرد - الجرد صفار القشّاء وقيل الرمان أيضاً ويجمع على أجرة وفي النهاية أيضاً من حديث عائشة أنه كان ليهدى لنا القنّاع فيه كعب من إحالة فنفرح به

وحكى ابن بري عن ابن خالويه القنّاع طبق الفاكهة خاصة وقيل القنّع الطبق الذي يؤكل فيه الفاكهة وغيرها - فيصح إطلاق القنّع أو القنّاع على الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام وأكثر ما يكون من عسب النخل أو من قصب أو من خيزران

(٢) الخفاء

في اللسان - والخفاء رداء تلبسه العروس على ثوبها فتخفيه به وكل ماستر شيئاً فهو خفاء له والأخفية الأكسية الواحد خفاء - وفي التاج وقال الليث هو رداء تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيء غطيت به شيئاً من كساء ونحوه فهو خفاؤه يصح إطلاق الخفاء على الثوب الذي تلبسه المرأة فوق ثيابها وهو المسمى بالكبوت

(١) وروى الجمع الاكتفاء بتنع ولينك القناع لما تنع به المرأة رأسها - م (٢)

(٣) المِدَع

في اللسان . المِدَع كل ثوب جعلته مبدعاً لثوب جديد 'تودَع به أي تصونه ويقال مِدَاعَةٌ . وجمع المبدع مَوَادِع . واصله الواو لأنك ودَّعت به ثوبك أي رففته به . وقال الأصمعي المبدع الثوب الذي تبذله وتودَع به ثياب الحقوق ليوم الحفل وإنما يتخذ المبدعُ لِيودَع به المصونُ وأصله من تودَع فلان فلانا إذا ابتذله في حاجة وتودَع ثياب صونه إذا ابتذلها وفي النهاية التوديع أن تجعل ثوباً وقايةً لثوب آخر أو تجعله ايضاً في صوان يصونه به

يصح اطلاقه على برنس المسافر

يصون المسافر ثوبه من غبار السفر ودعكته بثوب آخر يلبسه فوقه ليقه به ويسمى البرنس وبرنس السفر وهو كثير الاستعمال في هذا العصر فيصح أن يطلق عليه اسم المبدع بهذا الاعتبار

(٤) السَفْنُ

جاء في اللسان قال أبو حنيفة السَفْنُ قطعة خشب من جلد ضب أو جلد سمكة 'يسحج' بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل السَفْنُ جلد السمك الذي تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف قال الأعشى

وفي كل عام له غزوة تحكُّ الدوايرَ حكَّ السَفْنِ

وقال الليث وقد يجعل من الحديد ما يُسَفَّن به الخشب أي يحك حتى يلين

والظاهر أن اصل المعنى القشر

وقال الراغب السَفْنُ نحت ظاهر الشيء كسَفْنُ الجلد والعرد

وفي الأساس سفن العود قشره وبرى العود بالسفن وهي مبراة السهام قلت
التكين للمصدر والتحرك للاسم

يصح إطلاقه على الورق الخشن في أحد وجهيه بسبب ما يلصق عليه من
فتات الزجاج ونحوه ويستعمل لصقل وجه الخشب وما دهن وصبغ من ألواح ونحوه
لتعلاص وتزول خشونتها ويسمى ورق البرداح وورق الزجاج وكما يقال في
الفعل يرُدِّخه ينبغي أن يقال سَفَنَه

(٥) الحسك

جاء في التاج بعد أن قال أنه ثبت «وعند ورقه شوك ملرز صعب ذو ثلاث
شعب ويعمل على مثال شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب فيلقى حول العسكر
وربما اتخذ من خشب فتصب حوله . زاد الصاغاني . فتبت في مذاهب الخيل
لتنشب في حوافرها

يصح هذا لما يسمونه الأسلاك الشائكة وهي التي يستعملونها في الحرب وفي
السياج وهي كما ترى ينطبق عليها وصف الائمة للحسك إلا أنها كانت تلقى
مشورة في الحرب وهذه تنصب منظومة بأسلاكها للحرب وللسياج

(٦) الجناح

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته وسمي جانبا الشيء جناحه قليل جناحا
السفينة وجناحا العسكر وجناحا الوادي وجناحا الإنسان لجانبه

وفي التاج الجناح الكنف والناحية والجناح الطائفة من الشيء والروشن

يصح إطلاقها على الجزء المستقل من أجزاء طبقة البيت

وهذا الاستعمال شائع ذائع في عامة البلاد العربية فيما أحسب ولكني رأيت

مجمع اللغة العربية الملكي قد اختار للجزء المستقل من الطبقة في البيت اسم الشقة

لأنها متعارفة في مصر لهذا المعنى لكنها متعارفة باسم الجناح أيضاً كما رأيت في عامة بلاد العرب على أن أصل معنى الشق في اللغة الصدع والخرم الواقع في الشيء يقال شققته بنصفين ومن هنا أطلق الشق على النصف وفي اللسان الشق والثقة بالكسر نصف الشيء إذا شق وأصل معنى جنح مال إلى جانب والتقسيم المستقل من أجزاء الطبقة ناحية أو طائفة منها مالت في وضعها إلى جانب من جوانب الطبقة فيكون اسم الجناح أولى به

(٧) الحيفة أو الطريدة

قال في اللسان وتحيئت الشيء مثل تحوَّفته إذا تنقصته من حافاته . والحيفة الطريدة لأنها تحيَّف ما يزيد فتقصه حكاه أبو حنيفة وقال في مادة (طرد) والطريدة قصبة فيها حزره توضع على المغازل والعود والقِداح فتتحت عليها وتبرى بها ، أبو الهيثم الطريدة السِّنْز وهي قصبة تُجَوَّف ثم يُنفَر منها مواضع (وفي التاج ينقر) فيتبع فيها جذب السهم وقال أبو حنيفة الطريدة قطعة عود صغيرة في هيئة الميزاب كأنها نصف قصبة سميتها بقدر ما يلزم القوس والسهم . وفي التاج (و) الحيفة (خشبة) على (مثال نصف قصبة في ظهر قصبة تبرى بها السهام والقوس) وهي الطريدة سميت حيفة لأنها تحيِف ما يزيد فتقصه

وقال في مادة (طرد) نحو ما جاء في اللسان

يصح أن تطلق الحيفة على الإداة التي تبرى فيها الأقلام الرصاصية بإدارتها فيها فيخرج القلم وقد حيفت جوانبه وُبرِيَّ بَرِيَّ القِداح وأن تطلق الطريدة على ما يسمونه بالخرائطة عند النجارين وهي التي يُبرى بها العود بإدارته على حد شفرة حادة تأخذ من حافاته وهي معروفة في بلاد الشام كثيراً ورأيت بجمع اللغة العربية الملكي وضع المبراة لإداة يَرِيَّ الأقلام المعروفة بالمطوهِ *Canif* والبرائة للإداة التي تبرى بها أقلام الرصاص المعروفة بالبرائة .

والوضعان المذكوران متقاربا اللفظين مع تقارب معنيهما .
ولكنني أرى أن الحيفة أخف لفظاً فلنذع المبراة لما وضعها له بجمع مضر.
ولنطلق الحيفة على المعنى الثاني ثقيلًا للاشتراك ودفعًا للاشتباه

(٨) الدَسْكَرَةُ

قال في اللسان الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها
الشراب والملاهي قال الاخطل

في قباب عند دَسْكَرَة حولها الزيتون قد بنعا
(وقيل هذا البيت لأبي ذهبل وقيل ليزيد وقيل للأحوص) وكيف كان
فهو يذكر منزلاً في ضاحية دمشق بين الرياض والفياض وفي التاج « الدسكرة
بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم والحشم كذا في المغيث في غريب
الحديث لأبي موسى قال الليث يكون للملوك ومثله في جامع التراز ج دساكر
وفي النهاية : الدَسْكَرَةُ بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم
وليست بعريّة محفة .

ويصح أن تطلق على ما يسمونه بالثيلاً . والدسكرة اذا صح انها غير
عربية فهي عربية في الزمن الاول

وقد كان اطلق بجمع اللغة العربية الملكي على الثيلا الطرز بعد أن ذكر
ما جاء في اللسان في مادة طرز من انه البيت الصيني وفي مادة طرز انه بيت
الى الطول وانه البيت الصيني وانه معرب ترز .

فكان لدينا اذاً بمعنى البيت الصيني كلمتان [طَزَر] بتقديم الزاي على الراء
وزان سبب [وِطْرَز] بتقديم الراء على الزاي وزان رجل فهل هما لغتان أو احدهما
معرفة من الاخرى ، قالت مجلة مجمع اللغة العربية الملكي في الجزء الثاني ص ٦٧

(وربما كانت الطِرْز محرفة عن الطَزَر لاننا اذا رجعنا الى عبارة التاج في تفسير الطَزَر وعبارة المخصص في تفسير الطِرْز رأينا تماثلا تاما في التعبير مما يدل على نقل المتأخر عن المتقدم فصاحب التاج يقول الطَزَر بالتحريك البيت الصيني بلغة بعضهم وصاحب المخصص يقول الطِرْز البيت الصيني بلغة بعضهم ثم بنى المجمع على ترجيح هذا القول ووضع الطَزَر للبيت الصيني وهو ما يعرف بالثيلا ولا يخفى أن صاحب التاج متأخر عن صاحب المخصص وصاحب التاج نقل عبارة الازهرى انه معرب عن الطِرْز وانه هو البيت الصيني وانه يبت الى الطول كل ذلك في مادة طرز بتقديم الراء على الزاي فكيف بعد هذا صحت لنا أن نجعل نقل المتأخر (صاحب التاج) انما كان بتقديم الزاي على الراء ونحكم على وقوع الغلط في عبارة صاحب المخصص [إذ المفهوم من كلام المجلة والمجمع انه نقلها مصححةً بالطَزَر] ان ذلك أراه موضع نظر وبحث ، والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطَزَر بثقلها وما صحبها من التهجان كاد يكون عاماً فيما رأيت ولم يحتر الطِرْز وهو يؤدي نفس المعنى المراد وموافق للاصل الفارسي

المرضا

الراديو وأثره في نشر اللغة

استزارني يوماً احد مديري المدارس فرحب بي وعرفتني بالأفاضل من أساتذة مدرسته . وهناك جرى ذكر اللغة العربية ووجوب العناية بنشر الفصحى بين النش وتعميم ملكتها في نفوسهم . وأدى بنا الحديث الى تعداد الوسائل التي يحصل بها ما ذكر : فكان مما اتفقنا عليه أن (الراديو) أصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثراً في نشر اللغة : فإن اصغاء الجيور اليه . واهتمامهم بتفهم أخباره . وتداول تلك الاخبار بينهم يحكيها بعضهم الى بعض ويرويها بعضهم عن بعض : كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فان سمعوا الكلمات صواباً حفظوها ورووها صواباً . وإلا وعوها وأدوها خطأ .

يسمعون من (الراديو) مثلاً قوله (بقيت جيوش اليونان وحدثها نقاتل في تلك المنطقة) فاذا هو يلفظ كلمة (وحدثها) مرفوعة على ظن أنها صفة للجيش مع انها دائماً منصوبة على الحال بمنزلة قولنا (منفرداً) . ويسمعونه يقول (أغرقت الطائرات باخرةً حمولتها خمسة آلاف طن) بفتح حاء (حمولتها) وهو خطأ صوابه ضمها : إذ أن المراد بها الأحمال التي تحملها البخرة . أما الحمولة بفتح الحاء فالدابة تحمل الأحمال .

وقد وافق مدير المدرسة الفاضل على ما كان يدور في المجلس من هذا الحديث ثم أبدى بملاحظاته الخاصة التي اعتاد أن يدونها عن تلامذته . وقال ان الكثيرين منهم أصبحوا يستعملون من فصيح الكلام وصحيح الاساليب ما لم يكونوا يعرفونه لولا اصفاؤهم الى (الراديو) . كما أنهم أحياناً يرتكبون أخطاءً في نطق كلمات تسربت اليهم من (الراديو) ذلك المخلوق العجيب الذي أصبحت له اليد الطولى في نشر اللغات . وتصوير مختلف اللهجات

ثم خفَّ المدير الى حيث الطلاب وأتى بواحد منهم وناولوه من على المنضدة جريدة يومية وقال له أسمع الاستاذ .

فانبرى الطالب يقرأ علينا بصوتٍ جيير ونبرات متزنة . وكنا نراه إذا اخطأ في نطق كلمةٍ اعتذر بأنه هكذا سمعها من الراديو . وكان مما قرأه علينا من إذاعات الراديو هذه الجملة : (قصفت الطائراتُ المدينةَ بعنفٍ وبقيت النيران مستمرة فيها طيلةَ النهار الى المساء)

فتفتح الطالب وهو يقرأ الجملة ثون (نيران) وجعلها على وزن تحيرات . وكسر ميم (ماء) وجعلها بوزن نساء . وشدَّدَ الراء من (مستمرة) وجعلها بوزن (مستمرة) فصححنا له خطأ الذي التي تبعته على عاتق الراديو . وقلنا له : النيران مكسورة النون جمع نار كما ان الجيران والفيران أولهما مكسور وهما جمع جار وفار . وكذلك (ماء) ميمه مفتوح وكلمة (مستمرة) راؤها مخففة على وزن مفتقرة : لأنها اسم فاعل من استمرت النار انقادت . فهو من (افعل) ومشتق من السعير . ولو كانت (مستمرة) مشددة الراء لكانت من باب (استفعل) وكانت مشتقةً من العرّ (بتشديد الراء) وهو الجرب . ولَفِظَ التلميذ كلمة (عَنف) بفتح العين كما سمعها من الفاضل مذبح بيروت . فنصح له بعض الحاضرين أن يلفظها بضم العين لا بفتحها فقلت له ان الضم هو المشهور بيننا ولكن الفتح جائز كما نصوا عليه .

ثم انتقل الجدل بين الحاضرين الى كلمتي (طيلة) و (قصف) هل هما فصيحتان فيما يستعملان فيه ؟ وسألوني رأيي في أمرهما فقلت :

عجبا لهذا الحظ الذي رُزقته كلمة (طيلة) فان الناس أولعوا بها الى ما وراء الغاية . فيقولون طيلةَ النهار . وطيلةَ الدهر . أي مدتها الطويلة . وهذا

الاستعمال خطأ أو هو على الأقل غير مطابق للاستعمال الفصيح : فان أهل اللسان انما يعرفون (الطيلة) بمعنى العمر لا بمعنى طول المدة فاذا أرادوا طول المدة قالوا مثلاً « لا اكلك طول الدهر أو طوال الدهر » بفتح الطاء . ويقولون (بتُّ سهران طول الليل أو طوال الليل) ولا يقولون (لا اكلك طيلة الدهر) ولا (سهرت طيلة الليل) واذا اراد البلغاء استعمال كلمة (الطيلة) قالوا هكذا : (أطال الله طيلة فلان) أي أطال الله عمره . فالطيلة اذن انما تستعمل بمعنى العمر .

وأراني جريئاً على القول بأن (الطيلة) لا يحسن استعمالها في غير المقام الذي استعمالها فيه البلغاء وهو مقام الدعاء . فيقول احداً لأخيه (أطال الله عمرك وفسح في طيلتك . أو أمدَّ الله في طيلتك) ونحو ذلك ولا اخني سمعتهم يستعملون (الطيلة) في غير هذا التركيب أو ما ضرب على غرارهِ . فلنا أذن مندوحة عن كلمة (طيلة) بكلمتي (طول) و (طوال) .

بقي علينا فعل (قصفت الطائراتُ المدينة) وهذا الفعل وهو (القصف) بهذا المعنى مما استحدثه أو ولده الراديو وفرضه علينا فرضاً . ولعلنا لم نسمعه الا في هذه الحرب . وفي عهد المذيعين المفوَّحين . وكأنَّ المذيع الأول منهم أراد أن يترجم لنا بالقصف كلمة (Bombardeur) الافرُنسية فيكون التعبير العربي مشابهاً للتعبير الافرُنجي في وَحدة اللفظ بعد ان كانوا يقولون (اطلقت الطائرة القنابل) و (ألقت القذائف) فاكثفوا بكلمة (قصفت) مكان الكلمتين . ثم ان معنى القصف في اللغة الكسر : قصفت فلان العود كسره وريح قاصف شديدة تقصف الأشجار . فهو فعل يتعدى الى مفعول . ثم استعمال فعل القصف مجازاً في جلبة الرعد فيقولون رعد قاصف أي شديد الصوت مجلجل . وقصف الرعد اشتد صوته . وقد لاحظ القارئ ان فعل (قصف) في استعماله المجازي اصبح لازماً بعد

ان كان متعديا . وربما سأل سائل : ماهي المناسبة بين المعنى الحقيقي وهو الكسر وبين المعنى المجازي وهو اشتداد صوت الرعد ؟؟ المناسبة هي أن المرء وهو يسمع جلجلة الرعد يخيّل اليه ان شيئاً يتكسر ويتقصف في عتات السماء ومن هذا المعنى المجازي اخذ رجال الإذاعة فعل (قصف) اللازم الدال على اشتداد صوت القنابل الملقاة من الطيارة . لكنهم حوّلوه من اللزوم الى التعدية للمفعول فهم يقولون (قصف الطيارة المدينة) بعد ان ضمنوا فعل (القصف) معنى القذف والرمي . فتأويل (قصف) الطيارة المدينة اشتد صوت الطيارة قاذفة المدينة بقنابلها قذفاً له صوت يشبه قصف الرعد في شدته . والتضمن كثير الورد في كلام العرب . وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة عليه . فهذا الاستعمال الجديد لفعل (قصف) الذي استحدثه المذيعون قبله منهم ونشكرهم عليه . لكننا نحفظ لأنفسنا حق الرجاء لهم في التثبت من بعض الكلمات الأخرى والرجوع الى المعاجم في ضبطها وليس ذلك عليهم بالأمر المسير كما نلتبس من المذيع الأكبر مذيع لندن خاصة ان يقتصر في قليلة الحروف الأخيرة من الكلمات على حروف (قطب جد) الخمسة : فلا يتقل الميم من كلمة (النظام) ولا اللام من كلمة (القتال) ولا النون من كلمة (الألمان) وذلك وفقاً لما نقرر في (علم التجويد) وتفادياً من مخالفة أصول الأداء العربي .

*** .

ونذكر بهذه المناسبة كلمة أو تعبيراً جديداً اصطلح عليه (الدبلوماسيون) المعاصرون وأملأ علينا في هذه الأيام المذيعون ولم نعهد اننا سمعناه قبل هذه الحرب القائمة :

ذلك أن من خاض غمرات الحرب بالفعل سموه (محارباً) وضده (الحيادي او المسالم) وهو الذي لا ناقة له في الحرب ولا جمل . ثم رأى هؤلاء الدبلوماسيون

انهم في حاجة الى اعتبار حالة ثالثة لا يصح ان يوصف صاحبها بالمحارب ولا بالمسلم الحيادي فاصطلحوا على تسميته (باللامحارب) . وكأنهم يريدون بتوصيفه بالحرب ثم تقيها عنه بحرف النفي (لا) أن ظروفًا استثنائية او جغرافية جعلته على أهبة الحرب والاستعداد لها . او على وشك الدخول فيها عند اول فرصة . أو انه لا يتخلو من ميل في نفسه الى احد الفريقين المتحاربين

فالحالات اذن ثلاث (حيادي) (*neutre*) محارب (*en état de guerre*) لا محارب (*non belligérant*) ويظهر ان هذه الكلمات العربية الثلاث انما اصطلح عليها المذيع الاول او الدبلوماسي العربي الاول ترجمة للكلمات الافرنجية الثلاث وقد قام في وضع هذا الاصطلاح بوظيفة المجمع العلمي بالشكر له على كل حال .

* * *

ومن لطيف الاتفاق ان يقع نظري على كلمتين في لغتنا العربية تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و (اللامحارب) . وهما كليتا (عدى) بضم العين و (عدي) بكسرها : وقد فسروا ذات الضم بالأعداء الذين تقاتلهم . وفسروا الثانية ذات الكسر بالأعداء الذين لا تقاتلهم . فالعدى بالضم المحاربون بالفعل . والعدى بالكسر اللامحاربون لكنهم مستعدون لها متهيؤون .

وقد رأيت هذه التفرقة بين كلمتي (عدى) و (عدي) في (محيط المحيط) للبستاني ووافقه عليها صاحب اقرب الموارد . لكنها لم يثريا الى المصدر الذي اعتمدا عليه في حكاية هذه التفرقة المليحة التي نحن في حاجة اليها والى امثالها من الاوضاع الجديدة . ثم راجعتُ اللسان والتاج والصحاح والأساس والمصباح فلم اعثر على تلك التفرقة بين الكلمتين المذكورتين غير ان اللغويين قالوا كلاماً

في معنى (العدى) بالكسر أحبه البب الذي حمل صاحب المحيط على اعتبار هذه التفرقة :

فقد قال اللغويون ان (العدى) مكسورة العين تكون بمعنى الغريباء الأجانب عنك . وذكروا شاهداً عليه قول الشاعر :

(إذا كنت في قومٍ عدى لست منهم)

فكل ما علفت من خيش وطيب)

فلعل صاحب المحيط استنتج من هذا التفسير لكلمة (عدى) المكسورة انها بمعنى الأعداء الذين نلابسهم على علائهم ولا نُثير عليهم حرباً ولا قتالاً . فتبقى كلمة (العدى) بالضم لأولئك الذين نصارحهم العداوة ونناجزهم القتال بالفعل . والكلمتان تستعملان وصفين فيقال هؤلاء قومٌ عدى . وأولئك قومٍ عدى . وإذا أريد المصدر جاز لنا ان نقول (عدوية) من عدى (بضم العين) اي (محاربة) ومن عدى المكسور نقول (عدوية) بكسر العين اي (لا محاربة)

على ان المجال مازال واسعاً امامنا للتثبت من هذه التفرقة بين الكلمتين ومن طريقة استعمالهما وبعد ذلك يتسنى للجوامع العلمية وضع قرار بقبول ثبوت الكلمتين اللغويتين واستعمالهما في الاصطلاحين الجديدين او بعدم قبولهما بالمرّة والاكتفاء باستعمال الكلمات التي شاعت على لسان الراديو اعني (المحارب) و (اللامحارب) و (السلام) :

المفهرجي

ابناء علي بن نصير الدين الطوسي

اطلعت اتفاقاً على نسب قديم الخط كتب في ورق صقيل يتضمن اسماء ابناء علي بن نصير الدين الطوسي الفيلسوف الرياضي الشهير المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ١٢٧٣ م ولكن هذا النسب لا يحمل شارة رسمية او صفة علمية اذ لا توقيع عليه لأحد وانما يزعم حامله وهو الشيخ صالح بن قاسم ناصر الدين من قرية دالية الكرمل بالقرب من حيفا ان هذه نسبتهم وانهم ينتسبون الى نصير الدين الطوسي وان تحرف اليوم الى ناصر الدين

. وهذه الأسرة من الأسر المعروفة بين آل معروف وقرية دالية الكرمل أنشئت منذ مائة وثمانين عاماً أنشأها مهاجرة الدروز الذين جاؤا اليها من الجبل الأعلى في أرجاء حلب كما يقولون واستوطنوها من ذلك التاريخ ومن أسرها المعروفة ايضاً حسون والحلي .

والى القارئ الكريم نص هذا النسب بحروفه وعلى علاته واغلاطه على ان نذيله ببعض آراء وملاحظات

« اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين صلاة دائمة الى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . وقد نقلت هذه النسبة المباركة عن خط الشرف علي بن مولانا الامام الولي نصير الدين الشريف علي بن محمد الطوسي وذكر انها نقلت عن خط آيه نسبة قديمة ذكر تاريخها في شهر رجب المرجب من شهر سنة خمس وخمسمائة ونقلت (١) الذي نقلت عن خط الشرف علي ولما نقلها الشرف علي عن خط آيه نصير الدين المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالأنساب الشريفة العلوية فسار بها الى مدينة دمشق المحروسة خلد الله تعالى ملك

(١) خرم مقدار بت كلمات

مالكها لتكون في يده اثباتاً لشرقه واستخارة يرحمة الله تعالى مكن دمشق المحروسة وطال^(١) له المكان لشرف علي ورزقه الله البنين والبنات من الذكور عنز الدين ولقبوه بعز الدولة وكاسب وشجاع الدين وعزائم وعبد الله وثقروا وتناسلوا وطاب لهم المكان وبقي في الشام وبلادها منهم فروع كبيرة^(٢) وكانت لعز الدولة اولاد ذكور منهم فارس الدولة وكال الدولة وسلمان الدولة ومحمود الدولة وحاتم الدولة وعبد العزيز وكان لكاسب علي واسماعيل وبناً وخلف ومحمد ومنهم وسما^(٣) منهم من جملة اولاده وكان مولد احمد بن منهر في ساعة عكس فلقبوه بها ولما كبر منه انتقل الى بلاد حلب وسكن بقربة بشتدلايا ثم عمر قرية سما^(٤) تليثا وصار له فروع كثير^(٥) الى يومنا هذا ولشجاع الدين ايضاً عبد العزيز وحاتم وعلي ومحمد ولعزائم الشرف علي وعز الدين حسين وشهاب الدين احمد وممن وحصن ونجم الدين ومحمد وشرف الدين علي ومنهم تفرعت الطوائف المشهورة الآن بنو كاسب وبني شجاع وبني عزائم وبني قوارس والمعنية والحصنية ومنهم في بلاد الشام كثير وفي بلاد حلب ولهم فروع كثيرة متفرقة في البلدان والقرى منهم في بلاد بيروت وبلاد صيدا وبلاد صفد وبلاد حوران وحماة وحمص والمرّة واعمال حلب ايضاً ومنهم الآن يثوث وطوائف مقررة في اماكن معلومة الى يومنا هذا وهم يعرفوا بأولاد البزيرية الى الآن في الأنساب والتواريخ المؤرخة في الكتب السابقة فقد ثبت وصح بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة جمال الدين مفتي المسلمين ثقة الملوك والسلاطين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الامام العالم صدر الدين ابي الرينع سليمان بن سومر البصراوي المالك الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها ادام الله ملك مالكا وذلك في نهار الاثنين الرابع والعشرين

(١) لها وطاب . (٢) لها كثيرة .

(٣) و(٤) يعني سمي ونسي ولما أمثال كثيرة فيما يلي (٥) يريد كثيرة .

من شهر صفر الخير من شهور سنة عشر وسبعائة ثبوتاً شرعياً واعتباراً مرضياً
بالبيئة العادلة المرضية التي بثلياً أيضاً ثبت بين يدي مولانا وسيدنا قاضي القضاة
حاكم الأحكام نحر الأثام ضد مصر والشام بقية السلف الكرام مؤيد الشريعة
محمد الأربجي الحنفي الحاكم بمدينة دمشق المحروسة سنة احد عشر وسبعائة وانه
قد ثبت أيضاً بين يدي مولانا وسيدنا الشيخ الامام العالم العلامة قاضي القضاة
حاكم الأحكام حجة الاسلام والمسلمين ثقة ^(١) الملوك والسلاطين خالصة مولانا امير
المؤمنين سليمان بن الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم
بدمشق المحروسة سنة ثمان وسبعائة هو انه قد ثبت عندهم وصحّ لديهم أحسن
الله اليهم اتصال نسب الشرف علي المنقول عن النسبة القديمة المتصلة بالانساب
الشريفة العلوية من اولاد كاسب الى بلاد حلب علي وخلف واسماعيل فتقرر
اسماعيل بن كاسب في قرية من أعمال حلب تبع قضاء مرمين تسما بنش وخلف
تقرر في قرية مرتحوان وعلي تقرر في بنايل وصار لهم فروع كثيرة الى يومنا
هذا ومنهم فروع من توجه الى ناحية الشرق الى بلاد البارة من أعمال حلب أيضاً
المحروسة وأما بنّا بن كاسب تقرر بقرية تسما دلغا من أعمال حلب وحلال الدولة ^(٢)
تقرر بقرية تسما بشتدلتنة من أعمال حلب وأما شجاع الدين وعبد العزيز ومحمد
وبكني حيفة ^(٣) وحاتم تقرر في مدينة الشام وكال الدولة ومحمود اولاد عن الدولة
توجهوا الى بلاد حلب وتقرروا في قرية تسما تليثا المذكورة أيضاً وصار لهم
فروع كثيرة الى يومنا هذا . وكل من لقب بالدولة نسبة لعز الدولة وكان
لسليمان بن فارس الدين ولدات الدين ^(٤) الواحد منهم سماه سعيد والآخر اسماعيل
تقرر في قرية في اقليم دربل تسمى بقسم واماعلي فارس الدين والدولة ^(٥) انتقل

(١) في الأصل ثقة ثم تصححت إلى ما يشابه بركة (٢) له جلال الدولة

(٣) له حيفة (٤) له ولدان اثنان (٥) له الدولة هازائدة

الى بلاد حلب وتقرر في قرية من اعمال سمرين تسما باثنتا و صار له فروع كثيرة الى يومنا هذا .

واما شرف الدين علي وعز الدين الحسين ابنا عزائم سكنوا مدينة حماة وتقرر بها مدة من الزمان وتناسلوا وطاب لهم المكان فخلف عز الدين الحسين ولدين نجم الدين محمد وشرف الدين علي فلحقوا بعمومتهم اولاد كاسب واقاموا بها يقرؤا القرآن ويكتبوا المصاحف الى يومنا هذا ولم يتقروا في بلاد حلب في قرية واحدة كلهم . ثم ان شرف الدين علي عاد الى مدينة دمشق المحروسة ومات بها رحمه الله تعالى وخلف ايضا ولدين وهما عز الدين الحسين وشرف الدين علي وعز الدين بن شرف الدين خلف اولاد ذكور وسماهم نجم الدين وشرف الدين وثبت اتصال نسبهم في النسبة السابقة المنقولة عن خط الشرف علي ايضا لدى مولانا العالم العلامة قاضي القضاة حاكم الاحكام حجة الاسلام والمسلمين علي بن سليمان بحلب المحروسة سنة خمس وثمانمائة ادام الله ايامه وختم بالصلاحات اعماله وعاد علينا من يركانه وانتد امره واحكامه في مجلس حكمه وقضائه بحضور السادة العدول ثبت الله اشهادهم ورحم الله آبائهم واجدادهم وغفر الله لنا ولهم ولكافة المسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين الطيبين وصحبه اجمعين .

نقلت هذه النسبة الشريفة العلوية عن النسبة المذكورة نهار الاربعاء في شهر رمضان المبارك من شهور سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة هجرية على مهاجرها افضل الصلاة والسلام وهذه الاشخاص المذكورة في هذه النسبة جميعا من سلالة الشرف علي بن الشيخ محمد الطوسي من سلالة النبي نوح عليه السلام مسلسلين واحداً بعد واحد الى آخر الأئمة الفاطميين رضي الله عنهم اجمعين تم وكل .

آراء وملاحظات

- ١ : ان امّ ما بلغت النظر في هذه النسبة ان تكون منقولة عن نسخة قديمة مؤرخة في رجب سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م ينافي لا تتضمن نسبة كاتبها نصير الدين الطوسي بل تتعلق بنسبة ابنه علي الذي يقول انه نقلها عن النسبة المكتوبة بخط ابيه .
- ٢ : وفي ترجمة النصير الطوسي المدونة في فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي يذكر انه خلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر احمد ويقول ان عليا ولي غالب مناصب ابيه ، فلما مات ولي بعده الأصيل حسن وقدم هذا الأخير الشام مع غازان وحكم في اوقافها تلك الأيام واخذ منها جملة ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد فأساء السيرة فعزل وصودر وأهين فمات غير حميد ، وأما الفخر احمد فقتله غازان لكونه اكل اوقاف الروم وظلم . وهذا ينفي قدوم علي الى الشام كما تزعم النسبة فمن اين جاء اولاد علي اليها واستوطنوها .
- قد يرد على النعنع ان يكون اولاد علي جاؤا الشام مع عمهم الأصيل حسن وظلوا فيها بعد قفوله عنها ، ولكن النسبة تجعل الوارد الى الشام صدر الدين علي وهو لم يأتها بل مات اما في مراغة لأنه كن يتولى الرصد فيها بعد وفاة والده ، واما في بغداد التي انتقل اليها والده وصحبه وتلامذته كما يقول ابن شاکر .
- ٤ : أردنا ان نستوثق من وجود القرى التي جاء ذكرها في النسبة فسالنا عنها زميلنا المفضل الشيخ محمد راغب الطباخ من مؤرخي حلب فقال ان شتدلايا وتلتينا (ويقال لها الآن تلتينا بتاين يندما ياء) من قرى جبل الزاوية التابع لبلدة رينجا ، وان بنش قرية كبيرة تبعد عن ادلب فرسخا يمر بها المسافرين من حلب الى ادلب ، وان مرتحوان شمالي معرة مصرين وهي تتبعها وتبعد عنها فرسخا . قال ويوجد بها وفي الجبل الأعلى الذي هو قريب منها دروز .
- ٥ : وسألنا الشيخ ايضا عن قاضي القضاة بحلب علي بن سليمان المذكور اسمه في النسبة انه كان سنة ٨٠٥ هـ فقال ان الشيخ كامل الغزي صاحب نهر

الذهب في تاريخ حلب استقصى اخبار القضاة ، ولكنه لم يذكر بينهم ذلك القاضي وقال الجياخ تقياً عن ابن خطيب الناصرية من كتاب مخطوط : ان علي بن سليمان البرواناه الرومي ولي نيابة دار العدل تجلس بها وبين يديه القضاة فحكم وامضى الأمور على السداد وتوفي سنة ٧٠٩ هـ قلنا والفرق بين التاريخين يزيد على مئة سنة ، وعبارة المؤلف تتم على ان دار العدل هذه كانت في القاهرة عاصمة الملك .
٦ : عندي ثبت فيه اسماء بعض قضاة دمشق من سنة ٥٨٧ الى سنة ٧٢٢ هـ

ولم اجد بينهم اسم سليمان بن سوسر البصراوي المالكي الحاكم بمدينة دمشق ومضافاتها وسليمان بن بدر الدين الدمشقي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة ، وقد يكون الثبوت لم يتناول جميع القضاة فلانستطيع الحكم على القاضيين المذكورين هل كانوا على قضاء دمشق في التاريخين الحررتين في النسبة ؟

٧ : ولعل أغرب وأعجب ما في هذه النسبة هو ما جاء في خاتمتها من ان أبناء الطوسي من سلالة النبي نوح عليه السلام وانهم تسلسلوا واحداً بعد واحد الى آخر الأئمة الفاطميين .

لذلك نرى ان في نشر هذه النسبة التي تحتوي على أسماء كثير من القرى والاشخاص فائدة تاريخية اذا ايدتها بعض الحوادث والأخبار المطوية في بطون الكتب والاسفار .

عبد الله مخلص

الريال المزيف

ويج الفقير فما تراه بلاقي سدت عليه منافذ الارزاق
عصفت به وبسربه ريح الشقا قنساظروا كتساقط الاوراق
فاذا بصرت به عجبت لسمعة كالزعران تجول في الاسواق
علق المجاعة مص بعض دمائه ونصف الحكم مص الباقي

اخذ الشقا يدها فسارت خلفه والليل ممدود على الآفاق
سارت ، فماس الخيزران بقدها ورنث ، فذاب السحر في الاحراق
وتلوح آثار النعيم بجدها كالفجر قبل تكامل الاشراق

اخذ الشقا يدها فان هي فكرت بمصيرها صعقت من الاشفاق
ووهت عزيمتها فالقت نفسها فوق الثرى وشكت الى الخلاق
تشكو بدمعها وذل فؤادها وبما تحس به من الاحراق
يارب ! قالت وهي جاثية له ان شئت حل من الحياة وثاقي
قد عشت عمري ما عرفت بريبة وعبدت بعدك عفتي وخلاقي
والآن والأيام ملأى بالأذى قد اصبحت وقرأ على الاعناق
زوجي يحارب في التخوم وطفلي فوق الفراش تزيد في ارهاقي
من امها تبغي الغذاء لجسمها من امها تبغي الدواء الواقي
وطرقت ابواب الكرام فأوصدوا ابوابهم فرجعت بالاخفاق !

سام النقي عرضي ! فيالك من فتى كاسي النقي عار من الاخلاق
هب ان اختك والزمان اصايبها مثلي اصاب سافل الاعراق
افكان مراك ان ترى احسانه ثمن العفاف لضمه وعناق
خفف على عنتي الضعيفة واتد اتي رأيك آخذاً بمنقائي !

ان الريال غنى ولكن عفتي فوق البنى وتنافس الاعلاق

أصون عرضي؟ وابنتي؟ وحياتها؟ وعلاجها يحتاج للاتفاق
انا ان اعف قتلها فعلام لا تحي بماء تعفني المهرق
لا! لا تموت فانها لبريئة حسناء ما شئت عن الاطواق
اني مفارقة ابنتي او عفتي فعلى كلا الحالين مر فراق
والذنب للايام في حدثاتها والذنب للاخلاق غير روائي! .

رباه حلمك فالصايب حمة وانا بواحدة يضيق نطاقي
لو شئت موتاً لابنتي لأخذتها وجعلت طهري قدوة لرفاقي
لكن اردت بقاءها واردت لي فقري ، اتظمتني وانت الساقى!
ستعيش بنتي وليكن ماشته ستعيش . . . لكن من لى العشاق

ومثت لما وعده بماء جفونها السقرحى وجمر فؤادها الخفاق! .

لو صوروا اللؤم الذميم فثلوا (ذاك الفتى) عدوا من الحذاق
ترعى السفالة في مجاهل قلبه وتطل ان شبت من الآماق
ومتى يحاول حجب مكنوناته يلبس عياء حجاب نفاق
نص الفتاة بفقرها وشقاها . « وبما تكابد من امي وتلاقى ! »
حتى اذا اختلنا اثنتي برصالحها وقد اثنت برياله البراق

رجعت وفي يدها الريال ورأسها لحينائها متواصل الاطراق
وكأنها خطرت لها ابنتها وما تلقاه من الم الطوي المقلق
فأصاها مثل الجنون فتتمت : بشراك اني عدت بالترياق

هوذا الريال فاته نعم الذي يهب الشفاء لنا ونعم الراقي
هوذا الريال وقد تألق ملحق دجن المموم وقد اردن محاقى !
هوذا الريال ولم يكن لولا ابنتي ليسومني نكراً عن الاطلاق !

ومضت الى الطباخ تلجم ما بها لفتاتها من لاعج الاشواق
قالت - وأدته الريال - الاعمطني بعض الغذاء واردد علي الباقي
اسرع فانك ان تؤخرني تذوق من جوعها بنتى امر مذاق !

تقف الريال باصبعه وجهه وانها بالارعاد والابراق
قبحاً لوجهك . . .

سيدي أتسبني عفواً وتحسبني من السراق ؟
- لا فالريال مزيف . . .

- أمزيف ! . . . صاحت وقد سقطت من الارهاق

سقطت على قدم الشفا بكت لها عين العلى ومكارم الاخلاق
وبكى عفاف الآنسات عفافها خلل السجوف بمدمع مهراق
يا طير عفتها فديتك طائراً هلا حذرت جائل القساق .

طلعت عليها الشمس وهي سجيئة وفتاتها ضيف على الاشواق
اما الاثيم فلا تزال شباكه منصوبة لنواعس الاحداق
يسقى الرحيق بأكؤوس ولوا حظ والله يكلاً - «وهو نعم الواقي !»

شارة الخوري

مخطوطات ومطبوعات

جولة المذاكرة وجولة المحاضرة

الصالح الصفدي من المكثرين من التأليف والمجودين فيه . ومن جملة كتبه مخطوط في الخزانة التيمورية من فروع دار الكتب المصرية هذا الكتاب ، أوله : الحمد لله الذي جعل لسان العرب أفصح الألسن . . . قال وبعد فهذه اوراق أودعتها أذاصر ما حضر ذاكرتي ، وأدرج ضمنها جواهر ما قدفته حافظتي ، عرضت حاصل فكري فانتخبت منه هذه الزبدة ، ورقته في هذه البرود المحررة ، وأنبته في رباعا الزاهرة ، والتزمت ان أورد فيها مارق معناه وراق لفظه وشق الأوتيان بمثلد وشاق حفظه . وهذا الاسلوب حافظ عليه اهل الأدب من المتأخرين ، وسلكه اهل الذوق السليم من الناضجين والناثرين ، فجلوا أبكاره المستكنة في حدود خراطهم ، وأطلعوا أثماره المستجنة في آفاق ضمائرهم ، لأن ما أتوا به أطرى في المصامع وأطرب ، وأمرى في القلوب وأمر ب . . .

ومقدمة الكتاب في معرفة فنون الشعر والقابها قال ان الشعر إن أثنى به على حي فهو مدح كقول أبي الطيب في سيف الدولة :

نهيت من الأعمار ما لو حوبته : لهنث الدنيا بأنك خالد

قال ابو الفتح عثمان بن جني رحمه الله تعالى : لو لم يمدحه الا بهذا البيت وحده لكان قد أبقى له ما لا يخلقه الزمان . وقال الشيخ تاج الدين الكندي : ما أجل هذا البيت وأحسنه ! مدح في مدح ، تركب من وجهين بلفظ جزل لطيف ، وذلك انه بنى البيت على ذكر انه استباحه من المادية ، ثم تلقاه في آخره بسرور الدنيا يقاته واتصال أيلمه . .

وإن أثنى به على ميت فهو رثاء وتأبين كقول التميمي في ابن زياد :

ردت صنائعه عليه حياته فكأنه من نشرها منشور

قال بعض الأفاضل ما مات من قيل فيه مثل هذا البيت .

ولو ذكر فيه لوثم أو جبن أو بخل أو ما هو ملحق بذلك فهو هجاء كقول

بعض العرب^(١) :

قوم إذا استبح الأضياف كلهم قالوا لأهم بولي على النار

زعم بعضهم انه لم يسمع أشد هجواً من هذا البيت وذلك انه وصفهم بالبخل

من كون نارهم تطفأ لتلا يهتدي الأضياف الى طلب قرامم ، ثم انه بالغ في

وصفهم بشدة البخل ، لأنهم يطفئون النار يول أمم ، حرصاً منهم على الماء .

ثم انه وصفهم بالجبن والكسل ، لأنهم يتركون أمم تتولى خدمتهم ليلاً ، ولم

يأتقوا من ذلك ، ثم انه وصفهم بالعقوق ، وقلة الأدب إذ يخاطبون والدتهم بمثل هذا

الخطاب السفيه ، ثم انه وصفهم بالقلة والصعلكة بحيث ان نارهم في القلة الى غاية تطفأ بيولة

المرأة ، وقد تكلف بعضهم واستنبط منهم أشياء أخر بعيدة التأويل اضربت عنها . ولو

ذكر اخلاف وعد ومطل وقلة وفاء وامثال ذلك فهو عتاب . والكتاب كله على

هذا النحو وهو في ٢٠٣ صفحات صغيرة .

محمد كرد علي

(١) هو الأخطل (الديوان طبع المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ٢٢٥)

الذخيرة لابن بسام

كتاب اتخيرة في محاسن اهل الجزيرة جزيرة الأندلس من اشهر كتب الأدب في الغرب ، فهو ككتاب يتيمة الدهر للثعالي في الشرق ، وضعه صاحبه ابو الحسن علي بن بسام الشنبريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ . وكان اماماً في الصناعتين صناعة النظم وصناعة النثر . والكتاب يحمل صفحات اطالت حجمه ، ولكنها ابانت عن اقتدار المؤلف وإيثاره الاستقصاء ، وثبت بها ان اهل الاندلس ما كانوا يقلون عن اهل الشرق بأدبيهم الذي تقرأ فيه طابعم .

وقد حمل هذا الجزء الأول ترجمة المستعين بالله سليمان بن الحكم والمستظهر بالله وابن دراج التسطلي وعلي بن حمود وابن برد الاكبر والوزير عيسى بن سعيد القطاع وعبد الوهاب بن حزم والفقير ابي محمد بن حزم ومنذر بن يحيى التجيبي وابن شهيد وابن الاقليلي وابن زبدون وابن حنط الكفيف وغير ذلك من الحوادث السياسية . واستوفى تراجم الأمراء الفصحاء والشعراء والأدباء والعظماء . ومن مطالعة هذا السفر يتجلى الأدب الأندلسي كل التجلي . . ويعرف بما نقل المؤلف في كتابه عرماً ان حملة الأقلام واعلام الشعراء كانوا بتأديبوت بأداب الأقدمين والمحدثين من العرب ، وكانت معرفتهم ثابتة بأدب كل من نبغ في عصرهم في الشرق . وقد تسقط لأدبائهم على آراء غريبة ، ولا عجب فطابع كل ادب مقتبس من بيئته ، ولهذا كان ادب الأندلس غير ادب بغداد ودمشق والفسطاط .

من ذلك ما رواه ابن بسام للوزير عامر بن شهيد : « واصابة اليان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحول بل بالطبع مع وزنه من هذين ، ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه ، فمن كانت نفسه في اصل تركيبه مستوية على جسمه ، كان مطبوعاً روحانياً يطلع صور الكلام والمعاني في أجمل هيئاتها ، وأروق لبساتها ، ومن كان جسمه مستولياً على

نفسه — من أصل تركيبه — والغالب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصاً عن الدرجة الأولى في الكمال والتمام وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتى منه في حسن النظام ، صور رائعة من الكلام ، تملأ القلوب ، وتثغف النفوس ، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أساً لم تعرفه ، وهذا هو الغريب أن يتركب الحسن من غير حسن (ص ١٩٢) .

وقال ابو عامر (٢٠٢) : « وكما أن لكل مقام مقالاً فكذلك لكل عصر بيان ، ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة . وضرب من البلاغة ، لا يوافقها غيره ، ولا تهش لسواه ، وكما أن الدنيا دولاً ، فكذلك للكلام ثقلاً وتغاير في العادة ، ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان ، فالصنعة معهم أفصح بقاءً ، وأشد ذراعاً ، وأنور شعاعاً ، لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم . ثم دار الزمان دورانا ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، ففرقت الطبائع ، وخفث ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى اهله باللطائف صلف ، وبرقة الكلام كلف ، فكانت إحالة أخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابها . »

لا جرم ان حرص الاندلس على الأخذ من الشرق وأدبه ، ووقوفه بالمرصاد لمراقبة حركته العلمية كان من الخير للأدب ، مثال من ذلك صغير ، ولكنه يدل على أمر عظيم ، قال ابن بسام : (٣٦٥) وكان ابن جهور كسر دنان الخمر ، وكان مدحه أيضاً يومئذ يمثل ذلك عبد الرحمن بن سعيد المضر بشعر أوله :
كسرت لجبر الدين أوعية الخمر فأحرزت خصل البقي في الكسر والجبر
عمدت الى الشر الذي جمعوا له ففرقت منه ، فاسترحنا من الشر

في أبيات غير هذه استبدت جملتها ، وإنما ذهب الى عكس قول من تقدم
من عبث الشعراء من ذم صبّ الشراب ، ومن أشيره قول بكر بن حارثة
الكوفي ، وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

يا لقومي مما جنى السلطان لا يكن للذي أهان الهوان
سكبوا في التراب من حلب الكر م عقاراً كأنها الزعفران
صبها في مكان سوء ، لقد صا دف سعد السعد ذاك المكان
من كبت يدي المزاج لها لو لو نظم والفصل فيها مجام
فاذا ما اصطبحتها صغرت في القدر عني من أمه الخيزران
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه الانسان !

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات فقال للمنشد : « من حق الفتوة
أن أكتبها قائماً ، وما أقدر إلا ان تعمدني » لنقرس كان به . قال المحدث :
فعمدته وقام فكتبها . »

ومن ذلك قطعة ظفر بها ابن بسام سليمان بن الحكم الأموي الذي يبيع
بالخلافة سنة اربعمئة « عارض بها هارون الرشيد » فتشعشت بها الكؤوس ، وتهادتها
الأنفاس والنفوس ، قال هارون الرشيد :

ملك الثلاث الآفات عاني وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعن ، وهنّ في عصياني !
ماذا إلا أنت سلطان الهوى — وبه قوين — أعز من سلطاني
فقال سليمان المستعين :

عجياً بهاب الليث حد سناني وأهاب لحظ فواتر الأجفان
فأفارع الأحوال لا متبياً منها سوى الإعراض والهجران
وتملك نفسي ثلاث كالدّمي زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككروا كب الظلام لمن لناظري من فوق أغضسان على كئبان

هذي الهلال، وتلك بنت المشتري حسناً، وهذي اخت غصن البان
 حاكت فيهن السلوة الى العبا فقضي بسلطان على سلطاني
 فأبجن من قلبي الحمى وتركتني في عز ملكي كالأسير العاني
 لا تعذرلوا ملكاً تذلل للهوى ذل الهوى عز وملك ثاني
 ما ضرر أني عبد من صباية وبنو الزمان ومن من عبداني
 إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كفتاً بين فلست من مروان .»

ومن قوائد هذا الجزء ما صدر عن المظفر بن ابي عامر بقلم ابن برد الأكبر من كتاب يدل على مبلغ حرص الاندلسيين على اللغة وجمال الخط والوضع قال في معنى استكتاب الجهة (٨٧) (٠٠٠) فلم يبلغ ان يحكم الخط فيقيم حروفه ، ويراعي المداد فيجيد صنعه ، ويميز الرق فيحسن اختياره ، وعجزه الحزم النافذ والحكم الصادع ، بان يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها والاعداد في رؤوس رسومها ، بخطوط أيدي القواد والعمال ، من كان منهم كاتباً فييده ، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف ، وان تكون تسمية طبقات الأجناد فيها بينة الحروف قائمة الخطوط . . . على أنه إن ورد لأحد من الخدمة بعد وصول ذلك المهد اليه كتاب اعتراض او عمل في رق ردي ، او بمداد دني ، او خط خفي ، فيه لمن ، او كتاب على بشر في عدد ، او رأس رسم مالم يخف او يقع في حشو الكتاب ويستذر منه ، ليطلن سعي كاتبه فيما كتب ، وليعاجلن بعقوبة العزل واغرام المال الثابت عدده في ذلك القنناق . . . وان قوماً من خدمة الحضرة قد عادوا لما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دني الرق دقة من مهمهم ودناءة في اختيارهم ، وجهلاً بأن الخط جاء الكتاب وسلك الكلام . . . وانا أعطي الله عهداً لن ارفع اليّ - بعد بلوغ عهدي هذا أقصى حدود المملكة وانتهائه أبعد أقطار الطاعة - كتاب على الصفات المذمومة ، والاحوال المسخوطة ، من رق او مداد او خط لأوفين لصاحبه بما قدم اليه من الوعيد .»

قسم المؤلف كتابه أربعة أقسام : قسم لأهل قرطبة وما صاقبيا ، وآخر لأهل الجانب الغربي من مدن الأندلس ، وذكر أهل اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، والثالث أهل شرق الأندلس ، واستوعب القسم الرابع من طراً على جزيرة الأندلس من مشهوري الآفاق ممن نجم في عصره بأفريقية والشام والعراق . واعتمد على ما كتبه ابن حيان مؤرخ الأندلس العظيم في الحوادث السياسية واتتصر على ما كان من شعر معاصريه ، ولم يعرض لمن كان قبله لأن من سبقه من المؤلفين وضعوا لذلك الكتب فلم يجب ان ينازعهم .

تصدى المستشرق الفرنسي ليفي پروفتصال للبحث عن الكتاب واختار مصر لنشره ، فألف القسم العربي في كنية الآداب من جامعة فؤاد الاول لجنة من طلابها النابهين تعد الكتاب للنشر ، ثم تعرض اعمالها على لجنة قوامها احد فائزنا الاساتذة الدكتور طه حسين بك واحمد امين بك والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والسيد عبد الحميد العبادي والدكتور عبد الوهاب عزام والسيد ليفي پروفتصال ، فخدم الكتاب بذلك اجل خدمة ولم تقع فيه غير حنات قليلة لا يخلو منها كتاب قديم يراد احياؤه على الطرائق العلمية الحديثة .

وكان السيد پروفتصال اطلعني على بعض تعاليق على هذا السفر وضعها بالفرنسية على عادة علماء المشرقيات منذ القديم ، وكانوا يضعون ملاحظاتهم على ما يجوبون نشره من كتبنا بلغاتهم الغربية ، وأصبحوا منذ عهد قريب يجعلونها بالعربية . لفة الكتاب ، فطلبت اليه أن يكتب ملاحظاته بالعربية ، ولفت انظار لجنة نشر الكتاب الى ذلك فوافقوا على رأيي ، ولطالما لاحظت على بعض العلماء المستعربين من الغربيين في هذه المجلة ، كما نشروا كتاباً لنا وجعلوا مقدمته وحواشه بلغاتهم ، ذاكراً لم ان الكتاب لا تتناوله أيدي المستشرقين فقط ، بل أيدي أبناء العرب ، ومنهم من لا يحسن اللغات الاوربية ، فكتابة التعليقات بغير لغة الكتاب الاصلي ضرب

من العنت يحرم بها قسم عظيم من الراغبين في الاستفادة من الكتاب ، وكان
 الاستاذان ريتز ونيبرغ هما اللذان سنا هذه السنة الحسنة للمستشرقين فجعلنا
 ملاحظاتها ومقدماتها بالمرية على ما نشرنا من الامهات ، ومنها الوافي بالوفيات للصفدي
 ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين لابي الحسن الاشعري والانتصار للخياط .
 وقد وعد المقدم للكتاب الدكتور طه حسين ان يصدر الكتاب في مجلدات
 ثمانية لكل قسم من أقسامه مجلدان ثم تصدر اللجنة بعد تمامه مجلدين احدهما يشتمل
 على فهارس في موضوعات الكتاب وما فيه من الاعلام والثاني يشتمل على ملاحظات
 مفصلة تمس النص وتنصل بالنسخ المختلفة والمراجع التي يرجع اليها المؤلف في
 تأليفه ورجع اليها المصححون في تصحيحهم وعلى معجم الالفاظ والاصطلاحات
 الاندلسية التي لا توجد او لا توجد الا قليلا في كتب الشرق ، فترجو لهم اتمام
 هذه الامنية ونشكر لجامعة فؤاد الأول عنايتها باحياء هذه المعلمة الاندلسية على
 نفقتها واللجنة التأليف والترجمة والنشر على طبعها لها في مطبعتها على المثال المتقن الذي
 عودتنا عليه من اصدار مطبوعاتها النافعة .

محمد كرد علي

ديوان طفيل بن عوف الغنوي

وربوان الطرماع بن مكيم الطائي

عقدت لجنة ذكرى «جيب» الى المشرق الكبير الاستاذ ف . كرنكو المعروف بين قراء العربية بسالم الكرنكوي بتحقيق وتخرىج هذين الديوانين المجموعين في مجلد واحد محفوظ في المتحف البريطاني ورد في آخره انه كتب سنة ثلاثين واربعماية .

أما الديوان الأول فهو ديوان الطفيل رواية ابي حاتم السجستاني عن الاصمعي . عدد قصائده عشر مع شرح موجز للسجستاني ، عدا ما استدركه الاستاذ كرنكو فجعله ملحقا للديوان وهو ما عثر عليه من شعر الطفيل مما لم يذكر في الديوان . والطفيل هذا شاعر جادلي فارس ينتسب الى قبيلة غني من قبس بن عيلان ، قاد قبيلة وأغار بها على طيء . وشعره يمثل حياة البادية في الجاهلية ويكاد يكون سجلا للاحداث الخطيرة التي شهدتها قبيلته ، يذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد واطراف الشام وحروبها مع طيء وموالاتها بني الحارث بن كعب وبني جعفر وبني سعد بن عوف ويفخر بمساعيها ويرثي شيوخها .

واكثر ما يحتفل به من المعاني وصف الخيل والتفنن في نمتها والثناء عليها والانراط في حبها والاكثر من ذكرها حتى سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وعد من اشهر من وصفها وجعله صاحب الأغاني اوصف العرب للغيل . قال عبد الملك بن مروان : « من أراد ركوب الخيل فليرو شعر طفيل » . وله في وصف الابل ما هو دون ذلك .

وهو في اكثر شعره جاد ، مقتصد في غزله متصاود فيه قليل اللعول لا يكاد يبعث ، يصف الغارات وبلاء قومه فيها ويتغنى بالشجاعة والكرم والعفة والمآثر

وفخر بها ويحضر عليها ولذلك أحبه رجال الجد والعمل كماوية وعبد الملك ،
فقد روي عن معاوية انه قال : « دعوا لي طفلاً وسائر الشعراء لكم » وروي
عن عبد الملك انه قال لولده واحله : « أي بيت خربتته العرب ووصفته اشرف
حواء واصلاً وبناء ؟ فقالوا فاكثروا وتكلم من حضر فأطالوا ، فقال عبد الملك :
أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذي يقول فيه :

وبيت تهب الريح في حجراته . بارض فضاء بابيه لم يحجب
سماوته أسمال يرد محبر وصهوته من اتجمي معصب
وأطنابه ارسان جرد كأنها صدور القنا من بادي ومعقب
نصبت على قوم تدر رماحهم عروق الاعادي من غريروأشيب »

وبأتي بعد ديوان الطفيل ديوان الطرماح بن حكيم الطائي وعليه شرح موجز
ولكن لم يذكر فيه اسم جامعة ويظن الاستاذ كرنكو انه الطوسي احد من جمع
شعر الطرماح ، وعدد قصائد الديوان ثمان ، ويليهما ذيل جمعه الاستاذ كرنكو وفيه
طائفة صالحة من شعر الطرماح مما خلا منه الديوان .

والطرماح ينتهي نسبه الى طي وهو من فحول الشعراء الاسلاميين ولد في
الشام حوالي منتصف القرن الأول ونشأ بها وانتقل من الشام الى الكوفة مع
جيش من جيوش اهل الشام ، وفي الكوفة مال الى مذهب الخوارج فاعتقده أشد
اعتقاد واصححه حتى مات عليه . وذهب من الكوفة الى بلاد فارس واقام بالري يشغل
بالعلم ، وعاد في آخر ايامه الى الكوفة وتوفي فيها بعد انتضاء القرن الأول بقليل .
كان الطرماح واسع الرواية تعلم النحو وطلب غريب اللغة وعلم الأدب . وشعره
وأخباره تدل على استقامة وجد وحزم وثقوى شأن أكثر الخوارج ، فلم يكن يميل
الى العبث واللهو بل يغلب عليه الجد والعفاف . وهو مع علو همته وانفته فخوره تباه
بفخر بنسبه ونسبه ويتعصب للقحطانية على المدنانية ويعتز بقيلته واسلاميته وشاميته
واشعاره في ذلك غير قليلة .

وتغلب على شعره الجزالة حتى تنتهي في كثير منه الى الغريب والعويص ويظهر عليه أثر الاسلام واضحا جليا . ثقرأ شعره قري نفس شاعر فارس سمح بجم المروءة حي الأتف كبير النفس حسن الايمان لا يكاد يصرف شعره في سبيل الزلفى والتكسب بل يرسله معبرا عما يختلج في نفسه من براعت الشعر فيصف ويتغزل ويفتخر ويهجو ويرسل المثل وينطق بالحكمة والموعظة . وتكاد تكون جميع قصائده الطويلة من هذا النوع لم يمدح بها أحداً ولم يرث بها أحداً بل قالها لوجه الشعر . وإلهام البادية في شعره أظهر — مع أنه حضري نشأ في الشام ودخل بلاد فارس — اذ ترى فيه لمع السراب وتشم منه عقب الشيخ والقيصوم وتسمع عريف الجن ورجاء الابل وهو يعد من أكثر الشعراء تنبعا لغريب اللغة وعويصها ولغته في قسم كبير من شعره أشبه بلغة الرجاز الذين كانوا يباهون بالغريب مثل المعجاج وابنه رؤبة وابي النجم ولكن الذي ينبغي التنبيه اليه ان الطرماح لا يتكلف الغريب في كل شعره بل في قسم منه .

ومن مختار شعر الطرماح قوله يفخر :

لقد زادني حبا لنفسي اتني بفيض الى كل امري غير طائل
واني شقي باللثام ولا ترى شقيا بهم الا كريم الثمائل
اذا ما رأني قطع الطرف دونه ودوني فعل العارف المتجامل
ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الضيق في عينه كفة حابل
أكل امري التي اباه مقصرا معاد لاهل المكرمات الأوائل
اذا ذكرت مساة والده اضطني ولا يضطني من شتم اهل الفضائل
وما منعت دار ولا عز أهلها من الناس الا بالقنا والقنابل

ولقد ترجم الامتاز كرنكو الديوانين المذكورين مع ما استدركه عليهما الى اللغة الانكليزية وجعل لها مقدمة ضافية وفهارس للقصائد والمقطوعات والاعلام والمظان ومعجما لفردات الديوانين مع ترجمة المفردات الى اللغة الانكليزية بعناية وجهد وتديق تم على علم وفنل وبراعة .

خيل مرسوم بك

مِلْحَمَةُ الْعَرَبِي

الجزء الثاني شباط سنة ١٩٤١ صفر سنة ١٣٦٠

سخيف عاداتنا (*)

تبدل العادات بتبدل الدول والمدنيات ، وتفعل في تلوينها كثرة المهاجرات والرحلات ، ويندر ان تتفق عادات بلد مع بلد أو اقليم مع اقليم . ومن العادات في ديارنا ما هو جميل لا ضرر فيه ، ومنها ما هو قبيح يحمل أضراراً . وكلامنا هنا على هذا النوع الأخير الذي يتأذى منه أرباب الذوق وعشاق النظام . وبغير التعليم لا سبيل الى نبذ العادات السخيفة ، فالتعليم فتحد المنازع ، وتقل الفوارق ، ويشيع بين المواطنين كل حسن نافع .

من عاداتنا في اللقاء أن يباغت الرجل صاحبه في بيته أو في محل عمله في الوقت الذي يناسب الزائر وقد لا يناسب المزور . ومن النادر ان يستأذن الطارق ، كأن يقرع الباب بلطف ، ويقف ريثما يسمح له بالدخول ، وقد نسبت عادة الاستئذان ، وكانت مستحكمة عند أجدادنا في القرون الماضية ، فعدنا تقتبسها اليوم من الافرنج . ومن المؤسف ألا تكون لنا اوقات معينة للزيارات ، ولقاء الاخوان والمعارف ، وان تترك مثل هذه الأمور الجهرية فوضى ، وقد جعل بعض السيدات في المدن يوماً خاصاً لاستقبال صويحباتهن وذوي قرباهن ، فنقدم في هذه المأثرة ونجاهن . كان الرجل اذا دخل مجلساً يوسعون له فقط ، فيسلم ويسلمون على عادة العرب في الجزيرة الى اليوم ، وكان ينذر القيام للزائر الا اذا كان لعظيم جمع على عظمته ،

(*) محاضرة الأستاذ محمد كرد علي في راديو الشرق (بيروت) مساء يوم ١ شباط ١٩٤١

يقومون له مرة واحدة ، وألفوا لعهدا ان ينتصروا قائمين لمن كان ذا حرمة في ذاته كما دخل المجلس وخرج منه ، ولو تكرر ذلك عشر مرات ، يزعمون انهم يكرمون صاحبهم بذلك ، وقد يكون الرجل في يته ، وجماعته يحاولون اكرامه ، واجلاسهم في المكان الذي يتخيّلون انه رفيع ، وما أرى وجهاً لأكرام الرجل في داره ، وواجبه هو ان يحتفي بضيوفه وزواره .

واذا دخل المجلس صاحب شأن في الدولة فالخفاوة به تزيد على الخفاوة بغيره ، وكلما كان الداخل رب جاه وغنى ، او ممن يخشى شره وان كان لا يرجى خيره ، يزيد الاحتفال به والاقبال عليه ، فيهب كل من فيه حبة رجل واحد ، وبأخذون يده ليجلسوه في المكان الممتاز بينهم ، او الذي يتوهمون انه ممتاز ، وقد تكون المقاعد كلها متشاكلة ، لا فرق بين ما كانت منها عند الباب ، وما جعل في صدر المجلس ، فيقف الحضور على الأقدام دقائق حتى تتم هذه العملية ، وتسمع خلال ذلك الايمان والхلف بالمولى وبغيره ، ويفعلون مثل ذلك اذا انتروا الدخول الى مجلس او الخروج منه ، فاذا اجتمعوا يتعب أهل المجلس حتى يرضى الداخل ان يتخذ مقعده الذي يجري الاتفاق على ان يخصوا به زائرهم وجاليسهم ، وبقتنمون بأنهم قاموا باجلال صاحبهم ، وفي الغالب انه لا يتم ذلك كله حتى يشدوا الداخل من يده او يدفعوه في صدره ، اذا أبى مطاوعتهم على ما يخصونه به من الاكرام .

ولطالما اجعدت عن الوقوع في حكم هذه العادات التسيعة التي تؤذي القادم على المجلس ، وتعطل وقته وأوقات من اجتمع فيه ، وقد لا انجو من هذا التكريم الذي لا معنى له الا بعد اسماع من يحاول شدي كلاماً قاسياً أدفعه به غني ، فأجلس حيث ينتهي بي المجلس ، على ما اهوى لا على ما يهون ، لا استجيز اخذ مقعد أحد بعده المسكين مكاناً مشرقاً له ، ولا اختار موضعاً يأتي بعد لحظة شخص أكبر مني ، او شيخ معمم متزمت أو احد من في قبضتهم الرواتب والمناصب من الحكام ، فاضطر الى أن اتنازل عنه مرغماً .

وكانت لطبقة الاعيان في مجالسهم عادة من أقبح ما يسجل من انواع العادات ،
 سرت اليهم من الترك العثمانيين غالباً ، وذلك ان تبدأ عملية أخرى ، بعد العملية
 المقدمة التي كان فيها الدفع والجري والحلف ، لا تقل عن عملية اجلاسه غرابية ،
 وهي انهم اذا جلسوا يسودهم الكوت بضع ثوان ، وناظورة المجلس ، ومن كان
 في طبقتة ومقامه بتغامزون ، ويسترحم الواحد من صاحبه ان يبدأهم بالسلام .
 فيصرف المتشاكلان في السن وقتاً حتى يتم السلام ، وينال الكبير في نظرم هذا
 الشريف ، وينفض هذا الاشكال . وبعد ذلك يحق لأهل المجلس أن يسلم بعضهم
 على بعض . وكادت هذه العادة تبطل وهي من أسخف ما ألف المتنطمون .
 وتجيء بعد ذلك مشكلة أخرى وهي تقديم القهوة للحاضرين ، وفيها ما يعبت أيضاً
 بأداب المعاشرة ، ويضيع على الحضور وقتهم . فيأتي من يقدر الخادم او الخادمة انه
 كبير المجلس ، ويخصه اول الحاضرين بالفنجان الأول ، فلا يرضى اخذه فينشأ
 المتناول يتنقل بما يحمل من ضيف الى ضيف ، فيأبى كل من يقدم اليه . . . فنجاناً ،
 ويشير بأن يخص بهذا الشرف من هو اكبر منه ، وتبدأ الأيمان والرجاءات وقد
 يقوم بعضهم من مكانه ويحمل فنجاناً الى آخر يراه لائقاً بالاكرام ، وعندئذ يستقر
 الرأي على أن يتناول المقدمون أقداحهم ويستمع الباقيون بأخذها ، وذلك بعد أن
 ينفد الصبر وتبرد القهوة والشاي وغيرهما . وفي الغرب يتناول المرء ما يعرض عليه ،
 وقد يؤثرون السيدات بالتقديم ثم يأخذ الرجال بدون تفريق بين كبير وصغير ،
 ويرجع ذلك الى تقدير الساقى ، وقد اتبنا عن شيوخنا عادة البداءة باليامن ،
 فيقدم الساقى القهوة او غيرها آخذاً من اليمين اي يمينه ، ولو كان المتناول الاول
 وليداً او وضعياً بالقياس الى من في صدر المجلس ، وهي عادة مستحسنة توفر على
 الناس أوقاتهم وحلقهم وسخافاتهم ومشكلاتهم .
 ومن منكر عاداتهم اذا اجتمعوا ان يخلطوا بين الأحاديث ، وقد يهمس الجار

وجاره ويخرجان عن ادب الجماعة ، هذا اذا لم يتكلموا كلهم معاً بحيث يضيع النظام ، كما كانت تختلط اصوات النسوان في الحمام .

ومن أشنع ما ألفوا من العادات عادة لهم يطبقونها في الشارع ، وذلك أن احدهم اذا لقي أحد معارفه ، وقد يكون هذا مع صاحب له أو أكثر ، ووقته يحفره للاسراع ، فيستوقفه ويسأله أسئلة عرضت خاطره في تلك الساعة ، ورفاقه ينتظرون الفرج لحل عقاله ليحل عقابهم معه ، وقد يكونون مثله ضيقاً وقتهم ، ويحاولون الوصول الى عملهم مسرعين . وربما كان ايقافه هذا لسؤاله عن الحوادث التي تنشرها الجرائد كل يوم ، او لأخذ رأيه في مسألة سياسية تشغل بال الناس ، ويحتاج الجواب عليها الى بضع دقائق أو أكثر ، او للتوسط لمبطل او للسؤال عن عاطل الى غير ذلك من التافهات . وكثيراً ما كان يستوقفني بعضهم فأمتنع من الوقوف ، وهم يقسمون علي بكل مغلظة من الأيمان أن أجيبهم الى سؤالهم في دقيقة واحدة فلا اجيب ولا أقف ، وجوابي وأنا مسرع الخطى ، ان الكلام في الموضوع لا يتأتى في الشارع وان مثل هذه المسائل يبحث بها في خلوة ، وفي وقت فراغ .

كنت في وزارتي الأولى خارجاً من داري صباحاً قاصداً مكتي على قدمي . وكان الشارع مكتظاً بالخلق ، والطريق يجري تعبيده ، والمعبد^(١) ذاهبة جائية ، وقضبان الحديد الطويلة محمولة على العجلات ، وعربات النقل تحمل الاجار والاسمنت والجص ، والفلاحون أتون بمحاصلاتهم الى الاسواق على بهائمهم ، ومركبات الترام واقفة لا تستطيع ان تتقدم ولا أن تتأخر . في هذه الحال من الازدحام المخطر اقترب مني أحد معارفي من متقاعدي ضباط الجيش العثماني ، وسألني حل قضية لأحد اقاربه ، فقلت له : تعال الي مكتي نبحث في المسألة . فقال : أود أن تعطيني رأيك الأخير وتمامهني على ان تسير بما يلتزم مع مصلحة نسبي . فأجبت ان المسألة تحتاج الى ان ارجع الى اخبار القضية ، وأظني قلت ومراجعة القانون ، فقال : أنا اطلب منك ذلك لألمي فيك ، فقلت الآن بتعذر

ذلك ، فأنت ترى أننا في خطر من هذا الزحام ، والفكر مصروف الى التوقي من الصدمات . فتأفف من كلامي ، وعندها قلت له متألماً من قلة ذوقه وتقديره للحال : أنت تخرجت من مدرسة نظامية ، وتوليت أموراً ادارية في الجيش فيما أحسب ، وتعرف اكثر من غيرك معنى الرجوع الى المعاملة الجارية ، فما هذا التحكم ؟ ويكثر مثل هذا المعجز ، وكانوا يلتمسون مني في الطريق أن اتضي لهم أشغالهم كما قد يطلبون الى الطبيب أن يعطيهم تذكرة يضعها لمداواتهم ، وبقروضني ويقولون إن مسألتهم معها كانت صعبة فييدي حلها ، أو ما أشبه ذلك من عبارات الاغراء . كأن الوزير جاء ليعمل لأرباب المصالح بدون التقيد بالقوانين ، وليرضي كل انسان بما يجب بالحق والباطل . ولذلك اضطرت في الوزارة الثانية الى استصحاب شرطي ، وبخاصة اذا كنت وحدي سائراً على قدمي ، والعوام قد يرهبون الشرطي اكثر من الوزير ، لأن الشرطي يدفع عن مخدومه من يقع في نفسه دونه ، وينجيه عنه بلطف أو بالعنف واذا اقتضى الحال يلطمه ويكتب فيه محضراً او ضبطاً ، أما الوزير المسكين فلا يستطيع عمل شيء من هذا ، وغاية ما يتطلب من حلم المراجعين ان يشخصوا اليه في مكتبه ، ومكتبه مفتوح الباب لهم ساعات طويلة من النهار ، وهو وديوانه مشغومان لحل المشاكل ، وقد تقدم لهم القهوة والشاي والمرطبات ولقائف التبغ ويلاطفون ويؤانسون .

ووقاك الله من سخافات القوم في دعواتهم ، وفيها تتجلى درجاتهم في المدنية ، وتقرأ نفسياتهم الغريبة . فقد يدعو الرجل أحباباً او معارف له من مختلف الطبقات لا رابطة تربطهم ، ولا سبق لهم ان تعارفوا ، ويتفق ان يكون في المدعوين بعض المتعادين المتخاصمين او المتنافسين المتباغضين ، فتحصل سكتة في الجلسة ، ويقطب ، بعضهم وتهيج أعصاب آخرين ، ولا يهأوهم الطعام والشراب ، ولا يطيب سمرهم وحديثهم وقد يقذف بعضهم بعضاً بتعريض مؤلم ، ويسمعه الفاظاً جارحة ، فيتألم المقذوف ، وتنقبض صدور من لا غرض لهم من المدعوين لسماع أشياء هم في غنى عن سماعها

في مثل ذلك الوقت ، وهو وقت مرور وراحة ، وصاحب البيت يحار في ارضاء ضيوفه ، ويحاول التوفيق بين المتعادين .

وفي العادة ان يأتي المدعوون بعد الميعاد الذي ضرب له صاحب الدعوة ، وكثيراً ما يتخلف بعضهم الساعة والساعتين عن الوقت المقرر ، وصاحب المأدبة لا تسمع نفسه ان يقدم طعامه لمن اجتمع فيشتد بهم الجوع ، ولا يدرك الداعي انه باكره من حضر على انتظار من تخلف يحقر من لبي الطلب في الوقت المعين ويضيع عليهم اوقاتهم ، وقد تكون لهم مواعيد أخرى ، ولا يأذن باطعام مدعويه الا اذا تم الحشد كله وربما حدثته نفسه ان يرسل ولده او خادمه يسأل عن المتخلف ويستحثه ، وفي الغالب ان المتخلف لا يعتذر شفاهاً ولا كتابة ، وعلى هذا يستلزم تناول وجبة من الطعام ان يصرف المدعوون بضع ساعات .

ومن المستحيل ضبط المواعيد بين كل الطبقات في هذا الشرق القريب ، لأن القوم ما عرفوا التوقيت ، وربما كان ضبط المواعيد مما يستغربونه ، وكلما تقدموا اشواطاً في مضمار الحضارة يحسنون المحافظة على اوقاتهم وأوقات غيرهم . ومسألة المواعيد من المسائل التي شغلت جانباً من وقتي ، وكنت آلم من الاخلال بها ، وقد تغلبت عليها ، وغرستها في صدور بعض الناشئة بصعوبات كثيرة ، ومن المتعذر التنظيم وسط الفوضى . وقد لقنت من أحاطوا بي ورأسهم ، وان شق عليهم عملي باديء بدء ، ان يراعوا المواعيد ابداً لما في فوضى الاوقات من الضرر لهم ولغيرهم ، حتى لا يثبتوا بالاخلال بالأوقات انهم شعب منحط .

وتراهم الى اليوم متى اجتمع المدعوون على اخوان يشد بعضهم بعضاً ، فيجلسون من يحاولون اجلاسه في مقام التكرمة ، ثم يجلسون الأمثل فالأمثل بحسب نظرم او عرفهم . وعاداتهم في تناول الطعام قد دخلها تحمين كثير ، قترام لعهدنا كالقريين يعملون أمامهم اطباقاً لكل شخص ، ومعها كأسه ومنديله ، وسكينه وملقته وأدوات أكله ، يتناول كل انسان الكمية التي يبغيها ، يضعها في طبقه من الصحن

الكبير الذي يقدمه الخادم او غيره ، او يكون علي متن المائدة مع سائر الصحون والاطباق ، وكان المدعوون كلهم قبل . . . سنة يتناولون المرق والحساء وجميع السوائل من اناء واحد علي نحو ما كانوا يتناولون المائعات ويشربون من اناء واحد ، وكان والدي وانا طفل ينخص كل انسان من أسرته او ممن يدعونهم باناء يجعل لنا فيه حصتنا من المرق والحساء ، وبعض المدعووين يستغرب ذلك منه . وكانت سكاكينهم اصابعهم ، وملاعقهم حفاتهم ، والملاعق اذا وجدت فتكون من الخشب غالباً ، ولا يزال لها اثر في بيوت الفلاحين المعدمين ، واذا طعموا او شربوا سمعت لهم قرقرة علي صورة مستنكرة تدل علي جشع ونهم وسوء أدب وتهذيب

ومن عاداتهم اذا تناول احدهم كأس ماء أن يبادره الحضور كلهم بقولهم (هنيئاً) فاذا شرب علي المائدة ثلاث مرات وكان مواكلوه عشرة أشخاص فقط يضطر الي أن يجيب كل واحد بمفرده (الله يهنيك)

ومن عادات الغرب الجيدة التي مرت الينا الثاني في تناول الطعام واجادة المضغ والبلع ، قلما يسمع من احدهم صوت ماضيه عند التهام اللقمة او عند تناول الماء او الشراب او الحساء او المرق . ومعيب ان ينفع احد علي الشاي او اللبن الساخن او القهوة او غيرها حتى تبرد ، وعليه ألا يتناول أشياء من الطبق العام الا بملعقة خاصة بالطبق نفسه ، ويدخر ملعته وشوكته لطبقه الخاص ، فيأخذ ما يأخذ جرعة جرعة بدون ان يسمع صوت لما يكرع ويشرق . ولا يمد يده زيادة عن اللزوم ولا يقف علي قدميه لتناول ما بعد عنه من الاطباق والابازير والمشيات والخبز والماء وغير ذلك مما يجعل علي الخوان عادة ، وله أن يطلب ذلك بأدب وصوت خافت الي مجاوره ومواكله القريب وهذا يرى من واجبه ان يخدمه في ذلك ولو كان كبير المنزل ، واذا تعديت حدود مقعدك فحاولت تناول شيء بعيد عنك بعد عملك احتقاراً له .

ومن أبشع ما يأتيه بعضهم التبجشوء بصوت عال ، والتخنع بما يسمع صدهاء ،
وان بعيد المتخنع طيَّ المتدبيل الذين التي فيه تخامته ؛ اما البصاق على الارض
والتمنيظ باليد كيف اتفق ، وادخال الأنامل في الأنف لاجراج النخامات او ادخال
اليدين في الاذن لاستخراج اوساخها فمن أبشع العادات وأضرها ، فعلى ادارة الصحة
منعها ومعاقبة من يأتيها من العامة . وعلى المجالس البلدية أن تعاقب في المدن والقرى
كل من يخرج الى السوق بمنامته (ييجامته) فثوب النوم لا يجوز أن يظهر به في
الشارع إنسان يحترم نفسه .

ومما يستنكر أن يضع الجالس يديه على المائدة ويضغط عليها بكليته وان يؤذي
جاره برجليه ويديه . ويستنكرون تشديد الداعي على احد مدعوويه لتناول لوت
لا تميل اليه نفسه . والزيادة من لون تخطاه وما استطابه ، واكرامه على أخذ قطعة
من الحلوى يعتقد ان معدته لا تحتملها وتضطره من الغد الى مراجعة الطبيب .
وكم تحلف أيمان وطلاقات في مثل هذه الاحوال حتى ينزل المدعو على ارادة
الراغب ويتناول بالاكراه ما يجب له صاحب المائدة .

ومن عاداتهم في المساء وخصوصاً في دمشق أن يجري العزاء ثلاث ليال على
الميت ، فيأتي الى داره أصحابه ومعارفه ويستقبلهم اولاده واخوته وأبناء عمه وأهله ،
ولا يجري حديث سوى السلام ثم تناول القهوة واللغائف ، على حين أن آل
الفقيد هم في حاجة ماسة الى من يسليهم ، ويحول مجاري أفكارهم ، ويهون عليهم
مصائبهم ، والرجال في هذا الباب كالنساء ، الا أن النساء لا يتناولن القهوة ولا اللغائف
في وسط الجمع ، وهذا من أسخف ما يدون أيضاً كأن المعزين يقولون بلسان
الحال : ها قد جئناكم وعزيناكم . هذا ولو جلسوا دقيقة واحدة ، والغالب أن الجلوس
لا يتجاوز مقداره دقائق قليلة ، واذا كانت المعزى به جليل القدر بين قومه ،
فالمعزون به كثيرون ، والمكان مما اتسع لا يستوعب القادمين في ساعة واحدة .

هذا وصف قليل من عاداتنا وهو موضوع جدير بأن تكتب فيه الكتب والرسائل وتوضع في يانه الخطب والمحاضرات ، ومن حسن الحظ أن عادات الافرنج التي تعبوا أحقاباً في اصلاحها حتى وصلت الي ما وصلت اليه من الكمال في الجملة أخذت تسري اليها من حيث لا تشعر ، وتدخل علينا من طرق مختلفة ، من طريق الاختلاط بالغريبيين او بالرحلة والسياحة او بالهجرة ، او من طريق التعليم في المدارس ومن الاختلاف الى الفنادق والمطاعم التي يتزلفا الاجانب ، وقد تسوغنا بعضها وتمثلنا بعضها ، لما حوت من اليسر والنفع . فمن عاداتهم الحسنة التأنق في تناول الطعام على الموائد ، وايراد أجمل الاحاديث عليها ، والتلطف بكل ما يؤكل بأداة ليسلم من مس الايدي ما أمكن ، هكذا يتناولون الابازير والتوابل والسكر والحلويات ، ويخطاط المتآكلون فلا يأتي أحدهم ما يؤذي جليسه وعلى العكس يخدمه ويتمعه ولا يرتكب ما يخالف به قواعد الصحة وآيين الذوق السليم .

لا جرم أن تأصيل هذه العادات يحتاج باديء بدء الى تعب حتى تتعلمها البيوت اولاً وينشأ عليها البنون والبنات ، وهي تتوقف على معدات وأدوات ، وعلى عقل يديرها وتربية تمثلها . ولا يحصل المناء في العيش بغير ترتيب ونظام . ومهما صعب الأخذ بهذه المذاهب فهي محمودة العاقبة لمن يمارسها ، محببة الى نفس كل عاقل تسمو نفسه الى الكمال ، وترغب في مراعاة قواعد الصحة والذوق لتم له شروط الرفاهية والنعيم . ومن دواعي الاغتياب ان رأينا هذه العادات تسري في القرى التي كثر فيها العائدون من المهجر او الذين ألفوا الاختلاط بالعناصر الغربية كأهل الساحل وسكان الحواضر الكبرى . وقد شهدتها في بيوت ما كنت أظنهم اقتبسوها . في امثال الافرنج : قل لي من تعاشر أقل لك من أنت . ثم قاسوا عليه معنى آخر فقالوا : قل لي ما تأكل أقل لك من أنت ، ونحن نقول أرني كيف تعاشر أقل لك من أنت .

المغرب في ترتيب المعرب

هو كتاب لغوي كثير الفوائد تأليف الشيخ برهان الدين ناصر ابن ابي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي صاحب (المغرب) و (الافناع في اللغة) و (الايضاح في شرح المقامات الحريرية) و (مختصر اصطلاح المنطق) و (المصباح) في النحو . ولد برهان الدين سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) بـجـرانية خوارزم وقرأ علي أبيه عبد السيد يبلده ورحل في طلب العلم فدخل بغداد سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) وتفقّه علي البقالي تلميذ الزمخشري فكان اماماً في الفقه والعربية واللغة وتوفي سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) .

وقفت علي نسخة منه نفيسة في احدى المكاتب نسخها بقلمه بخط فارسي جميل بالخبرين الاسود والاحمر حاسم النجاري سنة ٩٩٧ هـ (١٥٧١ م) وقابلها وصححها من نسخة مضبوطة كتبت سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) وهي من مخطوطات الكونت رشيد الدحداح اللبناني تزيل باريس وناسر بعض الكتب فيها

وهي بقطع الثمن الكبير في ٤٢٨ صفحة وعلي هوامشها تعاليق كثيرة لغوية ذات فوائد جديدة بالمطالعة ، وفي اولها وآخرها بحوث ذات شأن والمغرب ذيل بعنوان (رسالة في النحو) من صفحة ٤٠٠ — الي آخر الكتاب وفيها ضوابط كثيرة في الصرف والنحو واللغة ، والالفاظ مرتبة علي ستروف الهجاء بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها .

نخبة من الكتاب

في صدر الكتاب قبل المقدمة بحث في (الزنديقي) نقله بحروفه وهو من (مجموعة شهاب الدين افندي المتقاعد في مصر) جاء فيه ما نفعه :

زنديق

ليس من كلام العرب انما تقول العرب رجل زندق وزندقي أي شديد البخل ،
 واذا أرادوا ما تقول له العامة (ملحد) قالوا (دَهري) واذا أرادوا السن قالوا
 (دُهري) بالنغم للفرق بينهما ، والهاء في زنادقة وفرازة عوض عن الياء عند سيوريه
 قال ابو حاتم : هو فارسي معرب (زنده كرد) أي عمل الحياة لأنه يقول
 ببقاء الدهر ودوامه

وقال الرياشي : هو مأخوذ من قولهم (رجل زندقي) أي نظار في الامور
 وقال غيره : معرب (زنده) أي الحياة — وقيل : هو معرب أي متدين
 بكتاب يقال له : (زند) ادعى المجوس انه كتاب زرادشت ثم استعمل في
 العرف لمبطن الكفر

وقال الجوهري : الزنادقة الثنوية وتزندق الرجل والاسم الزندقة
 وفي القاموس : هو معرب زندين — وقيل : هو وهم والصواب معرب (زنده)
 وفي المغرب : هو من لا يؤمن بالوحدانية والآخرة
 وعن ثعلب : هو الملحد الدهري — وعن ابن دريد : هو القائل بدوام الدهر
 معرب (زنده) كتاب لمزدك — وخطأ بعضهم من قال : انه معرب زندي لأن
 الياء لمطلق النسبة والهاء لنسبة مخصوصة مثل ينفججه وينفشه وليس بشيء ، ولابد
 الوهاب البغدادي :

بغداد دار لاهل المال طيبة وللمفاليس دار الضحك والضحيق
 اصبحتُ فيها مضاعاً بين اظهريهم كأنني مصحف في بيت زنديق

— وفي المثل : (اظرف من زنديق) انتهت

وهذه نخبة من الألفاظ المشروحة في الكتاب :

الأُتون

مقصود مخفف على (فعول) موقد النار ، ويقال له بالفارسية (كلخن) وهو للحمّام ويستعار لما يطبخ فيه الآجر ، ويقال له بالفارسية (توتق) و (راشون)^(١) والجمع (أتاتين) بناءً على باجماع العرب عن الفراء

الأزج

بيت بيني طولاً يقال له بالفارسية (أوستان) و (سغ) و (كرا)

الآزار

ضرب من أجود التمر . قولم (اتزر) عامي والصواب (إيتزر) افتعل من الآزار أصله (اتتزر) بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء افتعل . و (تأزير الحائط) أن يصلح أسفله فيجعل له ذلك كالأزار ومنه قوله: أزرّ حيطان الدار الموقوفة مازورات

إطار

إطار الشفة يلتقي جلديها ولحمها متمار من إطار المنخل أو الدف وذكر الأزهري: كان عمر بن عبد العزيز (رح) سئل عن السنة في قص الشارب - فقال : أت تقصه حتى يبدو الإطار - وأما (اللطار) كما وقع في بعض نسخ أحكام القرآن فتحريف ظاهر .

أوى

وابواء خشب الفحم أن تلتقي عليه التراب وتستريح به مأخوذة منه - وعليه قوله: يحسب بطن الحطب وأجر الأيواء وأجر الموقد وأجر الاتون

البيوتات

جمع بيوت جمع بيت وتختص بالاشراف

(١) في الأصل (داشوزن) وصحح في الماشية بإراء

الخجالة

الخجالة من خطأ العامة والصواب الخجلة (او) الخجل

الزط

الزط جنس من الهند اليهم تنسب الثياب الزطية ^(١)

زمله

في ثيابه ليعرق اي لفه

الشراخ

هو في عدة السنة الشمسية ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وربع اليوم الا
جزءاً من ثلاث مائة جزء من يوم

وفي القمرية ثلاث مائة واربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدسه وفضل ما بينهما
عشرة أيام وثلاث وربع عشر يوم بالتقريب على رأي بطليموس ^(٢)

ضبب

اسنانه بالفضة اذا شدّها بها

الطحانة

وفي كتب الشروط الطحانة ما تسيره الدابة والطحاحونة ما يديره الماء • ودلوها
ما يجعل فيه الحب

(١) الزط من أسماء الأور أو النجّر وهم من قبيلة (جت) الهندية كانت كثيرة الثروات
فطردت وقرقت إلى بلاد فارس أولاً فسموها (الزط) ولها أسماء كثيرة في البلدان التي استلتها
في آسيا وأفريقية وأروبا وأميركا •

(٢) هكذا وردت بتقديم اللهم على الباء وهو الصواب •

العباءة

كساء واسع مخطط والعباءة لغة فيها والجمع عباء

الفالج

في التهذيب : الفالج نصف الكرّ الكبير . و (الفلج) المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) . ومنه حديث عمر (رض) انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزبة على أهله اي فرضاها وقسمها وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجها كان طعاماً

وقيل : (الفلج) القسمة عن شمر . يقال : فلجت المال بينهم أي قسمته . وفلجت الشيء فلجيت أي شققته نصفين .

ومنه (الفالج) في مصدر المفلج لأنه ذهب النصف (عن أبي دريد) . و (الافلج) المتباعد ما بين الرجلين . واما (المفلج) الاسنان فلا يقال إلا أفلج الاسنان (ابن مسعود) . و (استفلجي) بامرك أي فوزي بامرك واستبدي به من الفلاح وهو الفوز بالمطلوب . ومدار التركيب على الشق والقطع . ومنه الحديث (بالحديد يفلج) . و (الافلج) المشقوق الشفة السفلى وبه سمي ابو القعيس او اخو ابي القعيس عم عائشة (رض) من الرضاعة ، وفي غير الحديث استفلجي بالجيم من الفلج وهو الظفر .

فلج

تفلج رأسه أي شقق وأما تفلت اليد إذا تشقت فهو بالقاف (عن الغوري)

القشّاء

معروف . و (القشّاء) الخيار (عن ابن الاعرابي) وتفسير القشّاء بالخيار تسامح

القدح

(عن الليث) : أكل يقع في الشجر والاسنان .
و (القادحة) الدودة التي تأكل الشجر والسن و (عن الغوري والجوهري) :
القادح سواد يظهر في الاسنان وانشد بيت جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الفم من انيابها بالقوادح
رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو في القلب جارحي

قمع

السرة ما يلتزق بها حول علاتها ، ومنه قمع الباذنجان وأصله من القمع وهو
ما يصب فيه الدهن ، ومنه : ويل لاقماع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون

القنب

قال الكرخي في القنب : انه لحاء خشب ويحب في حبه وهو (الشهناج) -
قال الدينوري في (كتاب النبات) : القنب فارسي وقد جرى في كلام العرب وهو
نبات تدق سوقه حتى ينتثر حشاه (أي تبته) ويخلص لحاؤه . ويقال حبال القنب
وهو الذي يتخذ من الكتان واسم بزره بالفارسية (زغبرة)

قنق

فم مقنق الاضراس أي مما لها الى داخل

الماذيان

هي جمع الماذيان وهو أصفر من النهر وأعظم من الجدول فارسي معرب . وقيل
ما يجتمع فيه ماء الليل ثم تنق منه الارض .

مشت

المرأة مشاً أكثر أولادها . وناقاة ماشية كثيرة الأولاد . ومنه الماشية والمواشي
على التفاؤل وهي الابل والبقر والغنم التي تكون للنسل والقنية

نمض

النمض تنف الشعر ومنه (النماض) المنقش

نام

إنامة الزراجين دفنها وتغطيتها بالتراب مجاز

الوغم

ما بقي من الطعام في الفم

(الوكادة) بمعنى التوكيد غير ثبت (وعلى الهامش) قوله : لم يكن منك
الوكادة أي التأكيد . ولا يوجد في كتب اللغة ولا في استعمال العرب .
الآن أن المصنف ثقة في اللغة يكنى استعماله ، فهو مصدر من وكد وكده أي قصد
قصده ، استعماله في التأكيد لما بينها من (التلبس) (من شرح الكشاف
لسعد الدين) .

هذه أمثلة قليلة من (كتاب المغرب) تظهر شيئا من أسلوبه وأما كتاب الذيل
في آخره فهو (رسالة في النحو) ذات فوائد في تأنيث الأسماء وجمعها واختصاصها
تشتمل على فوائد كثيرة ونوادير وشوارد في الاشتقاق والاصول
وهذا الكتاب أشبه بكتاب (المعرب) للشيخ أبي منصور موهوب بن أحمد بن
محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وقد وقعت لي نسخة
كاملة منه بقطع النصف منقولة عن نسخ أقدمها نسخة بخط محمد بن صدقة بن علي بن
صدقة سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وعليها خطوط العلماء الذين نقلوها وقرأوها على المؤلف .

ونحن بحاجة الى الوقوف على مثل هذه المؤلفات النفيسة في اللغة والمعربات والمصطلحات ، ولا سيما في خزائن مجامعنا العلمية لتساعد على الاوضاع الحديثة وتكشف القناع عن أسرار الاستعمالات قبلاً ، ومن أواخرها كتابا (غلطات العوام) و (التعريب) لابن كمال باشا وفي خزائني منهما نسختان مضبوطتان ، وهناك مؤلفات كثيرة في هذا الباب لا محل الآن لتعدادها ووصفها .

ولقد كتب كثير من علمائنا المتأخرين والمعاصرين بحوثاً مفيدة في الوضع والتعريب في الجرائد والمجلات والكتب ، ولا سيما الجوامع العلمية في الشام ومصر ومجلاتها واختلفت الآراء في كثير منها فلا ينتشر الا ما كان موافقاً لذوق اللغة والمصر وقريباً للافهام ووافياً بالغرض وبقي الآخر مهملًا ، واللغات تحتاج الى التوسيع بما يوافق اساليبها ولا يضر باصولها من الأوضاع أو التعريب عن اللغات كما فعل أسلافنا في العصور الأولى وما بعدها والله الموفق الى سواء السبيل بمنه وكرمه .

المعلوف



عائشة الباعونية

تمهيد

حفزني الى نشر ترجمة عائشة الباعونية الدمشقية في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية حوافز عدة أهمها هذه النهضة النسائية القائمة على ضفاف بردى والتي نرجو ان تنجب لنا أمثال عائشة وسخيتها ومواطنيتها عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني ابن المنصور الدمشقية ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الصاحبة الحنبلية ، بل مثل أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وزوج النبي الكريم التي علمتنا من أمور ديننا ما لم نعلم ، وروت لنا ما يربي على الألفين من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، واشتركت في الوقائع والكوائن وكانت فصيحة الكلام صحيحة المنطق ، راجحة العقل ، سريعة البديهة ، بل كان يباينها السحر الحلال . ومن تلك الحوافز ان يعلم فتياتنا النواهي ان الله لا يضيع أجر عامل ، وان التاريخ يحفظ للمرأة حقها كما يحفظه لشقيقها الرجل ، والنساء كما قال الرسول الأعظم شقائق الرجال وان العلماء يقدرون المرأة الفضلى بحق قدرها ، ويحلونها محل الأرفع من التجلة والحرمة الوافرة في حياتها ، كما أنهم يترجمون لها ويوفونها قسطها من الاجلال والاكبار بعد مماتها .

ومنها أن يتعلمن الجرأة وركوب مراكب الاعتراب في طلب العلم ونيل الأمان من المترجم لها ، التي حملت الى القاهرة وهي في ميعة الشباب فتالت الحظ الأوفر من العلوم ، ثم دخلتها وولدها لقضاء مأرب له وهي كهلة ، وقارظت العلماء الشعر فقرظوها وأثنوا عليها بما هي أهله .

وان يقلدنها بذلك الطموح الذي حملها على الذهاب الى حلب للشول بين

يدي السلطان الغوري أحرص الملوك المصريين على كرامة امته واشدهم اندفاعاً في الدفاع عن بلاده في السنة التي جاست بها جيوش العثمانيين خلال ديار الشام ، ووضت منابك خيولهم ارضها في مرج دابق ، وقضت على سلطانه الواسع العريض فيها وفي مصر والحجاز بما نستدل معه علي ان الباعونية كانت لا تبالى بالحوادث والكوارث وهو ما تمناه لفتياتنا اليوم .

ومنها أن نعلم ان المترجم لها قد أنشأت المولد النبوي الشريف سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م ، وانها نظمت بديعيتها وشرحها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م وان تقرأ كلامها العذب الذي اختتمت به .

ومنها ان الذين ترجموا لها من المتأخرين مثل البستاني^(١) وزينب بنت علي فواز العاملية^(٢) وادوار فنديك^(٣) وجرجي زيدان^(٤) ومحمد كرد علي^(٥) ويوسف اليان سر كيس^(٦) كانوا عبالاً على من تقدمهم من المترجمين كما كانت مثلهم محمد ذهني^(٧) وشمس الدين سامي^(٨) الأعجميين اللذين ترجما لها ولم يلموا بجميع أحوالها . لذلك كله أردت أن انقل من كناشي ما كنت دوتته عن بدعية الباعونية واردفها بترجمة حياتها عن أقدم مترجميها فأقول :

نسخة مخطوطة من البدعية وشرحها . — كنت اطلعت في خزانة الكتب الخالدية بيت المقدس على نسخة مخطوطة من بدعية عائشة الباعونية وشرحها نقلت

(١) دائرة المعارف جزء ١١ صفحة ٢٦٩

(٢) الدر المتثور في طبقات ربات الخدور ص ٢٩٣

(٣) اكتفاء التنوع بما هو مطبوع ص ٣٦١ و ٣٩٣

(٤) تاريخ آداب اللغة ج ٣ ص ٢٧٢

(٥) خطط الشام ج ٢ ص ٦٠

(٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٥١٩

(٧) مشاهير النساء « أي شهيرات النساء » بالتركية ج ٢ ص ١٠

(٨) قاموس الأعلام ج ٢ ص ٣٠٥٦

عن نسخة المؤلف التي نظمتها وشرحتها سنة ٩١٩ هـ ١٥١٣ م ، وقد نقلها ناسخها في اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م وهي السنة التي توفيها الله فيها وذيّلها بما كانت كتبه المؤلفه بآخرها اذ قالت :

كلمة المؤلفه الختامية . - « فجزت كتابها بتة الله تعالى على يدي أضعف
اماء الله تعالى وأحوجهن الى رحمته ، من أهلها الله تعالى لمدح خير بريته وأشرف
اهل الاصطفاء لرسالته ، عبده الأكرم ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم وأشرف
وكرم وعظم بهذه القصيدة المذكورة والمنظومة التي أرجو من كرم الله تعالى أن
تكون في الملاء الأعلى مشكورة خادمة المقام المحمدي المصطفوي سرّاً وعلناً ،
والمعمورة منه بالحسن وزيادة آلاء ومتناً ، عائشة العائشة باتصال مدده المتروية على
يده بنت خادم شريعته يوسف ابن خادم شريعته أحمد بن ناصر الباعوني الشافعي لطف
الله بها وبولدها وبالمسلمين والمسئول من الله تعالى أن يجدي عوائد مبراته واحسانه
ولطائفه وحنانه أبداً أبداً باقياً سرمداً . »
وكتب ناسخها بعد ذلك :

تعليق الناسخ . - عاتقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده أققر عباد الله وأحوجهم
الى مققرته محمد بن احمد بن بجي الانطاكي ستر الله عيوبهم وغفر ذنوبهم . »

تقريظ أحد متلكيها : - وكتب أحد من تملكوا تلك النسخة يقول
للمحرر السيد أبي بكر :

أنت يدبعر لو رآه ابن حجة لأذعن ابن الفضل نازته عائشة
فقد عشت في روض الجنان عزيزة كما كنت في روض البلاغة عائشة

كتب المترجم لها المطبوعة . - وبالرغم من شرح بديعيتها المسمى الفتح
الجبين في مدح الأئمين طبع أولاً في بولاق سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٤ م وبهامشه رسائل

بدبع الزمان الحمداني، وثانياً في مصر بهامش خزانة الأدب لابن حجة الحموي سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م فأننا عرضنا له بهذه الكلمات التي استفدنا منها معرفة تاريخ نظم البديعية وشرحها .

وعلى ذكر البديعية نقول أن مؤلفها في «مولد النبي» عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد طبع أيضاً في دمشق سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م

مؤلفاتها المخطوطة الموجودة الآن . ولم يبق من مؤلفاتها الباقية الى الآن بدون طبع سوى ديوانها المسمى «فيض الفضل» منه نسختان احدهما كتبت سنة ١٠٣١ هـ ١٦٢٢ م ونسخة ثالثة كتبت أيضاً في السنة المذكورة في الخزانة التيمورية ، وفي تلك الخزانة الغنية أيضاً نسختان مخطوطتان من شرحها على بديعيتها الأولى كتبت سنة ١٠٢٦ هـ ١٦١٧ م ضمن مجموعة ، والثانية حديثة كتبت سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥١ م

كتاب بخط المؤلفة . — ولعل من أجل ما تحويه الخزانة التيمورية هو المولد النبوي الذي أنشأته وأسمته «المورد الأهنى في المولد الأسنى» والنسخة بخط يدها كتبتها سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م وقد ذكر لي المرحوم صاحبها بكتابه أن خطها في غاية الحسن وانها صارت تلحق بآخر النسخة. تواريخ مواليد أولادها ، وكانت متزوجة من أحد الشرفاء لأنها كلما ذكرت ميلاد أحدهم قالت ولد لي السيد الشريف فلان في تاريخ كذا

ترجمتها . — أما ترجمتها فلخصناها عن كتاب الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة لمحمد بن محمد نجم الدين النزي العامري السمطي المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥١ م وهو أقدم من ترجم لها قال^(١) :

«عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الشبخة الأديبة العاملة أم

(١) نسخة الخزنة التيمورية بالقاهرة

عبد الوهاب الصوفية المشقية بنت الباعوني احدى أفراد الدهر ونوادير الزمان
فضلاً وعلماً وأدباً وشعراً وديانةً وحيانةً .

تنسكت على يد الشيخ السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي^(١) ثم على خليفة المحيوي
بيحي الأرموي ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظاً وافراً وأجيزت بالافتاء
والتدريس ، وألفت عدّة كتب منها الفتح الخفي^(٢) يشتمل على كلمات لدنية ومعارف
سنية ، وكتاب الملامح الشريفة والآثار النيفة ، يشتمل على انشادات صوفية ومعارف
ذوقية ، وكتاب درر الغائص في بحر المعجزات والخصائص ، وهو قصيدة رائية .
وكتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية ، وهي أرجوزة اختصرت فيها منازل
السائرين للهروي ، وأرجوزة أخرى خلصت فيها القول البديع في الصلاة على الحبيب
الشفيع للسخاوي وبديعية وشرحها وغير ذلك ومن كلامها الخ . «

وبعد أن نقل عبارة لها وصفت فيها نشأتها الصوفية قال : « ولما دخلت القاهرة
ندبت لقضاء مأرب لها يتعلق بولد لها كان في صحبتها المقرّ ابو الثناء محمود بن أجا
الحلي صاحب دواوين الإنشاء بالديار المصرية فأكرمها وولدها وأنزلها في حريمه
وكانت قد مدحته بقصيدة أولها :

روى البحر أسباب^(٣) العطاء عن نداكم ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم
فعرضها على شيخ الأدباء السيد الشريف عبد الرحيم العباسي القاهري^(٤)
فأعجب بها فبعث اليها بقصيدة من بديع نظم فأجابت عنها بقصيدة مطلعها :
وافيت تترجم عن حبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها الخفر
ثم أورد لها قصيدة لامية مطلعها

(١) في الدر المنثور في طبقات الحذور ص ٢٩٣ الخوراني

(٢) في الأصل الخفي وما تخاله إلا من خطأ النسخ (٣) في شذرات الذهب المخطوط أسباب

(٤) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن أحمد البادي الباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ ١٥٥٦ م وترجمته

في الشقائق النمانية في علماء الدولة العثمانية للطبوع بهامش وفيات الأعيان طبع بولاق ج ١ ص ٦٦٥

وكذلك في ريمانة الألبا وزنة الحياة الدنيا للخطابي ص ٢٤١

قل لمن بالقريض يز الفحولاً وانثنى عن قصورهم مستطيلاً
وقصيدة أخرى مطلعها :

ليهنك مجد طارف وتليد يخصك آباء به وجدود

وغير ذلك الى أن قال :

« وذكر ابن الحنبلي : أن صاحبة الترجمة دخلت حلب في سنة ٩٢٢ والسلطان
الغوري بها لمصلحة لها كانت عنده فاجتمع بها من وراء حجاب البدر السيوفي
وتلميذه الشمس السفيري وغيرهما، ثم عادت الى دمشق وتوفيت بها في هذه السنة ١٠٥٠ هـ »
وقد ترجم لها أيضاً عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري بن العماد الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ١٦٧٨ م في كتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب »
وذلك بنقله ترجمة الغزي المقدمة لها .

وتعرض صاحب شذرات الذهب لذكرها في ترجمة محمود بن أجبأ صاحب
ديوان الانشاء بمصر المتوفى سنة ٩٢٥ هـ ١٥١٩ م^(١) فذكر نزولها بداره بالقاهرة
ومدحها له وما كان من اكرامه لها .

مؤلفاتها الأخرى . — وما يؤسف له أن تفقد سائر مؤلفاتها التي أوردها
الغزي في ترجمتها .

بلاغة شعرها . — ولها بيتان من الشعر قالتها في جسر الشريعة لما بناه
الملك الظاهر برفوق هدماً كثيراً مما شيده فحول الشعراء من البيوت وهما :
بنى سلطاننا برفوق جسراً بأمر والأنام له مطيعة
مجازة في الحقيقة للبرايا وأمر بالمرور على الشريعة
ولها في النزول باع طويل وخيال واسع ومن غزلها :

كأنما الخلال تحت القرط سيف عتق بدا لنا من محيا جل من خلقا

(١) كان قاضي قضاة الحنفية مجلب ثم ولي كتابة السر مدة ست عشرة سنة وكان آخرهم في الديار
المصرية وكان نافذ الكلمة وافر الحرمة حنبلاً فاضلاً أميلاً عريقاً .

نجم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا
 اما بديعيتها التي تقدم الكلام عليها فمطلعها:
 في حسن مطلع أقدار بندي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم
 قرية باعون . — باعون التي تنسب اليها عائشة — على ما حققها بطرس
 البستاني مؤلف دائرة المعارف المتوفى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٣ م^(١) — هي قرية صغيرة
 من قرى عجلون عدد بيوتها في زمن المؤلف كان ١٣ بيتاً فقط .
 قلنا وهي من أعمال حكومة شرق الأردن اليوم وقد نبغ فيها جمال الدين
 الباعوني الذي قرر في أواخر سنة ٨٥٩ هـ ١٤٥٥ م في قضاء الشافعية بدمشق وشمس
 الدين محمد بن احمد بن محمد بن احمد الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ ١٤٦٦ م
 وابن اخيه محمد بن يوسف بن احمد المتوفى سنة ٩١٠ هـ ١٥٠٤ م .
 والراجح أن هذا الأخير هو أخو عائشة المترجم لها كما أن شمس الدين عمها
 ونبغ بعد هؤلاء القاضي صلاح الدين زين العابدين الذي أقام بإصالحية
 دمشق وولي نيابتها مدة طويلة ثم توفي سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م رحمهم الله رحمة واسعة .
 عبيد الله مخلص

مخطوطات ومطبوعات

سيرة احمد بن طولون

تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حقيقا وعلق عليها محمد كرد علي

ونشرتها المكتبة العربية في دمشق وطبعتها في مطبعة الترقى سنة ١٣٥٨ هـ في ٢٠٠ ص

ليس لدينا عن احمد ابن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والثام مادة ينتفع بها في تصور حقائقه وحقائق عصره ، وغاية ما أثر له شذرات مفرقة في بطون التاريخ ومنها رسالة نشرها الاستاذ ثورلس لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية اقتطعها من كتاب المغرب في حلى الغرب . ومن جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي من أهل القرن الرابع ألفه على ما يظهر حوالى نحو نصف قرن من وفاة ابن طولون ، وانتفع بمنا كتبه ابن الداية وغيره مما لم يصل إلينا برمته ، وقد أشبع البلوي الكلام في تاريخه وجوده ، وربما فاق ابن الداية في التاريخ لابن طولون ، وان لم يخرج عن أسلوب المؤرخين في عصره من ايراد الحوادث والبعد عن التفسير فيها وترك التاريخي يعمل فكره في مضامينها . وقد صان البلوي قلمه عن نقد ابن طولون وأشار اشارات خفيفة الى مساوئه ، أما المحاسن فقد أبلغ في بسطها واتى بأكثرها في قصص دمشق النفس تلاوتها واستعادتها لجمعها بين الكتابة العالية والفوائد الادارية والسياسة والتاريخية المهمة ، ومنها المتكر الذي يأخذ بمجامع النفس .

وقد وقفنا في هذا السفر على أمور تفرد بها ابن طولون في السياسة والادارة ومنها عنايته بوضع الأضابير والجزازات *Les dossiers et les fiches* فكان حيث انقلب يصحبه كاتب بدون كل ما يقوله وما يقال في حضرته ثم يخلو بكاتبه ويعلم

ما كتب ليحفظ مع الكلام الذي التقي على مسامعه ، ومنها أنه كان أول من استأثر بتأليف جيش محلي في الدولة العباسية وبذلك استطاع أن يعمل حراً في مصر . ومنها انه تعدد للمظالم مرتين في الاسبوع على ما كان الخلفاء في بغداد ودمشق ينظر في المسائل الادارية التي كانت خارجة عن نطاق القضاء ، ومنها أنه أول من أسس ديوان الانشاء في مصر ، وكان هو نفسه منشئاً وخطيباً بالعربية وشاعراً بلفظه التركية . ومنها انه يعنى عناية فائقة بأخذ الأخبار وقد وضع دواوين الجواسيس ينفق عليها نفقات طائلة لذلك كان يريجه أصحاب الخلافة في بغداد وصاحب الروم في القسطنطينية ولو عاش لنزع يده من خلفاء بغداد واستوى ملكاً مستقلاً من كل وجه لأن المصانع التي أسسها والأوضاع التي وضعها في تأسيس مملكته ودار ملكه تشعير بذلك الى حد بعيد .

والى القاري نموذجاً من أسلوب المؤلف وكتابته وصورة صغيرة من ادارة ابن طولون ، فنجتري بها ونحيل من يهيم موضوعه أن يرجع إليه فيه فائدة كثيرة وتسليمة عظيمة ، قال البلوي ومن ذلك ما حدث به سعد الفرغاني :

ركب أحمد بن طولون يوماً الى الجزيرة ، وكانت رسمه اذا قُرب من الجسر أخلي له ، فلما بلغ اليه أمر الناس بأن يسرعوا المحي عليه وأعجلوا ، فلم يبق عليه الا شيخ ضعيف على حمار هنيل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجزيرة ، فلما أعجل الناس وهب ليحجل معهم لم يكن له نهضة ولا لماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر اليه والى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنهم من ازعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسأله في طريقك معه الي عن خبره ، وسبب دخوله الى مصر ؟ فان ذكر ظلامته فأسأله ممن بتظلم ؟

قال سعد : فوقفت عليه حتى عبر احمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ، وقد رددته معي ، فلخوفه انتقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ،

على قدر سير حمارة ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله النسطاط ، فقال : ما ترك لي
و كيل ابن دشومة بذات^(١) الساحل شيئاً أرجع اليه ، و كنت مستوراً فبتكني ، و كنت
غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موطئاً موطئاً .
فدخلت مستغيثاً الى الأمير أبده الله ، وكان ابن دشومة يومئذ أميناً علي أبي أيوب^(٢)
في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون و كنت بالشيخ ، ودخلت اليه في مضر به ،
فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر اليه ابن دشومة من
مصر الى الجزيرة ، ولم يصبر الى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر
فقال له : ويحك إن الضياع تشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فأنت رفيق بهم ،
وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا باصلاحهم ، ظلمت الثمرة ونمت وزكت ، وإن لم يفعل
ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها ، فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية
الى هاهنا ، ولا تبرحها حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يحبه وتعرفني ،
فاني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكروه أحمد بن طولون ، ووجه بمن أحضر
صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كالمعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر
ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الغبن
عليه ، وبلغوا له فوق ما يحبه ، وأحمد بن طولون يطالهم يرسله من حيث لا يعلمون ،
حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ الى ابن دشومة
خادماً بعد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يحبه ، وبكدهم في
الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجزيرة بسبه ، الى ان ينصف فيعود الى
النسطاط ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل اليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ

(١) يفهم مما ذكره ابن عماتي ان ذات الساحل كانت من عمل الجزيرة وهي الى شمال النسطاط

قرية من أم دينار (قاله الأستاذ فيت في تعليقاته على خطط المقرئ) .

(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب .

له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف
 ظلم ، وما عملت في أمره ، فكان ابن دشومة يعيد عليه أمره ، وهو يرعد خوفاً
 من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره ، فلما فرغ من
 شرح ذلك قال له : يا شيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم أيها الأمير ، جعل الله عليك
 واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة ، فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى
 وخرّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحييت ؟ قال : نعم
 أيها الأخير احسن الله إليك كما أحسنت إليّ ، فقال : ما شاء فعل بك ، ذاك بمنه
 وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟ ^(١) قال : خمسون ديناراً قال له : فتطيقها ؟ قال : لا .
 قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ،
 ووهب له خمسين فداناً يزرعها ما أحب ويعطى ثقوبة في كل سنة ولا تؤخذ منه الثقوبة
 ولا تسترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا ان حط العماره عنك
 يحط من منزلتك في بلدك لحططتها ، فدعا له ، فقال : ما فعله الأمير أيده الله في
 امري فهو أكثر من الحطيطة ، وجميعه صدقة عليّ وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله
 منافعك صالح الدعاء ، فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه
 الدينانير فاشتر بها حمراً فارحاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير
 عليك ، وضحك أحمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض فتمعه من ذلك
 وقال له : احذر ثم احذر ان تفعل هذا بأحد من المخلوقين ، فانه لا يؤثره الاكل
 بجوار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل ، فانصرف الشيخ على غابة من السرور ، بما
 تمّ له من إزالة الظلم والمساحة في العماره ، والافضال عليه ، وهبة الدينانير ، وبمازحة
 أحمد بن طولون في الحمار ، فرأيت في انصرافه يبكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون
 بنية خالصة ، وحصل له بذلك جاء في بلده ووطنه ومجده ، ومثله وسطوة .

محمد كرو على

(١) الهارة بالكسر : ما يسر به المكان ، والهاره ، بالنسب : أجراما .

كتاب البديع لعبد الله بن المعتز

هذا كتاب قدّم عبد الله بن المعتز في ابوابه ما وجدته في القرائن واللغة والأحاديث وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون: البديع، وعنده اثنا عشر باباً البديع خمسة: الاسمارة والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها والمذهب الكلامي؛ وقد ذكر بعد فروعه من هذه الأبواب طوائف من محاسن الكلام كالالتفات والاعتراض والرجوع وحسن الخروج وتأكيده المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والحزل الذي يراد به الجد وحسن التضمين والتعريض والكناية والافراط في الضفة وحسن التشبيه والابتدآت. أشار عبد الله بن المعتز في اثناء الكتاب الى انه ألفه سنة اربع وسبعين ومائتين ولم يسبقه إليه احد؛ وغرضه فيه تعريف الناس ان يشاروا مسلماً واباً نواس ومن تقلبهم وسلك سبيلهم من المحدثين لم يبقوا المتقدمين الى شيء من ابواب البديع، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم؛ ثم ان حبيب بن اوس الطائي من بعدهم شغف بالبديع حتى غلب عليه واكثر منه فأحسن في بعض واساء في بعض.

ليس في كتاب البديع شيء خطير من النقد وانما خصائص هذا الكتاب انه تضمن امثالا من البديع مأخوذة عن بعض شعراء المتقدمين فيه كأمري القيس والنابعة وزهير وعن كتاب الله عز وجل وعن الأحاديث وكلام الصحابة وعن بعض شعراء بني أمية كالأخطل وجريز والفرزدق وعن بعض شعراء بني العباس مثل بشار وابي نواس والطائي والبحري وعن بعض الخلفاء كالمصور والرشد وغيرهما. فاذا نظر القارئ الى هذه الأمثال وأعمل فيها يسيراً من الروية استطاع ان يدرك الأطوار التي تقلب فيها البديع من ايام الجاهلية الى ايام عبد الله بن المعتز، واذا كتب لرجال التاريخ الأدبي في هذا العصر ربط هذه الأطوار بعضها ببعض؛

حتى تتصل أواخرها بأوائلها وقياس بعضها الى بعض ؛ تيسر لنا ان نعرف كيف
انتقل الخيال العربي من صورة الى صورة ؛ وكيف امتد من افق الى افق ؛ على
قدر ما كانت فيه من الآثار ؛ كآثار البداوة والحضارة وغيرهما ؛ وحينئذ يتكامل
تاريخنا الأدبي فنشهد فيه تسلسل الخيال والحس والشعور في رجال العبقريّة على
صورة مطردة .

اعتنى بنشر كتاب البديع والتعليق عليه السيد أغناطيوس كرانشقوفسكي
عضو أكاديمية العلوم في لينينغراد والمجمع العلمي العربي في دمشق وطبع الكتاب
في انكلترا سنة ١٩٣٥ وهو يشتمل على مقدمة باللغة الانكليزية فيها اربعة فصول
بحث في بعضها عن تأريخ نشر الكتاب وعن محتوياته وعن المصادر وهي لا تخلو من
آراء أدبية قد ينفع الاطلاع عليها .

نخب ميري

الفنون الصناعية

خمس أجزاء كل جزء في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

هي سلسلة من الكتب الصناعية المدرسية ألفها المهندس الصناعي السيد عاطف أديب المالح أحد اساتذة دار الصناعة بدمشق ، وقد صدر منها الى الآن كتاب في فن التجارة ، وآخر في الآلات البدوية ، وثالث في علم الجبل اي الميكانيك ورابع في الآلات التي تصنع بها الآلات وهو جزءان ، وذكر المؤلف انه سيطلع عما قريب كتاباً في الحدادة البدوية والآلة ، وثانياً في سكب المعادن وثالثاً في صناعة السيارات .

والمؤلف أحد الثبان الذين درسوا في فرنسا وعادوا للتدريس في مدارس سورية ، وعدد هؤلاء الثبان كبير ؛ ولكن معظمهم وبالأأسف لم يحشوا أنفسهم ، بعد عودتهم الى وطنهم ، متاعب التأليف بالعربية ، فأشبهوا بذلك الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في اسطنبول ايام الدولة العثمانية ، والذين انما كان قصارى معظم الحصول على وظائف حكومية ، حتى اذا حصلوا عليها ، ناموا مطمئنين هادئين ، دون ان تستفيد اللغة الضادية منهم أي فائدة .

وليس السيد عاطف المالح من هذا النفر ، فهو قد جد وسعى ، وتحرى المصطلحات الصناعية على قدر طاقته ، ورسم اشكالاً عديدة ضمنها تضاعف كتبه وحفر رواشها يديه ، وطبعها طبعاً متقناً ، فسدت هذه الكتب فراغاً في الناحية الصناعية المدرسية .

ولا شك ان الكتب المذكورة لم تخل من أغلاط لغوية لا يتسع المجال للتنبيه اليها ، ولكن هذه الأغلاط لا تقدر بمؤلفات فنية صناعية قلما يثقف المرء مصطلحاتها الا يشق الأنفس ، وأمام المؤلف متسع من الوقت لا تقآن لغة كتبه في المستقبل ، مادام هوى التأليف بالعربية دافعاً له على العمل .

ومقدمة هذه السلسلة من الكتب المدرسية الثمينة مكتوبة بقلم المهندس الكهربائي السيد اميل غنيوبه مفتش التعليم الفني في سورية .

مصطفى الشهابي

مؤرخ العراق ابن الفوطي

ظفر الامتاز السيد محمد رضا الشبيبي بدار الكتب الظاهرية بدمشق بنسخة نادرة من الجزء الرابع من أجزاء المعجم الذي ألفه مؤرخ العراق ابن الفوطي وسماه : مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب ، ووضع كتاباً يشتمل على تاريخ العراق في عصر ابن الفوطي خص عنه محاضرة وجيزة حاضر بها سنة ١٩٤٠ جمهوراً من أهل العلم والادب في بغداد ونشرت محاضرته في السنة نفسها .

تكلم في محاضرته على كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الفوطي الشيباني البغدادي الذي ولد في بغداد سنة ٦٤٢ هـ ، أي بعد مضي سنتين على مبايعة المستعصم آخر خلفائها ، وتوفي سنة ٧٢٣ واستند في كلامه عليه الى تاريخه نفسه اي الى الجزء الرابع من مجمع الآداب .

شهد ابن الفوطي غارة المغول على بغداد فقد حاصرها التار ثم فتحوها فأمروا خلقاً في جملتهم ابن الفوطي فتيسر له أن يشاهد أعظم ملوكهم واقطاب دولتهم وأن يزور أشهر جواهرهم ويتصل بحكامها وأعيانها وعلمائها ويدرس حالة عصره حتى استطاع أن يصل الى مقاصر الأميرات المغوليات .

إلا أن أمره لم يظل فقد سعى في فكك الفيلسوف نصير الدين الطوسي وصرفه الى دراسة الرياضيات والفلسفة وعهد اليه ان يشرف على خزانة كتب دار الرصد في مبراغة حاضرة المغول فسلخ فيها ثلاث عشرة سنة ملازماً في خلالها لنصير الدين وغيره من كبار العلماء والاساتيد ، وقد أبتقن اللغة الفارسية وربما ألم باللغة المغولية .

وفي سنة ٦٧٨ تمكن بفعل علاء الدين الجويني من الرجوع الى بغداد وعلاء الدين هذا أشهر من حكم العراق أيام هولاكو وابنه اباقاء ، ولم يكتف باعادته الى مدينة السلام ، وإنما عهد اليه ان يشرف على خزانة كتب المستنصرية فشتته

فيها قراءة الفقه والحديث ثم تغلى عن عمله في المستنصرية سنة ٧٠٤. فرحل الى تبريز وأقام فيها ست سنين ثم عاد الى بغداد ثم رجع الى تبريز وقد كثر ترده إليها .
 لابن الفوطي آثار كثيرة ولكن لم يظهر من هذه الآثار إلاّ الحوادث الجامعة ؛ والجزء الرابع من معجمه في التراجم ويرى الاستاذ الشبيبي ان ابن الفوطي انفرد بأسلوبه في النقد الصريح . فكتبه من أصح المستندات العربية التي يعول عليها في تاريخ العصرين الاول والثاني من عصور المغول في بغداد .

شفيق جبزي

الطرفة في مخطوطات دير الشرفة

تأليف

الخور فسقفوس اسحق ارملة السرياني

جونية - مطبعة الآباء المرسلين اللبنانيين ١٩٣٦ (صفحاته ٥٢٦)

هذا الكتاب فهرست مفصل لمخطوطات دير الشرفة الذي انشاء في كسروان عام ١٧٨٦ بطريرك السريان الانطاكي ميخائيل الثالث ، وجمع في خزائنه ما كان قد اشتراه في حياته او نسخه ، وجعل تلك الخزانة الغنية بمخطوطاتها السريانية تؤلف الجزء الاكبر من كتب الدير ، فقد شغل وضعها ٢٨٥ صفحة من الطرفة ، والمخطوطات العربية يتألف وضعها من ١٩٧ صفحة ، وجعل كتب الدير في الصلوات والأبحاث الدينية ؛ على ان المخطوطات السريانية تشتمل من كتب العلم والأدب على ٢٧ صفحة ، والمخطوطات العلمية العربية تشتمل على ٦٤ صفحة فهي أسعد حظاً من السريانية .
 لقد انتشرت الثقافة العربية في الأندلس انتشاراً هزيم اللغة اللاتينية ولغة البلاد الاصلية مما جأز له بالشكوى كاهن قرطبة ، وحمله أخيراً مع القيسيين على نقل كتب الدين الى العربية لينفعا ابناء الملة ، وهو ما حدث في بلاد العرب

كلعراق والشام ومصر وغيرها ؛ اما تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام ؛ وزمن تقل الأناجيل و كتب الصلوات والطقوس ، وزمن اشتغال السريان بتأليف كتب الصرف والنحو ، فيستدل بكتاب الطريقة عليه ، وفيه كثير من الطرائف التاريخية ، منها ما يفيد العرب معرفته كالعلم بالعصر الذي تم فيه اسلام بني تغلب ، فقد جاء في الصحيفة ٣٢٦ من كتاب المرشد للشيخ السرياني اليعقوبي يحيى بن جرير التكريتي مانصه : « وقد كان في العرب نصارى كتي تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ؛ ومعهم اسقف يطوف معهم في الحلال في سفرهم ، وينقل المذبح اعني الدفة المقدسة (طيليث) من موضع إلى موضع الى سنة ثلاثمائة للعرب ، وصل الى تكريت قوم من العرب النصارى ، واجتمعوا لهم ميرة ليستاروا بها ، وكان منهم رجل ديناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الانجيل ٠٠٠ » والعلامة افرام بطريرك السريان في حمص عضو المجمع العلمي العربي كان يبالغ في الثناء على المارجرجي الأسقف العربي النيلسوف ، وقد ذكر له في الطريقة بعض المؤلفات . وثقلة تاريخ الفلسفة في عصرنا . هذا عن اللغات الأوروبية لا يعلمون ان هذا الفيلسوف العظيم هو عربي صميم .

ومما يدل على تغلب العربية على السريانية في بلاد الشام ما جاء في الصفحة ٦٢ من الطريقة : ملاحظة كتبها السيد اغناطيوس بطرس جروة (١٨٢٠ - ١٨٥١) البطريرك الأنطاكي وهي بنصها : « ترجمنا فصول الأناجيل الى العربي ٠٠٠ وبلزم الكهنة في الآحاد والأعياد مع الشمامسة ٠٠٠ أن يقرأوا الرسائل والأناجيل عريباً ، وكذلك النافورات المترجمة من السرياني و ٠٠ » ، وفي الصفحة ١٢٣ وتحت اسم (الحسابات أو السدوات) ، ويراد بها صلوات استغفار خشعية يترنم بها الكاهن السرياني والماروني ، جاء مانصه : « وقد نقلها الأئمة على تراخي الاحقاب الى العربية ليقف على مضامينها جمهور المؤمنين ، فلم يبق منها في أصلها السرياني بين مخطوطات الشرقية الا التز ٠ » ؛ وفي الصفحة ١٣٦ جاء خلال الكلام على نسخة

(الرسامات الكهنوتية) : ان البطريك اغناطيوس (ميخائيل الثالث) هو الذي نقل الصلوات والحسابات الى العربية .

أما اول من الف كتب النحو العربية من السريان فقد جاء ص ٤٣٦ اسم كتاب (شرح الاجرومية للحلة النصرانية) وجاء في الكلام عليه ما نصه : « ويستنتج من ذلك ان السيد غريغوريوس نعمة قديمي صنف كتابه هذا في قلعة ادنه عام ١٧٠١ - ١٧٠٤ اذ كان بعد قسباً ، وانه هو اول من طرق هذا الباب من أئمة المسيحيين ، على ان السيد جرمانوس فرحات لم يؤلف كتابه (بحث المطالب) الا بعد ست سنوات من تأليف السيد نعمة قديمي ، وقد انتشر كتاب السيد نعمة هذا في اوائل القرن الثامن عشر انتشاراً عظيماً كما يتضح من النسخ العديدة المعروفة الى اليوم في دور الكتب .

ومن حكماء اليعاقبة الذين ذكرهم كتاب الطرفة ابو زكريا يحيى بن عدي التكريتي المنطقي الذي نشره رئيس مجعنا كتاب (تهذيب الأخلاق) ، ولا متاعه نشره أيضاً في شيكاغو سنة ١٩٢٨ السيد صويريوس افرام برصوم وصدره بمقدمة مستملحة في احدى عشرة صفحة ، وصف فيها اصل يحيى وفصله وتأليفه البالغة ٧٠ تأليفاً ، ومنها مقاله في التوحيد نشرت في مجلة المشرق ، وردّه على يعقوب ابن اسحق الكندي نشر في مجلة الشرق المسيحي سنة ١٩٢٠ ، وكتاب ما بعد الطبيعة نقله من السرياني الى العربي على ما ذكره ابن العبري في تاريخ الدول العربي ص ٦٣ ، ومنها كتاب ثاوفرسطس نقله كذلك من السرياني الى العربي على ما ذكره العلامة السمعاني .

ويتضح بما تقدم ما في البحث العلمي عن فهارس دور الكتب من الفوائد ، ويستحق المؤلف الفاضل كل ثناء لعنايته بمخطوطات خزانة الدير السريانية والعربية على السواء ، ونشكر له اتحافه بهذه التحفة التي اصاب في تسميتها بالطريقة

التنوي

كتاب الكليات

لابن رشد

لأبي الوليد محمد بن رشد فيلسوف العرب الأشهر كتاب طبي موجز عرف
بكليات ابن رشد ، يحتوي على سبعة أبحاث ، كل منها يسمى كتاباً في اصطلاح
تلك الأيام . وهذه الكتب أو الأبحاث هي : كتاب تشریح الأعضاء وكتاب
الصحة وكتاب المرض وكتاب العلامات وكتاب الأدوية والأغذية وكتاب حفظ
الصحة وكتاب شفاء الأمراض .

ونسخ كتاب الكليات نادرة ، واقدما نسخة مخطوطة وجدت في دير الجبل
المقدس بأعالي غرناطة ، وهي كاملة مضبوطة . وقد عمد معهد الجنرال فرنكو
للأبحاث العربية الاسبانية في طنجة الى هذه النسخة فنقلها بالتصوير الشمسي على
ورق جيد ، بعد ان قدم لها السيد ألفريد البستاني (استاذ الآداب العربية في معهد
الدراسات المغربية في تطوان) بتقدمة حسنة ذكر فيها نشأة ابن رشد ، وأشار الى
مؤلفاته ، وخص آراءه الفلسفية ، وبين انه كان اعظم شارح لفلسفة أرسطو المعلم الأول .
وترجمت هذه المقدمة الى الاسبانية وطبعت في الجهة اليسرى من الكتاب .

ووضع في آخر كتاب الكليات فهرس لموضوعات أبحاثه ، وفهرس ثان لبعض
النباتات والحيوانات والمعادن التي ذكرت فيه ، مع بيان اسمائها العلمية واسماؤها
الاسبانية ، وبيان شيء موجز عن كل منها .

ويقول ناشرو كتاب الكليات ان معهد الجنرال فرنكو يعد الكتاب المذكور
باكورة لمخطوطات عربية أخرى ستشرها لجنة الأبحاث العربية الاسبانية في
المعهد المشار اليه ، وهو عمل يشكرون عليه . وما دام الأمر كذلك فمن المفيد ان
تنبه المعهد الى نواقص وحسنات وردت في الكتاب لعل القائمين على هذا العمل
الجليل يتقون أمثاله في منشوراتهم التالية .

أولاً : من المعلوم أن المخطوطات التي تكون منسوخة في القرن السادس من
الهجرة بخط مغربي قلما تكون قراءتها سهلة ، ولا سيما اذا كان القراء من العرب
المشارقة ، ومن العيب أن يضع هؤلاء القراء معظم وقت القراءة في تهجي حروف
الكتاب بدلاً من تفهم معاني جملة . ولهذا من الضروري ان تطبع المخطوطات
التالية طبعة ، وان لا يكتفى بنقل صورها الشسية .

ثانياً : تراث اجدادنا الأقدمين انواع ، فالأهيات من كتب الادب تصلح
لكل زمان ومكان ، والأهيات من كتب اللغة لا غنى عنها الى ان نضع ما هو
اصلح منها لزماننا هذا الذي اتسمت فيه المعارف البشرية اتساعاً ضاقت عنه المعجمات
القديمة كل الضيق . اما الكتب الفلسفية التي خلفها الاجداد في قراءة كثير منها
فوائد جمة ككتاب التهافت للغزالي وكتاب تهافت التهافت لابن رشد واشباههما .
واما الابحاث العلمية التي خلفوها فبعضها لا يغير الزمان حقائقه كالقواعد والنظريات
الرياضية ؛ وبعضها لم يعد صالحاً لآيامنا هذه ككتب الطب والزراعة والطبيعة ،
لأن هذه العلوم قد تقدمت وتوسعت كثيراً وتبدلت اليوم تبديلاً كلياً عما كانت
عليه في القرون الوسطى او في أيام المدينية اليونانية .

ويتضح من ذلك انه لا فائدة علمية تذكر في طبع مثل كتاب الكلبيات ،
لكن في طبعه فائدة تاريخية كبيرة من حيث أنه حلقة من حلقات تاريخ العلوم
الطبية ، وله أيضاً فائدة أخرى وهي اشتغاله على مصطلحات يجدر بعلمائنا
المعاصرين اقتباسها .

ثالثاً : عندما يعمد إلى وضع الأسماء العلمية التي تنظر إلى الكلام العربية
يجب ان يبتاط هذا العمل بعالم اختصاصي ، فالسيد الفريد البستاني لم يوفق في
فهرس النباتات والحيوانات كما وفق في المقدمة التي وضعها عن ابن رشد . ولهذا
جاء في هذا الفهرس أغلاط كثيرة نختزئ بذكر بعضها :

(١) وضع إزاء لفظة « أشنة » اللفظة العلمية *Juniperus oxycedrus*

على حين ان هذه اللفظة تدل على شجر العرعر . وأين الأشته من العرعر .
 (٢) جعل أمام لفظة « الجران » التي يستعملها المغاربة للدلالة على الضفدع
 لفظة *Ranunculus* على حين ان هذه اللفظة العلمية تدل على نبات الحوذان .
 وفي هذا الجنس من النبات أنواع كثيرة يعرفها المشتغلون بالنباتات الزراعية
 كحوذان الزهارين والحوذان الأفريقي (عود الصليب) والحوذان الزاحف
 والحوذان الحريف (زر الذهب) الخ .

(٣) جعل لفظة الجلبان تنظر إلى الكلمة *Ervum ervilia* والحقيقة ان
 الاسم العلمي للجلبان هو *Latirus sativus* أما الكرسة فهي *Vicia ervilia* .
 (٤) وضع أمام لفظة الدلب لفظي *Chaisnus, casnus* وبنس الدلب
 في اللسان العلمي *Platanus* وفيه أنواع .

(٥) جعل الصفصاف ينظر إلى *Populus* في حين أن هذه اللفظة تدل على الحور .
 أما الصفصاف فهو جنس *Salix* وفيه أنواع عديدة .

(٦) جاء أمام لفظة الثوم *Pallium* والحقيقة *Allium Sativum* .

(٧) وضع أمام لفظة البصل *Unio* على حين ان اسم البصل العلمي *Allium Cépa*

(٨) وضع للبطيخ اسماً غير اسمه العلمي المعروف وهو *Citrullus Vulgaris*

(٩) لم يذكر الأسماء العلمية لعدد من النباتات المعروفة كالبنديق والتين والجوز
 والعنب ، وهذه الأسماء موجودة في كتاب « الأشجار والأشجار المشجرة » من تأليني
 وفي غيره من الكتب الزراعية .

(١٠) جاء في عدد كبير من الأسماء العلمية اغلاط مطبعية شوهت هذه
 الأسماء تشويهاً شنيعاً ، ومن هذه الأسماء المشوهة تلك التي تنظر إلى النباتات الآتية :
 الباذنجان والحلبة والحناء والسرود والعتاب والقرطم والكرفس واللفاح واللوياء
 والياسمين وغيرها .

هذا بعض ما رأيت ان ألفت النظر اليه من الحنات . والحقيقة انه مامن لفظة وردت في هذا الفهرس الا وفيها غلطة او اغلاط سواء من حيث عدم الاهتداء الى الأسماء العلمية الصحيحة ام من حيث عدم الانتباه للأغلاط المطبعية ام من حيث عدم التدقيق في تليل الايضاجات التي ذكرت لكل نبات .

ونحن لا نذكر هذه الأمور تضييلاً لعزائم رجال معهد الجزائر فرنكو بل شحذاً لهم وتشجيعاً لهم على السير في عملهم المفيد حتى تيجي الكتب التي وعدوا بنشرها خالية من امثال هذه الحنات . ولا شك ان المجمع العلمي العربي بدمشق هو اول من يقتبط بنشر كنوز الأندلس الدفينة وإلباسها أثواباً قشبية كالخلة الجميلة التي كسي بها كتاب الكليات .

مصطفى الشهابي

النبوغ المغربي في الأدب العربي

جزآن بالتقطع الصغير في نحو ٦٢٠ صفحة طبع في الطبعة النهدية بتطوان

تأليف عبد الله الكسواني

مؤلف هذا الكتاب الاستاذ الفاضل المؤرخ سيدي ابو محمد عبد الله الكسواني الحسني من أسرة كثر كون المشهورة بالعلم والصلاح في المغرب الأقصى ، ذكر ما يريده من الأدب العربي في مقدمة كتابه فقال :

(هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة ورمينا بذلك الى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب) فدل بذلك على انه لم يقصر كتابه على تراجم الأدباء وما أثر عنهم من منظوم ومثثور كما هو مفهوم الأدب قديماً وانما هو يتمشى مع روح العصر في معنى الأدب

أما الحامل له على وضع كتابه فقد أبانه بقوله :

(نربط حلقات البحث الموصل الى اكتناه حقيقة ماضينا الأدبي لبشاهد من كان يجادل فيه) ولكن من يكون هذا الذي يجادل في ماضي المغرب الادبي ؟ يظهر ان المؤلف اراد بهم اهل المشرق بل قد صرح بذلك فقال :

(وقد كثر عتب الأدباء في المغرب على اخوانهم في الشرق لتجاهلهم اباهم وانكار كثير منهم لكثير من منابهم) وكان على المؤلف ان يكشف عن مراده بالمغرب الذي تجاهله : أهو المغرب القديم او المغرب الحديث ؟ فاننا معشر المشاركة تؤمن بالمغرب القديم إيماناً قد يكون اقوى من ايمان اهله به : تؤمن بابن خلدون ومقدمته ، والقاضي عياض وشفائه ، وياين مالك والفيته ، وابن رشد وفلسفته ، وابن سيده ومخصه ، وابن عربي وفتوحاته (مع شيء من التوقي والحذر) وابن جبير ورحلته ، وبالشاطبي ومواقفاته ، وبالشاطبي الآخر وشاطبيته (في علم القراءات) وابن زيدون ورسالته (الى ابن عيدون) والمقري وتفتح طيه وابن حزم وفضله ، وابن

الطفيل وحي بن يقظانه ، وابن حجلة وديوان صابته ، وابن عبد ربه وعقده ، والشريف الادريسي ونزهة مشتاقه (في الجغرافية) ، كل أولئك نعجب بنبوغهم ونراهم حجة للمسلمين على غيرهم ، أما المغرب الحديث فاننا لسنا ضعيفي الثقة بنبوغ ابنائه وانما نحن قليلو المعرفة بهم وبآثارهم . وقد أخذت هذه المعرفة تنمى بيننا وتزيد : من يوم ان جعلت مطابع المغرب نتحفنا من وقت الى آخر بآثار السادة (ابن زبدان) و (الكتاني) و (الحجوي) وأخيراً (الكنوني) ومن يوم ان قام الفضلاء امثال سيدي (ابو عياد) وسيدي (محمد داود) بتردد دون بين المشرق والمغرب : يأخذون من افواهنا وبلقون على مسامعنا ما يسر تارة ويؤلم أخرى ، ولكنه في الجملة مؤثر الى شدة الأواصر وتنوير البصائر .

نرجع الى كتاب (النبوغ المغربي) فأول ما يشير عجبنا منه انه لم يكن على نمط أمثاله من مطبوعات المغرب التي اعتدنا ان نلس فيها جودة الورق وحسن الحرف واثقان الطبع ، بل ضرب على غرارها في كثرة الأغلاط ، وقلة العناية بالتصحيح وترك التعليق على ما يحتاج الى إيضاح ولا سيما بالنسبة اليها معشر المشاركة الذين ألف الكتاب باسمنا وعلى نية إفادتنا .

والكتاب بجملة منقسم الى جزئين (الجزء الأول) تضمن احوال عصور المغرب (او انقلاباته) وجعلها المؤلف خمسا

وقد ذكر في كل عصر سياسة الدولة أولاً ثم يعقبها بذكر (الحركة العلمية) فيترجم لعلماء ذلك العصر ثم (الحياة الأدبية) فيذكر ما للملوك من التأثير فيها ثم يترجم للأدباء ويستطرد الى ذكر ماله علاقة بذلك

خذ مثلاً (عصر العلويين) التي قامت فيه (الدولة الشريفة) منذ أوائل القرن الحادي عشر الى اليوم : فقد ذكر المؤلف موجزاً من قيام هذه الدولة ونشاطها في قمع المخالفين ثم علاقاتها السياسية مع مجاورها من ملوك اوربا ثم المقارنة بين ملوك

هذه الدولة : أيهم أساء وأيهم أحسن : من ذلك ثناء المؤلف على أحدهم (محمد بن عبد الله) الذي سعى في التقرب من الدولة العثمانية وشدَّ أزرها حتى انه طرد سفير الروسية من طنجة حين نشوب الحرب بين الروس والعثمانيين ، ثم ختم المؤلف هذا العصر بذكر مآثر مولاي الحسن الذي توفي سنة ١٣١١ هـ وانتقل الى (الحركة العلمية) فذكر ضعفها حيناً ونشاطها حيناً آخر والأسباب التي أدت الى كلا الأمرين وما ذكره في أخبار هذا العصر ان مولاي محمد بن عبد الله اصدر منشوراً عالياً خاطب فيه علماء بلاده مشيراً عليهم كيف يجب ان يكون سلوكهم في التحصيل وفي اختيار كتب العلم وقد سرد عليهم اسماء ما يعول عليه منها وما ينبغي اطراحها ، ثم ذكر المؤلف علماء هذا العصر تحت عنوان (الهيئة العلمية) يريد جماعة العلماء (كما تقول في بلادنا) (هيئة المحكمة) بل كما يقول المصريون (هيئة كبار العلماء) فترجم لبضعة عشر منهم واكتفى عن ذكر بقيتهم بسرد ما تركوه من المؤلفات فاستوعبت خمس عشرة صفحة فقط . وفي احصائها على هذه الصورة فائدة لشاق الكتب ولجان النشر وارباب المطابع . ثم انتقل المؤلف الى (الحياة الأدبية) فذكر عناية ملوك هذه الدولة بالأدب والادباء وتقريبهم اياهم واجزال الصلات لهم حتى ان (مولاي رشيد) أجاز شاعراً بألفين وخمسمائة دينار على يتين قالها فيه وهما :

فاض بحر النوال في كل قطر من ندى راحتك عذباً فرانا

غرق الناس فيه فالتبس الفقه رُ خلاصاً فلم يجده فسانا

ثم ترجم لطائفة من أدباء ذلك العصر وختمه بترجمة العلامة المؤرخ المسمى (اكنسوس) وذكر الاكنسوس هذا شعراً لكنه لم يفسر لنا كلمة (اكنسوس)

ولماذا سمي هذا العالم بهذا الاسم وكانت وفاته سنة ١٢٩٤ هـ

أما (الجزء الثاني) من الكتاب فقد ضمنه ما أثر عن علماء المغرب وأدبائه (الذين ترجم لهم في الجزء الاول) من منظوم (حماسة ونفر وغزل ومدح وهجاء الخ) ومنثور (خطب ومحاضرات ومناظرات ومقالات ومقامات الخ) .

و كنا تنصفج الكتاب ونمرّ بصرنا على مضامينه فنفيد علما ، وتذوق من نبوغ
أدباء المغرب ما طاب وقعا ولذّ طعما ، غير أننا كنا أحيانا نلح خلال فرائده الجمّة
أشياء كان يحسن السكوت عنها أو الاقتصار على نبذة منها من ذلك قصيدة العلامة
ابن ناصر (وفاته ١٠٨٩ هـ) وقد ختم بها الكتاب فكانت (مسك الختام ولبنة الثمام)
كما وصفها المؤلف وهي سبعون بيتا كنت أقرأ منها البيت بعد البيت وأنا أعجب
من طولها وضعف نظمها ومنها قوله :

يارب يارب أنلنا الأمنّا اذا ارتحلنا واذا اقمنا
يارب واحفظ زرعنا وضرعنا واحفظ تجارتنا ووفر جمعنا
واجعل بلادنا بلاد الدين وراحة المحتاج والمنسكين
واجعل لها بين البلاد صولة وحومة ومنعة ودولة
واجعل من السرّ الحصون عزها واجعل من السبر الجميل حرزها
واجعل بقاف وبصار وبتون الف حجاب من ورائها يكون

لا جرم ان مثل هذه القصيدة يحتاج الى تعليق يبين اتصالها بموضوع (النبوغ
المغربي) ويصف لنا على الأقل مبلغ تأثير استغاثتها الحارة في صيانة بلاد المغرب مما
منيت به وانساق اليه او لعل المؤلف ترك التعليق للقارئ الفطن فهو الذي يركب
ويحلل ، ويستنتج ويعمل .

المغربي

آراء وانباء

منهاج مجمع فؤاد الأول للغة العربية

في ١٣ من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٣٢ م اصدر بجلالة ملك مصر فؤاد الأول عليه رحمة الله مرسوماً بإنشاء معهد باسم «مجمع اللغة العربية الملكي» يكون تابعاً لوزارة المعارف ، وأغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينظم دراسة علمية لللغات العربية الحديثة ، وأن يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة .

وفي ٦ من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٣ اصدر المرسوم الملكي بتعيين الاعضاء العاملين للمجمع ؛ وعدتهم عشرون عضواً : عشرة من المقيمين بمصر ؛ وخمسة من الشرقيين ؛ وخمسة من المشرقين . وهم : الدكتور محمد توفيق رفعت باشا (الرئيس) . حليم نخوم أنتدي . الشيخ حسين والي (توفي) . الدكتور فارس نمر باشا . الدكتور منصور قنبي بك . الشيخ ابراهيم حمروش . الشيخ محمد الخضر حسين . أحمد العوامري بك . علي الجارم بك . الشيخ احمد علي الاسكندري (توفي) . هـ . ر . رجب . الدكتور ا . فيشر . ا . تليو . (توفي) . م . ماسينيون . ج . فنسنت (عين بدلا منه الاستاذ ليتان) . محمد كرد علي بك . الشيخ عبد القادر المغربي . الأب أنستاس ماري الكرملي . عيسى اسكندر المعلوف أنتدي . السيد حسن حسني عبد الوهاب .

وفي صباح ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ عقد المجمع الجلسة الأولى للدورة الأولى ؛ ثم والى بين اربع وثلاثين جلسة تمت بها هذه الدورة . وتابع المجمع عقد دوراته في مفتتح الشتاء من كل عام ، حتى أتم ست دورات ، كل دورة منها خمس وثلاثون جلسة ماعدا الأخيرة ؛ فقد كانت ستاً وثلاثين جلسة .

وكان فيما بين كل دورتين من دورات الانعقاد تجتمع اللجان التي ألحقها المجمع؛ وقسم بينها جبهة العلوم والفنون، وعهد إليها بدراسة المصطلحات، وإعدادها للعرض على المجمع في موسم السنوي. وهذه اللجان تجتمع مرة في كل اسبوع في خلال الفترة بين كل دورتين ما خلا أشهر الصيف، وفي أثناء دور الانعقاد في بعض الأحيان؛ وتستعين كل لجنة بخبير فني في العلم أو الفن الذي تدرس مصطلحاته. وقد وضع المجمع نصب عينيه أولاً اخذ الناشئين بصحيح العربية فيما يتدارسون من العلوم والفنون. ولما كانت المصطلحات الواردة في كتب التعليم في مصر، إما مذكورة بألفاظها الأجنبية، وإما مترجمة في الغالب ترجمة غير دقيقة، عمد المجمع إلى استظهار الفاظ فصيحة وصيغ دقيقة تؤدّيها على جهة الضبط والصحة، وذلك إما باستخراجها من قديم العربية ومكنوزها، وإما بوضعها وضعاً جديداً. ووجه جلّ همّه أولاً إلى المصطلحات التي تدخل في التعليم الثانوي، فاستخرج آلافاً منها في علوم الأحياء، والرياضة، والطبيعة، والاقتصاد السياسي، والقانون، وتاريخ القرون الوسطى، والموسيقى، والرسم، والعمارة. وأقرّ من هذا طوائف كبيرة هي الآن معدّة مشروحة في متناول المؤلفين والمعلمين.

وقد وافقت إدارة المجمع وزارة المعارف بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة مصطلح من التي مرّت أكثر من عام على تقريرها، على أن تطبع وتوزع على المؤلفين والمفتشين والأساتذة، لإدخالها في كتب التعليم وفي التدريس. كذلك أحس المجمع حاجة الجمهور إلى أسماء عربية تؤدّي المسميات الحديثة في الشؤون العامة كأدوات المنازل وأثاثها، وما تتناقله الألسن والأقلام في الأسواق والأندية والصحف، فبحث في كثير من هذه المسميات، وأقرّ طائفة جليلة من اسمائها، وهي الآن مشروحة مقرونة بمقابلها الأجنبي.

ومن أهم ما عني به المجمع أنه رأى أن في التزام بعض قواعد معينة من القواعد

التي درج عليها في العربية ، تضييقاً في افتق اللغة ، وحرماً في التعبير عن كثير من مستحدثات المعاني ، وعلى الخصوص ما يتعلق بالترجمة عن مصطلحات العلوم والفنون ، مما كان له ابلغ الأثر في قعود اللغة العربية عن مجاراة العصر الحديث وموائاة حاجاته لذلك بحث المجمع بحثاً وافياً في اصول اللغة ، وترسم مذاهبها المختلفة ، وتبوع ما مضت اليه آراء الأفاضل والجماعات من متقدمي العلماء في قواعدها التي تتصل بهذا الباب ، وتخبر منها كل ما يسرها ، ويوسع اقبسيتها ، ويلينها للترجمة عن مستحدثات المعاني في غير عسر ولا حرج . وافر المجمع من هذه القواعد أكثر من أربعين قاعدة بعد درس ونقص ، وهي الآن صالحة جليلة النفع ، وقد استفاد المجمع منها أكبر استفادة في وضع الألفاظ الجديدة ، وهذه القواعد ستعين المشتغلين باللغة العربية على انمائها .

وما اتجه اليه جهد المجمع انه وضع نظاماً ثابتاً لتعريب الأعلام الأجنبية للممالك والبلدان ، وذلك لما رآه من الاضطراب الشديد ، سواء في كتابتها او النطق بها . فعمد الى تحقيق تلك الأعلام ، توسلاً الى كتابتها والنطق بها على جهة الصحة ، واضمحلت رقوماً وعلامات تلحق بالحروف العربية ، بحيث اذا كتب بها العلم الأجنبي احتفظ بصورته الصحيحة ، وامكن النطق به كما ينطق به اهله . ورفعاً لعب التطبيق عن المترجمين ، قرر المجمع ان يوزع على اعضائه اعلام الممالك والبقاع في انحاء الدنيا ، لكتابتها طوعاً لتلك النظم المرسومة ، على ان يخرج بها معجماً جغرافياً وافياً يسد حاجة المشتغلين بالترجمة ومؤلفي الكتب الجغرافية ، وذلك بأيسر جهد .

هذا وقد أراد المجمع ان يسعف رجال التعليم بإرشادات سريعة في ترجمة اعلام البلاد ، فأصدر كشوناً بالأغلاط القائمة في المصوّرات الجغرافية المستعملة في المدارس ، وكذلك اصدر قائمة بأعلام بلاد السودان المصري ، والحبشة ، والصومال ، وشمال إفريقيا ، وغرب آسيا على الوجه الصحيح .

كذلك عني المجمع بوضع المعجمات التي تدعو اليها حاجة الطلاب والمترجمين ،
فقرر وضع معجمين للتعليم الثانوي : (الأول) معجم علمي صغير للتعليم الثانوي
في الأقطار العربية ، (والثاني) معجم لغوي ثبت فيه طوائف من المواد والألفاظ
والصيغ التي تلائم جمهرة المثقفين ، على ان يكون على أحدث نمط عصري ، بحيث
يفني الطالب الثانوي والمثقف الوسيط عن غيره من المعجمات ، مع التيسير في
الكشف والمراجعة . وتقوم الآن بوضع هذا المعجم لجنة مؤلفة من خمسة من
حضرات اعضاء المجمع واستاذين في كلية الآداب .

وفوق هذا ، عمدت ادارة المجمع الى بعض المعجمات الخاصة بالعلوم والفنون ،
فأفرغت مصطلحاتها العلمية في جزازات ، وذلك تمهيداً لترجمتها بما يؤدّيها من صحيح
العربية ، وقد تم العمل حتى الآن في ثلاثة معجمات : (أحدها) في الاقتصاد السياسي .
(والثاني) في الكهرباء واللاملكي . (والثالث) في فن العمارة والبناء . ويجري العمل
الآن في معجمين : (أحدهما) في مصطلحات الكيمياء . (والثاني) في مصطلحات
الطب . وستكون هذه المعجمات وغيرها ، بعد ترجمتها ترجمة علمية صحيحة ، مادة
ميسرة ، سواء للمعجمات العربية الجديدة ، او الكتب العلمية .

وينشر المجمع قراراته اللغوية في القواعد والمصطلحات في مجلته السنوية . وقد
اصدر حتى الآن منها اجزاء اربعة في نحو الف وخمسمائة صفحة ، حاوية للقواعد
مع الاحتجاج لها ، والمصطلحات مع شروحاتها . وفيها الى جانب ذلك دراسات
لغوية مستقلة لأعضاء المجمع وغيرهم من الباحثين . وأجزاء المجلة تهدي الى كثير من
المعاهد العلمية في العالم الشرقي والغربي ، وكبار المستقلين باللغة العربية في جميع الاقطار .
وأصدر المجمع فوق ذلك مجموعة المحاضر لأربع دورات ، وهي في نحو التي صفحة ،
مشملة على ما دار في الجلسات من المناقشات العلمية ، وما أخذ المجمع به نفسه ان
قراراته في الاسباب اللغوية لا يصبح شيء منها نهائياً الا بعد نشره بين يدي الجمهور

بعام كامل ، وذلك ليتبين له مراجعة ما عسى ان يوجه عليه من فنون النقد .
واخيراً عنت وزارة المعارف بوضع مشروع مرسوم يخول زيادة عدد الاعضاء
الى ثلاثين ، وينظم من الأعضاء المقيمين بمصر مجلساً يعمل طوال العام ، على ان
تكون القرارات الخاصة بمادة اللغة العربية من مؤتمر الجمع الذي ينعقد اربعة
أسابيع متوالية في العام .

وفي ٢٨ من ايار (مايو) سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بهذا التعديل .
وفي ٢٥ من تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٤٠ صدر المرسوم الملكي بتعيين عشرة
من اقطاب اهل العلم والفضل والأدب أعضاء في الجمع ، وهم : الدكتور محمد حسين حبكل
باشا . الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا . الدكتور علي ابراهيم باشا . الأستاذ الشيخ محمد
مصطفى المراغي . عبد العزيز فني باشا . احمد لطفي السيد باشا . عبد القادر حمزة باشا .
الأستاذ عباس محمود العقاد . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ احمد امين بك .
(انتهى . لمخصاً من منهاج جمع فؤاد الأول للغة العربية الصادر هذه السنة .)



البدء بالتاريخ

ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الأعداد حسب القواعد العربية بالبدء
من اليمين والعدول عن التراكيب التركيبية فمثل سنة ١٣٥٩ يجب أن تكون
تسعة وخمسين وثلثمائة والاف لا كما هو المتعارف الف وثلث مائة وتسعة وخمسون .
بالتريجة التركيبية يك اوجيوز الى طقوز .

لعل هذه تكون خطوة أولى باصلاح الأخطاء العربية المستعملة بتعميم من
رئاسة الحكومة يوجب اتباع القواعد العربية في مسائل الأعداد فان الله يزعم
بالسلطان ما لا يزعم بالقرآن

محمد سعيد الدمرني

مجلد المجمع العلمي العربي

النشئة: ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م
تشرقي دمشق مرة في الشهر

آذار و نيسان سنة ١٩٤١ م
ربيع الأول و ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية و لبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ ٫٫

مطبعة الترقى بدمشق

ابن عَنِين

شاعر القرن السابع

هو محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عَنِين الأنصاري ، وعَنِين بضم العين المهمله وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، كنيته ابو الحسن ولقبه شرف الدين . أصله من الكوفة وولد في دمشق ومات فيها (٥٤٩ - ٥٦٣٠ هـ) تأدب ابن عَنِين بأدب عصره واخذ عن مشايخ بلده ما تيسر له أخذه . اشغل في دمشق بالفقه على القطب النيسابوري والكمال الشيرزوري ، وقرأ الأدب على أبي الشتاء محمود بن رسلان وسمع ي بغداد من منوچهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري ، وعني كثيراً باللغة حتى عدّ من علمائها في عصره ، وكان يستحضر كتاب الجهرة لابن دريد وقد اختصره ، وكتب في النثر تاريخ العريزي ، وقد فتد كلا التاليفين . وجاء من ابن عَنِين شاعر مطبوع يحول في أكثر اغراض الشعر وجود في جولاته وموضوعاته فعدّ من اعظم شعراء زمانه ، وشعره في الوصف والشعر العاطفي آية ، واشتهر بين الناس بهجوياته . واذ لم يكن له غرض في جمع شعره لم تسمُ همته الى تدوينه ، فهو يوجد مقاطيع في ايدي الناس . وقد جمع له بعض اهل دمشق قديماً ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ماله من النظم الرائع ، وقيل ان فيه اشياء ليست له .

طار صيت ابن عَنِين بهجوياته ، وما كان ينجو من هجوه كبير ولا صغير . وشعره في المجهول خال من الاقذاع في الجملة ، وربما ضحك المجهول منه وساء بما قال واقتري . وله في باب الاهاجي قصيدة بداعب فيها جماعة من الدمشقيين ، وفي القصيدة المعروفة بمقراض الأعراض افنتحها بقوله :

أضالع تنطوي على كرب ومقلة مستهلة الغرب
شوقاً الى ساكني دمشق فلا عدت رباعاً مواطر السحب
منازل ما دعا تذكرها الا ولي على النوى لي
وقد ذكر فيها جماعة بأوسع الأوصاف وختها بقوله :

وحين أبصرت دولة الأحـ مدب أربت على علا الشهبـ
فقلت للمفسين ويحكم تحادبوا فهي دولة الخدبـ

هجا ابن عنين العلية من قومه ومنهم المؤيد بن القلانسي والجمال بن المهدي الكاتب والقاضي ابن عصرون والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وكاتبه . وكان وقوعه على ما يظهر في القاضي الفاضل سبباً اعظم في غضب صلاح الدين عليه ، فأمر بتسييره من دمشق بسبب وقوعه في الناس وثقه الى اليمن فمدح صاحبها طغتكين من اخوة صلاح الدين . طاف مشرف الدين البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذريجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند ورجع من طريق الحجاز الى الديار المصرية ، وقد مات صلاح الدين وتملكها اخوه الملك العادل ابو بكر بن ايوب ، فسار متوجهاً الى دمشق وكتب اليه بعبئته الراهية يستأذنه في دخول النيجاء ويعدد ما قاساه في الغربة ، قال في الوفيات : وقد احسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه ابلغ استعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأجنة لو مرى وعليهم لو ساعوني في الكرى

وصف في أوائلها دمشق وبساتينها وانهارها ومواضع متزهاتها ومما قال :

فسقى دمشق وواديها والحي متواصل الارحام منفصل العرى

حتى ترى وجه الرياض بعارض أحوى وقود الدوح ايضاً ازهرا

تلك المنازل لا ملاحب عاج ورمال كاذمة ولا وادي القرى

أرض اذا مرت بها ريح الصبا حملت على الأغصان مسكاً أذفرا

ثم عاد مشيراً الى النبي منها :

فأرقتها لا عن رضا ، وهجرتها لا عن قلى ، ورحلت لا متخيراً
أسعى لرزق في البلاد مثنى ومن العجائب ان يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متنعماً وأكف ذيل مطامعي منترا
ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :

أشكو اليك نوى تمادى عمرها حتى حبت اليوم منها أشهراً
لا عيشتي تصفو ، ولا رسم الهوى يعفو ، ولا جفني يصالحه الكرى
أنسى عن الأحوى المربع محولاً وأبيت عن ورد النسيم منفراً
ومن العجائب أن يَقبل بظلمكم كل الورى وُئذت وحدي بالعرا

قال ابن خلكان وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندي أنها هي خير من
قصيدة ابي بكر بن عمار الأندلسي التي أولها : « أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى » ،
ولما نني من دمشق قال :

فعلام أبعدتم أخا ثقة لم يجترمُ جرماً ولا سرقة
أنتوا المؤذنت من دياركم ان كان ينفي كل من صدقنا
ولما عاد اليها وتقدم بها عند المعظم قال :

هجوت الأكابر في جلق ورعت الوضع بهجو الرفيع
وأخرجت منها ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع
ووصل به الحال ان هجا بعض الملوك الأيوبيين ، فانه لما ورد من البند
الى مصر وطلبوا منه موجب ما ورد معه ، قال يهجو الملك العزيز صاحبها :
ما كل من ينسى بالعزيز لما أهل ولا كل يرق سمحه غدقه
بين العزيزين بوث في قعالها . هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه
وقال في العادل سيف الدين بن ايوب :

ابن سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الاتفاق
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق
وهذا هجو خفيف على القلب غير ثقیل على السمع ، لا بذاعة فيه ويحمل نكتة
لطيفة . ونحن نعرض على الخاطر لماذا شق على الشاعر ان يطلع عمال المكوس على
ما في متاعه ، وقد آب من سفرته هذه أيجر الحقائق ، وجمع من جوائز صاحب
البن وجوائز غيره اموالاً اتجر بها فقدروا ما تموله بثلاثين الف دينار ، ومن كان
يملك هذا وهو في عقل ابن عنين ومعرفته ، لا يشق عليه ان يدفع حق الدولة ،
هذا ان لم يكن ممن اعتادوا الأخذ ولا يعرفون العطاء ، ولا يرون ابداً غير
الزيادة في وفرهم .

قال من ترجموا لابن عنين : انه كان من اخرف الناس واخفهم روحاً واحسنهم
مجوناً ، وكان وافر الحرمة عند الملوك ، ولما عاد الى دمشق تولى الوزارة بدمشق
في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ، وانتقل منها لما ملكها
الملك الأشرف ، قال الصفدي في الوافي : انه لما ولي كان محمود الولاية ، كثير
النصفة ، مكتوف اليد عن اموال الناس ، مع عظم الهيبة . فمن يخطبه الملوك لتولي
أمور الدولة ، فيه ولا شك شيء من أخلاق العطاء ، وليس هو بالشاعر الذي يبور
لنفسه ان يمد كل حين يده لمن يفضل عليه بشيء ، وأخلاق الشعراء غير
أخلاق الأمراء .

لا جرم ان ابن عنين آلم بهجوه بعض المشهورين ، وما استطاعوا ان يصموه
الا بما جرت العادة ان يصم به الخصم خصمه ، واهم ما وصموه به تكفيره وتبديعه
وتنسيقه ، فقالوا انه كان يخل بالعبادة ، ويصل ابنة المنقود ، واشتد بعضهم داوغل
فرماه بالزندقة ، وكل اولئك تهات سهلة النطق على الناقمين والمتورين ، ولو كان
كما زعموا زنديقاً ما عمر مسجداً بأرض المزة مزة كلب وأوصى ان يدفن فيه ،

ولو كان منحللاً من العقيدة ما اختاره ملكان عظيمان للوزارة والملك من أخوف
الناس من الرأي العام واعدائه وابنائهم واحفادهم يحصون عليه انقاسه .
ولا نعتقد نفرة بعضهم منه الا بسبب هجائه لهم ، وهجومه ينبعث على الأغلب من
نكته اذا جاءته ارساؤها . ولو كانت في عظيم لا يستحقها وتؤذيه فيحق عليه بها .
ولو كانت يجب لكل ما يتبدد من شعره حساباً لما هجا القاضي الفاضل ، وهو
اعظم رجال عصره في السياسة والادب ، ومن أشرف رجال الدولة على التحقيق .
نعم أخذ كما قال ياقوت ، في الهجوم بنفس طويل ، وتفنن بأساليب السب والثلب ،
فأورد ما لا يحسن ايراده حتى لقد هجا أباه ايضاً بقوله

وجنبني أن أفعل الخير والد ضئيل اذا ما عدا اهل المناسب

بيد من الحسني قريب من اخنا وضع ماعى الخير جم المعاي

اذا رمت ان اسمو صعوداً الى العلى غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

ونحن نشك كثيراً في نسبة هذا الهجوم له ، ولعل هذه الايات مما نخله اياه
اعدائه وخصماؤه . ومن هجاء ، والغالب انه كان يتبرم بعشرته ، ابن المهدي في
جواب رقعة طويلة ارسلها اليه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صبري الجميل كلولا

كنهار المصيف حراً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا

كان لشرف الدين دقة احساس الشاعر ، وكان جليلاً نقادة ، وربما كان
قومه يريدون منه ان يقرهم على مساوئهم ، فما رأى غير ادائه الشعرية يصوبها
اليهم كل حين يشفي بها صدره من انحطاطهم والتواء اخلاقهم ، فمن ذلك قوله
في الرشيد النابلسي ، وقد صفع ، يداعبه بل يثلبه :

تعجب نوم لصفع الرشيد وذلك ما زالب من دابه

رحمت انكسار قلوب النعا ل وقد دنسوها بأنوابه

فوالله ما صفعوه بها ولكنهم صفعوها به
وقال يهجو وابن شيث ويضيف نفسه اليهما :

انا وابن شيث والرشيذ ثلاثة لا يُرتجى منا خلق فائده
من كل من قصرت يدها عن الندي يوم الجدا وتطول عند المائدة
فكأننا واو بعمره أتخت أو اصبع بين الاصابع زائده
وقال يهجو الموفق ابن مطران :

وقالوا اسعد بن الياس اضحى رئيساً لا حوته يد السعور
ولا اهجرو الوجود وقد حواه لأن وجوده هجو الوجود
وقال يهجو ابن عساكر المعروف بختار بدبس :

يا خليطاً بالدبس قصر عن الكبر فقد قيل راجع الشر خاسر
وترفق بالجنند فالجنند آباؤك ان صح انك ابن عساكر

اذا صح الحكم عليه بهذه الأهاجي ، وما رأينا له في الموضوع الواحد غير
البيتين والثلاثة ، ومعظمها مرتجلة على ما يظهر يوردها في مجلده أو مع اصحابه ،
واكثرها مما يتعمده للنكتة ، فلنا أن نقول انها تنقلت بين القوم لسلامتها
وخفتها على النفس ، ولطالما تنقل الرديء المختصر وزهد في الجيد المطول ، والا
فان لابن عنين قصائد ومقاطع قالها في احوال كارثة كانت هي اولي بأن تشهره
بين الناس ، وان يتناقلوها ويتدارسوها ، خصوصاً ما صدر عنه في غربته ، وقد طالت
على ما يظهر ، وما كان يحمله رسائله الى اصحابه . وغيرهم من هذا القبيل فقد قال
من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق :

أشتق قلب الشرق حتى كأني اقتش في سordائه عن سنا الفجر

وقوله لأخذ اصحابه بدر الدين مودود الشحنة كان بدمشق (مدير الشرطة) :

يذكرني البرق الشاذلي ان خبا زمانى بكم يا حبا ذلك الزمن .

وياحبذا الهضب الايل و«عترتا» اذا ما بدا والثلج قد عم القنن
 أأحبنا لا أسأل الطيف زورة وهيئات ابن «الدبلوماسيات» من «عدن»
 وقد ذكر «عترتا» غير مرة في شعره والغالب انها كانت مصطافه ولعلها كانت
 قرب النتيجة على ما يفهم من اما كن اخرى ، والدبلوماسيات من خواحي دمشق ،
 وعدن بلد معروف في اقصى بلاد العرب . وكما هجا شاعرنا الرجال هجا البلدان
 أيضاً ومما قال في الهند :

واذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد المنود سوى الصواعق والدما
 وقال في حلب صاحبه الله :

قوم عهود رجالهم محسولة ابداء وعهد نساءهم لم يحلل
 من كل مائة الثياب رشقة رُود الشباب كريمة في هيكل
 وقال في جامع دمشق لما سلسلت ابوابه وفيه نكتة بديعة .

سلوه اذا اجابكم سلوه سلوه مجن حتى سلوه
 ولولا انكم بقز حمير لما منعوكم ان تدخلوه
 وقال في المعنى :

لما رأى الجامع أمواله منهوبة ما بين نوابه
 مجن فمن خوف عليه غدا مسلسلاً في كل ابوابه
 وكيف لا تعتاده خيفة وقد رأى المسخ لاربابه
 القرد في شباكه حاكم والتيس في قبة محرابه
 مدح ابن عنين الملك المعظم في عدة قصائد وكان يذكره يوم دمياط مع
 الصليبيين ومما قال :

واذكرته أيام دمياط يتنا . وبين العدى والموت تهوي عقابه
 وقال من اخرى :

غداة لقينا دون دمياط جعفلا من الروم لا تخفى يقينا ولاظنا
قد انفقوا رأياً وعزماً وحممة ودينان كانوا قد اختلفوا لُسنا
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت جموع كأن الموج كان لم سفنا
وقال في رثائه :

... لولا دفاعك بالصوارم والقنا عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته عن نصرها لتمكنت منها العدا
ولأمت البيض الحرائر كلها فيها سبايا والموالي اعبدا
ولأصبحت خيل الفرنج منيرة تحتاب ما بين البقيع الى كدا
وبشر دمياط فكم من يبعة عبد الصليب بها وكانت مسجدا
اتخذتها من خطة الخشب التي كانت احلتها الحضيض الا وهذا

ومدح نثر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور الى هراة ، ولما كان بخوارزم
حضر يوماً درس هذا الامام العظيم ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ
يلقي الدرس اذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها ، فلما
سارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من
الخوف والبرد ، فرق لها الامام نثر الدين وأخذها بيده وحسني عليها فأشده ابن
عنين مرتجلاً :

يا ابن الكرام المطمئنين اذا شتوا في يوم مسفة وثلج خاشف
الماصمين اذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الراحف
من بأ الورقاء ان محلكم حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى خفقها فحيوتها يقائنها المتأنف
ولو انها تمحي بمال لا تثبت من راجتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكروها والموت يطلع من جناحي خاطف

قرم يطاردها فلما استأمنت بجانبه ولي بقلب واجف
فطرب لها نحر الدين واستدناه واجلسه قريباً منه وبعث اليه لما قام من مجلسه
خلة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً اليه .

ومن نكاته الشعرية انه شهد في بغداد مسألة عرضت على القاضي فما اخلى
حكمه فيها من لاذع تنكيته ، وذلك انه كان بمدينة السلام رجل له زوجة وبتردد
الى الزوجة شاب تزعم انه اخوها ، فجاء الزوج بعض الايام فراه معها فمنعه من
العبور الى بيته وتحاكما على دعوى الزعم فلم يمنع المذكور من الدخول اليها ، وكان
اسم العاشق غياث واسم الزوجة عمرو . ولم يستطع الزوج طلاقها لجهلها فقال
ابن عنين :

غياث فاسمعوا قولي وعمرو لم عندي احاديث ظريفه
فزان ما عليه من جناح وقواد بتوقيع الخليفة
وتال فيهما ايضاً :

غياث وعمرو فاسمعوا ما عليه لشيخين عندي من شئناهما شان
غياث نفى عن نفسه الحدة في الزنا وعمرو بتوقيع الخليفة قرنان
حركت الغربة في شرف الدين أشرف عواطفه ، واهاج البعاد دقيق أحاسيسه ،
وتجلت صورة نفسه يوم أقصوه عن أرضه وأهله ، كأن السلطان ما تقاه عن بلده
الا ليتغنى به ويتغزل بطبيعته الفتانة ، ويعرف الناس تفوق بلاده على غيرها في كل
ما تحبو به الطبيعة الاصقاع والبقاع . كان ذلك هجيراً في كل مكان نزله ، وفي
كل قصيد قصده ، والفضل في كل ذلك لمن تقاه ففهمه وتقمع الأدب به ، قال من
قصيدة يمدح بها صاحب الين السلطان طغتكين :

فأقبلت اجتاب البلاد كأنني قذى حال دون النوم في عين رُمِد
فلم يبق حزن ما توقلت حزنه ولم يبق سهل ما جررت به بردي

اكده ويكدي الدهر في كل مطلب فيابوس دهري كم اكده وكم يكدي
 طريد زمان لم يجد لصروقه بغير ذري الباب العزيزي من ورد
 فلما استقلت في ذراه بي النوى وألقت عصاها بين مندمج الورد
 تنصل دهري واستراحت من الوجي قلوصي ونامت مقاتي وعلا وجدي
 قال في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن ابي بكر
 ابن ايوب :

اذا جبل الريان لاحت قبابه لعيني وبانت من سنير خضابه
 وهبت لنا ريح أثنا من الحمى تحدث عما حملتها قبابه
 وقامت جبال الثلج زهراً كأنها بقية شيب قد تلاشي خضابه
 ولاحت قصور الفوطيين كأنها سفائن في بحر يعب عبابه
 أثبت الثرى مستشفياً بترابه ومن لي بأن يشني غليلي ترابه
 وقال يتنزل ويتشوق الى دمشق :
 الا خبروني عن حمي «تل راحط» يلذ به سمعي وان فاتني النظر
 وقصوا أحاديث «المصلى» وأهلها علي فما لي في سوى ذلك من وطر
 لقد طال عهدي بالمصلى ولبتني رأيت المصلى او سمعت له خبر
 وقال من قصيدة يمدح طغتكين :

ومحال قولي لنفسي عزاء سرعة السير شيمة الأعمار
 لو تخلى القطبا لنام ولو خلست لم أريم عن ورجاري ورجاري
 ولو اني خيرت في هذه الدار يا لما اخترت غير قومي وداري
 وقال منزلاً يتشوق الى دمشق :

يا بريق حبي اذا مررت بعزتا أهلي وان زادوا جفا ونعتا
 أبلغهم عني السلام قل لم أحبابنا هذا الصدود الى متى ؟

طال انتظاري للتلاقي فاجعلوا لصدودكم أجلاً يكون موقفاً
وكتب من بلاد الهند إلى أخيه بدمشق هذين البيتين والثاني منها لأبي العلاء
المرعي استعمله مضمناً فكان احق به وهما:

سامحت كتبك في انقضية عالمنا أنت الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمراحيل
وعلى الجملة فإن ابن عنين شاعر عظيم بل هو كما قال ابن خلكان خاتمة الشعراء
لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع
جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه ، وكان غزير الأدب من الأدب ،
وبطلاً على معظم أشعار العرب ، وكان له في عمل الألفاظ وحلها اليد الطولى ، فمتى
كتب إليه شيء حله في وقته ، وكتب الجواب أحسن من السؤال نظماً . رحمه الله .

محمد كرد علي

الترب والمدافن الخاصة في الاسلام

اعتنى الانسان منذ آلاف السنين بالقبور والمدافن والبناء عليها ، خصوصاً مدافن الملوك والعظماء ، فأهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة امامنا ، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة واخرى عن قبور ومدافن قديمة كانت مجهولة لدينا جاء الاسلام فلم يعتن بالقبور والمدافن والبناء عليها ، وكان رأيه فيها « خير القبور الدوارس »

وامتزج الاسلام بعد ذلك بكثير من الشعوب ، ودخل كثير من ابناء هذه الشعوب في الاسلام ، فكان ان اصبحت قبور عظماء المسلمين من ملوك وامراء وعلماء واعيان مصانع شاهدة ذات قباب فنية رائعة عرفت بعد ذلك باسم الترب « جمع تربة » والذي يرجع لدي ان هذا الطراز من البناء اخذ عن اصل فارسي ، فقد كان بظاهر الكوفة قريباً من قبر الامام علي بن ابي طالب قبتان جميلتان تحت كل قبة قبر نسج المؤرخون حولها قصة^(١) فقالوا ان الذي بناهما هو المنذر بن امريئ القيس بناهما على قبري ندييه اللذين امر بقتلها وهو مسكران ، فلما اُصبح وأُخبر بالذي امضاه ندم على قتلها وبني عليها طربالين ، وجعل لها في السنة يوم بؤس ، ويوم نعيم حزناً عليهما ، وكان هذان الطربالان يلطخان بدم من يقتل يوم البؤس فلذلك لقبا بالغريين^(٢) ايضاً لما يلطخ بهما من دماء

ومما يكن من امر بناء هاتين القبتين فهما من العصر والطراز الفارسي ، وقد بقيتا الى العصر العباسي في النجف قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلما مر الخليفة العباسي هارون الرشيد من ذلك الموضع وأُخبر ان هناك قبر الامام

(١) معجم البلدان لياقوت طبع مصر ج ٣ ص ١٨٣ وفيه أساطير ملوية تدور حول هاتين القبتين . (٢) التريال تنية الغري وهو المطلق بالنراء ، ولعل القبتين كانتا مطليتين بمادة تشبه النراء أو نحوه فلما نسجت حولها هذه القصة زعم ان هذا الطلاء هو دم من يقتل يوم البؤس .

علي امر ببناء قبة على قبره وكان ذلك بعد سنة (١٧٠) هجرية . ويقول الحسن ابن محمد الديلمي : امر هارون الرشيد ابن يبنى عليه قبة بأربعة ابواب فبنيت ، وذكر ابن طحال ان الرشيد امر ان تبنى عليه قبة فبنيت من لبن احمر وطرح على رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم ^(١) .

لا ريب ان قبة قبر الامام علي هي اول قبة من نوعها في الاسلام ما دام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو اقدم منها ، ووجود الطربالين او الفريين قريباً منها يجعلنا نحكم بأن قبة الامام تأثرت بها الى حد ما .

والظاهر ان مثل هذه القبة وضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من اهل البيت النبوي ، ثم شاع استعمالها في انحاء البلاد الاسلامية ، وتردد ذكرها كثيراً في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة .

وقد عقد المقرئ في خطه بحثاً خاصاً بترب مصر ^(٢) كما فعل مثل ذلك النعمي والمحمدي ^(٣) والبقاعي في ترب دمشق ^(٤) ، ومحمد بن طولون في ترب صالحة دمشق ^(٥) .

معنى التربة والطربال

واذا طلبنا معنى التربة في كتب اللغة نجد صاحب المصباح يفسر التربة بالمقبرة مع ان التربة التي ترد في كتب التاريخ والتراجم والخطط لا يراد بها المقبرة او القبر وان كان في التربة شيء من معانها ولكن يراد بها تلك القبة الفخمة التي تكون على قبور العظماء من ملوك وامراء وعلماء واعيان

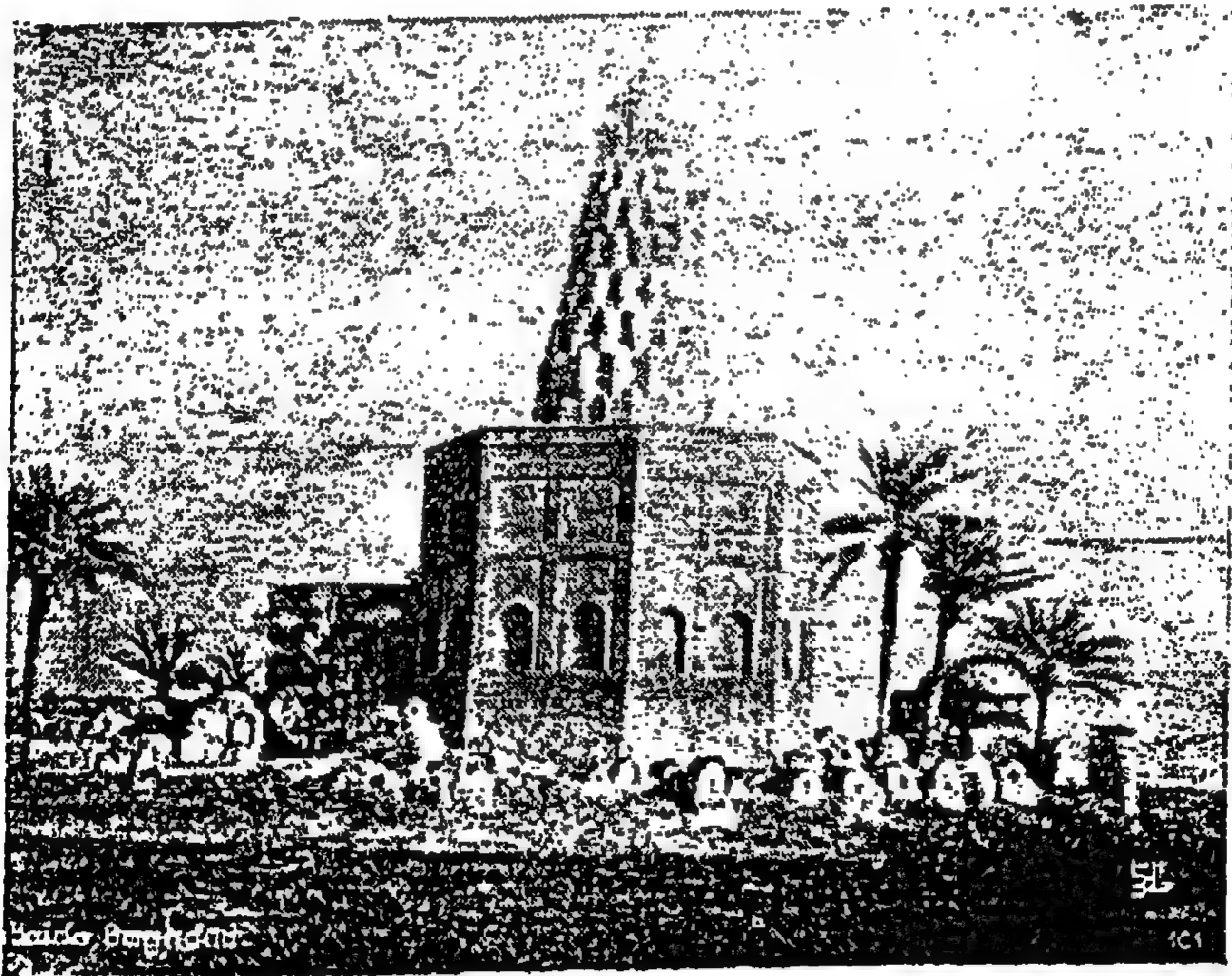
(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٨٢ (٢) ج ٢ ص ٣٤٨ و ٤٩ طبعة الميمني .

(٣) النعمي هو عبد القادر النعمي الشافعي ذكره في كتابه تنبيه الطالب وارشاد الدارس (مخطوط) ومنه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وبالخزانة التيمورية بمر في دار الكتب المصرية ، والمحمدي هو عبد الباسط بن موسى المحمدي اختصر كتاب تنبيه الطالب وزاد عليه في بعض المواضع (مخطوط) ومنه نسخة عند المجمع العلمي العربي بدمشق وبالتيمورية بمر .

(٤) البقاعي هو احمد بن احمد بن علي البقاعي الحنفي اختصر كتاب التنية أيضاً ومنه نسخة عند السيد احمد هيد بدمشق . (٥) له كتاب أسماء القلائد الجوهري في تاريخ الصالحية . ومنه نسخة فوطرافية في المجمع العلمي بدمشق وبالتيمورية بمر .

والذي يترجع لدي ان لفظ التربة مأخوذ من الطربال الذي خفف بمحذوف آخره فصار طربالاً وتداولته الالسن فظن بعد ذلك تربة للشبه القريب بين طرباً وتربة في اللفظ والمعنى واذ رجعنا الى معنى الطربال في كتب اللغة وجدناه هو المراد لما يقصده المؤرخون واصحاب الخطوط من معنى التربة . ففي نهاية ابن الأثير : الطربال هو البناء المرتفع كالصومعة . وفي معجم البلدان لياقوت : الطربالان هما بناء كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وحينما نرجع الى كتب اللغة نجد انها اوضحت معنى الصومعة ايضاحاً كافياً . ففي القاموس : الصومعة بيت للنصارى لدقة في رأسه ، وفي اساس البلاغة : من المجاز قولهم للثريدة اذا رفع وسطها وحدد رأسه ودقق « الصومعة » . وفي المختار ثريدة مصحمة اذا دقت وحدد رأسها ، وصومعة النصارى من هذا لأنها دقيقة الرأس

وفي مقبرة بغداد قبة من رائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها



ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري اخذت التربة ترتدي ثوباً علمياً وتنطبع بطابع ثقافي فكان يضاف الى التربة مدرسة علم ، او مكتبة مطالعة ، او مكتب لتعليم الأيتام والاطفال ، او مسجد للصلاة يكون فيه درس علم او قراءة قرآن ، ففي سنة (٤٥٩) بنى شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة^(١) على قبر الامام ابي حنيفة والى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية ولما تم بناؤها دعا اليها الفقهاء والعلماء والاعيان وأنشد الشريف البياضي الشاعر

الم تر ان العلم كان مبددا فجمعه هذا المرسد في اللحد

كذلك كانت هذه الارض ميتة فانشرها فعل العميد ابي سعد

والظاهر ان هذه المدرسة هي الأولى من نوعها حيث يقوم معهد علمي الى جانب

قبر رجل عظيم تسمى المدرسة باسمه .

ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تشاد الى جانب قبور العظماء ، وهذا ما دعا اصحاب كتب الخطط ومؤرخي مدارس العالم لجعل فصل خاص بالتربة لما لها من ناحية ثقافية .
جاء في ترجمة علي بن علي بن روزبهار بن باكير الكاتب البغدادي انه وقف كتبه بثب^(٢)

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٨ و ١٩ المطبعة الأميرية ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥

(٢) المشهد اسم مكان من الشهادة ، والشهد هو من قتل في سبيل الله فكان دمه المظلول يشهد له بجهاده ، والذي يظهر لي ان هذه اللفظة استعملت أولاً للنباتات التي شيدت على قبور أهل البيت ، وان أول ما أطلق منها على مشهد الحسين رضي الله عنه حيث دفن بالمكان الذي استشهد فيه ثم على قبر أبيه الامام علي رضي الله عنه ثم على بقية قبور الأئمة حيث أن أكثرهم مات قتلاً أو سماً ، ثم اتصل ذلك إلى أهل البصرة فنوا على قبور أئمتهم ومشاهيرهم مصانع دعيت بالمشاهد أيضاً كمشهد أبي حنيفة في بغداد ، ومشهد الرقاعي في أم عبيدة ، وتوسع رجال الشيعة وأهل السنة في هذا فكانوا يبنون مشاهد على غير قبور وينسبونها لاسم أحد المشاهير المتحقق دفته ووفاته في بلدة أخرى ، فاذا سئلوا عنها أجابوا بأنهم شاهدوا صاحب هذا الاسم بالتمام في هذا المكان وانه طلب ذلك منهم . ونشأ في الهد الفاطمي نوع آخر من المشاهد صبغته السياسية ، فكان الفاطميون إذا استولوا على الشام اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوا إلى أهل البيت ، وإذا استولوا الباسيون أو السلجوقيون اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوا إلى بعض الصحابة ، ولذلك فكثير من قبور ومشاهد كلا الفريقين في الشام ومصر مشكوك فيها .

موسي بن جعفر^(١) وشرط ان لا تعار^(٢)

وفي ترجمة الوزير مجد الدين البهنسي المتوفى سنة (٦٢٨) انه جعل كتبه وقفاً
بترته بسفح قاسيون واجرى عليها اوقافاً جيدة^(٣)

وانتشر في مصر الايوبي بناء المدارس الى جانب الترب انتشاراً عظيماً ففي سنة
(٥٢٧) بنى صلاح الدين الايوبي تربة الامام الشافعي وانشأ المدرسة الصلاحية بجانبها ،
وبنى مدرسة مجاورة للشيد المنسوب للحسين بن علي^(٤)

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٩) دفن في قلعة دمشق حتى جاء ولده
العزیز عثمان الى دمشق فبنى له تربة والى جانبها مدرسة هي من اعظم مدارس دمشق
وقف لها وقفاً مليحاً ونقل اباہ صلاح الدين اليها^(٥)

ولما توفي الملك العادل اخو صلاح الدين سنة (٦١٥) دفن في قلعة دمشق
أيضاً ، فبنى له ابنه الملك المعظم تربة ومدرسة دعيت باسمه ونقل اباہ اليها^(٦) ، والمدرسة
المذكورة هي مقر المجمع العلمي العربي بدمشق .

هذه صورة مجملة عن تاريخ الترب الاسلامية وهي تختلف كل الاختلاف عن
ترب ومدافن الامم القديمة الخاصة التي لم يقصد منها الا تجليد الذكر والفخار لأصحابها
بخلاف المدافن الاسلامية الخاصة التي قصد منها خدمة العلم والثقافة مضافاً الى ذلك
تخليد اسماء المشاهير من عظماء المسلمين .

محمد أحمد دهمان

دمشق :

(١) هو الشهير بموسى الكاظم بن جعفر الصادق ويمد موسى ثامن الأئمة الاثنا عشرية توفي في
بغداد سنة (١٨٣) قيل إنه توفي مسجوراً .

(٢) الوافي بالوفيات في المكتبة الأشمعية بالاسطوانة رقم المخطوط (٢٩٢٠) عن السيد يوسف
المش . وللي بن علي بن دزوبهار ترجمة في الجزء التاسع من عنوان التواريخ لابن السامي . نشره
مسطفي جواد في بغداد عام ١٣٥٣ هـ .

(٣) تنبيه الطالب ، ومختصره للعلمي والبقاعي .

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٥٣٢ المطبعة الأميرية والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٥٤ و ٥٥ .

والتمليقات عليها . (٥) تنبيه الطالب ، ومختصره للعلمي والبقاعي . (٦) المبدد قسه .

هل عرف العرب البلهارزية

١ : توطئة

ليس كاتب هذه الكلمة طبيباً ، انما دزس الطب في شبابه مدة سنتين ، ثم عدل عنه الى تحصيل الفلسفة وعلم اللاهوت في مونپليه *Montpellier* ، في فرنسا للترهب فأكب عليها سبع سنوات ، ثم ترهب .
فما تقرأ هنا ، لا يعتمد عليه الا من باب الاطلاع والفضول والوقوف على ما يكتب ، لا من باب العلم الذي لا يرتاب في حقيقته ، ولا من باب التأكيد الذي لا ريب فيه .

ان البلهارزية لم تخلق في هذا العصر ، ولا قبل عصور عدة ، انما وجدت مع وجود العالم ، وهي « دودة مستطيلة : الى البياض ماهي ، طولها ثلاثة خطوط ، واغلب ما تكون في الاوردة الصغيرة ، في الغشاء المخاطي المبطن للمالك البولية ، وتسبب البول الدموي في اهالي ديار النيل » (عن لتره في معجمه الطبي)
وبلهارزية ، كلمة منسوبة الى الطبيب الالماني الذي اكتشفها في مصر واسمها *Bilharz* فالعرب كانوا في وادي النيل وعاشوا فيه ، وابتاؤم لا يزالون في تلك الديار ، وهم يصابون بالبول الدموي الى عهدنا هذا ، فلا بد من ان اجدادهم عرفوا هذا الداء والدودة التي تسببه ، فما كانوا يسمونها ؟

٢ : البلهارزية هي قملة النسر .

قرأت في القانون لابن سينا ما هذا نصه الذي اتقله بحروفه عن نسختي الخطية (ظهر ص ٧٢٣ وتقع في المجلد ٢ : ١٤٨ من طبعة رومة) :
« فصل في قملة النسر المسماة (دَدَّه) بالفارسية ، و (صملوكي) باليونانية ، و (طفانوس) بالهندية .

«وهذه حامة كلقملة» أو كما صغر المبدان ، قال جالينوس : هي صغيرة لا يتوقى منها ، وتكاد لا تبصر لسمتها ، وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ، ومن المقعدة ، ومن المعدة ، بالتي ، ومن الصدر والرئة ، ومن أصول الاسنان . وربما عظم الخطب فيها ، فلم تقبل الدواء » انتهى

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ٥ : ١٢٠ : « وكذلك يقال ان البعوضة لو ألحقت بمقدار جرم الجرارة ^(١) ، فإنها أصغر العقارب . ثم زادت من تضاعيف ما معها من السم على حسب ذلك ، لكأن شراً من الدويبة ، التي تسمى بالفارسية دده ^(٢) وهي أصغر من القملة ^(٣) شيئاً . وتكون بمهرجان قذق ^(٤) ، فإنها مع صغر جسمها ، تفتخ الانسان في أسرع من الإشارة باليد ؛ وهي تمض وتلسع ، وهي من ذوات الافواه ، وهي التي يزعمهم يقال انها قملة استحالت هذه الدابة الخبيثة » انتهى .

٣ : سبب تسميتها بقملة النسر

يظن بعضهم ان قملة النسر سميت بهذا الاسم لأنها تكون فيه ، لا تخرج منه ، فتهجم على الناس . هذا في رأي الأقدمين ، وليس من العلماء المحدثين من يرى هذا الرأي ، فهي لا توجد فيه ، وان وجدت ، فكيف تصل الى الانسان وكيف تهجم عليه ، ولا سيما في المواطن التي لا نسر فيها ، ولا أثر له فيها ؟ ثم كيف تصل الى مسالك البولية ؟

والذي عندنا انها سميت بذلك للإشارة الى انها تفتك بالانسان ، فتك النسر بصيده ، او من باب اضافة الحقير الصغير الى الجليل الكبير ، تعظيماً له ولأمره ولفعله . فقد قال الأقدمون منا : أسد الله ، وسيف الله ، وقوس الله ، وزمخ الله ،

(١) الجرارة : ضرب من القرب صغير حيث يعرف بهذا الاسم في بغداد ، واحده جرارة . وفي الأصل المطبوع الجرادة وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل المطبوع ذروة وهو خطأ بين .

(٣) وفي الأصل المطبوع : أكبر من القملة شيئاً ، وهو وهم آخر .

(٤) وفي الأصل المطبوع : بمهرجان فوق ، وهذه كلمة أخرى .

وكتب الله ، الى نظائرها من التعابير ، ونحن نعلم ان ليس لله أسد ولا سيف ولا قوس ولا رمح ولا كلب ، بل كل ذلك من باب التعظيم والاجلال .
٤ : مترادفات قملة النسر

قال ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة علي بن منصور الحلبي (طبعة مرجليوث ٥ : ٤٢٧) (١) : « واتفق ان الطيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها ، وكان نصرانياً » اه .
وذكر التراقي ابن الاثير في كامله . قال (في المجلد ١٠ : ٣٧٤ من طبعة الافرنج) : « في هذه السنة (٥١٢) . سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفي المستظهر بالله ، ابو العباس احمد بن المقتدي باسر الله ، وكان مرضه التراقي (٢)

وعندنا ان التراقي من اصل فارسي هو (تراك) كسحاب وكتاب . ومعناها الشق والفلع والفلق وسمي كذلك لأن هذه الدودة تحدث فلماً دقيقاً في المكان الذي تقيم فيه ، وعربت بقاف في الآخر وزيادة الياء ، كأنيهم أرادوا ان يقولوا : ذات الصدع او الصاعدة .

على أن لما تأويلاً في اللغة الخادية وهو : ان التراقي جمع ترقية مصدر رقي .

(١) نحن لا نستشهد بطبعة الدكتور احمد فريد وفاعي بك فانها لكثيرة النلط والتصحيف وأرهام الطبع ، فان هذه الترجمة وقعت في المجلد ١٥ من ٨٣ وما يليها . فقد جاء مثلاً في الآيات المذكورة في ص ٨٧ ما هذا نصه : « ان الزمان قد نضر » وفي مرجليوث : قد نضر — وفيها : قد عدا على النصر . وفي مرجليوث : فقد غدا — وفيها : من غره — وفي مرجليوث : من غرة . ونحن لا نشكر ان لرواية الدكتور أوجهاً أسخ من أوجه مرجليوث لكن يحسن به أن يذكر الرايتين ليتبين الفرق بينهما وينتهي القاري ما يشاء أو ما يستصوبه .

(٢) لاحظ ابن الاثير ان المقتني لأمر الله بن المستظهر بالله مات بالعة التي توفي بها والده ، وهذه عبارته : « في هذه السنة (٥٥٥) ثاني ربيع الأول توفي امير المؤمنين المقتني لأمر الله . أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس احمد بن المقتدي بأمر الله رضي الله عنه بعة التراقي . . . ووافق أباه المستظهر بالله في بعة التراقي ، وماتاً جميعاً في ربيع الأول » اه .
ولا شك ان الابن تلقى مرضه من والده ، وإن لم يكن هذا المرض مدياً في حد نفسه . هذا الذي يتبين من الظواهر ، ولعل هناك شيئاً آخر يدلنا عليه امبارؤنا المهرة الخذاق .

وسبب تسميتها بذلك انها اذا دخلت الجسم ارتقت فيه شيئاً فشيئاً حتى تبلغ ملك البول ، فتجد فيه بيئة صالحة تعيش فيه وتنمو نمواً يزيد بها توالداً وتكاثراً ، فهي ذات تراقٍ .

وأما اسمها (الشقفة) فانه مشتق من الإِرمية من فعل (شَقَفَ) ومعناها الرضة والشدخ والصدعة-اي بمعنى اختها (التراقي) ، ان سلنا انها من الفارسية ، وهو الرأي الاشبه . ويجب ان تضبط (الشقفة) وزان (الغرفة) بخلاف ما ضبطها الدكتور احمد فريد رفاعي بك اذ جاء البيت الآتي مضبوطاً هكذا :

بشَقْفَةٍ بين منكبيه رشاًوها في قلب قلبه
وحنا غاط آخر وهو ضبط المنكب ، ككبر والصواب كمنزل .

وقد شرحنا سبب تسمية هذه الدودة بقملة النسر فلا نعود الى ذكره ثانية .
وان قال قائل : ليست قملة النسر بالبلهارزية فنسأله : اذن ماهي ؟

هـ : دودة اخرى : خرز الطين

وذكر القانون بعد قملة النسر هامة أخرى سماها « خرز الطين » ووصفها هكذا ، فقال :

« فصل في الطبوع وخرز الطين ، وهي دابة كثيرة الأرجل ، حادة السهم ، هي في أحكام قملة النسر » ١٥ .

قلنا : اذن هي مؤذية اذى قملة النسر ، أفلا يوافق هذا الوصف ما قيل في الهامة التي يسميها العلماء : *Trichodectes* ، فانها كثيرة الأهداب او الأرجل وتعيش في المستنقعات ، غريبة الشكل ، تكاد تشبه الخرز في ظاهرها ، وتثبت بالكلاب فيقال لها *Trichodectes canis* ، وبالمعزى فيقال لها : *T. climax* ، وبالبقر فتدعى *T. scalaris* وبالخرفان فتسمى *T. spheroce phalus*

فأنا اطرح هاتين الكميتين على مائدة النقد والتحقيق والتدقيق في النظر ، لتجلي الحقيقة الفاصلة في هذا الموضوع الغريب :

ومن العجب ان معاجم اللغة لم تذكر اسماً من الأسماء الثلاثة ، ولا خرز الطين . وقد جاءت هذه الأخيرة مصحفة تصحيفات غريبة في نسخ القانون ، من مطبوعة ومخطوطة ، وانا اذكر هنا ما وقع طائر بصري عليها وهي : خزر الطين ، بتقديم الزاي على الراء . — وخزر الطين ، بزايين . وخرز الطين ، بجاء مهملذ وراء وزاي — وخرز الطين ، بيجيم وراء وزاي . وعسى ان يقوم من دكاثرتنا الممضين في الطب واللغة ، من يزيل الابهام عن هذه الالفاظ فيكسب شكر جميع الناطقين بالضاد .

الأب أنستاس ماري الكرمللي

بغداد :



مفردات القرآن

ولا تقول غريب القرآن ، لأن مدارس القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة بجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوقة الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المغزى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقيب عنها في مطاوي المعاجم المبسوطة . وقد يما عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأثنى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البديهييات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظاء ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغاته ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكنياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفًا لكف ، فأسفر هذا التأزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبديهي ان مفردات القرآن كتر اكيه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وانها مقتسم المتأدين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين . والله شيخ المعرفة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة القرآن « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن الحجة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالاعجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال . . . وان الآية منه او بعض الآية لتعرض في أفصح كلم بقدر عليه المخلوقون ،

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » -
ولا مزية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم
وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصعابة يعرفون أكثر ما يرمي
إليه من المعاني ، وما يرمي إليه من المغازي ، وإذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا إلى
الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .
وأكثر ما يكون تساهلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها
عن مجاريها الاعتيادية إلى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل :
القرآن . والايان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غر الناس
على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، إلى أن فتح على العرب بمالك
الأعاجم ، واختلطوا بمحرائها ، وصفرائها ، ويضائها ، وسودائها . ومن هناك أخذ
الناس يدخلون في دين الله أفواجا من بين فارسي ، ورومي . ونبطي ، وحبشي ،
وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالمساكنة
والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والمتاجرة . وبذلك تداخلت اللغات ،
ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبليبل ، فجاءت مختلفة السلائق ،
مضطربة الألسنة ، كما نبتت نابتة من أبناء الأعاجم ثقفت من العربية ما يسد حاجتها
في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذر قرن لغة أمشاج ، لا هي بالعربية الصافية .
ولا بالعجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة أن ملكت المهجين من السنة الدهماء ،
واحتلت مكانة ضيقت فيها على المعربة أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى
للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .
ومن هنا شعرت جمهرة القوم بميس الحاجة إلى الاستفسار عن كثير من الفاظ
القرآن الكريم ، واستجلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مراميها بحكم
سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به يتشرون وينظمون .
ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفاقم الاضطراب

والاختبال - استنزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه ألف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماه (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلاً .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس أئمة اللغة الا وتجد صدره متخلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عارية من الترتيب غفلاً من التبويب ، وكانت بالجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب . واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٢٣٠) فألف كتابه المشهور (بترجمة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه ، فبدأ بالهمزة المفتوحة ، وثنى بالمضمومة ، وثالث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أئمة ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يجرده هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهد بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر . ولم تزل التأليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١)
وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غربي القرآن والحديث ، ورتبه على
حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح . واثبتها
في حروفها وذكر معانيها . فاذا أراد الانسان كلمة وجدها في حرفها . فجمع كتابه
هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من
بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى ان جاء الحافظ
ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه ما فات الهروي
من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ،
وغير الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقهما
من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني
(المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتباً على حروف الهجاء ،
مقدماً ما أول اصوله الحمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات
التي بين الالفاظ المستعمارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من أحسن ما ألف في باب من
حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو — في
نظرنا — ائيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الالفاظ القرآنية ، وعليه
اعتمد اليفاضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الالفاظ وأصول اشتقاقها . ولم
نعرف من بعده كتاباً يفضل في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا
الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة
على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالمنقول عن ابن عباس وأصحابه
الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجد
ذلك منشوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها نجلال الدين السيوطي
في (الاتقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الایجاز .

بقراءة :

طه الرازي

خريطة العالم العربي

من سنة ١١٥٤ ميلادية

حصر الغرب اللغات العلمية المدنية باللغتين اللاتينية واليونانية . وأرى انه كان للغة العربية في القرون الوسطى أثر في المدنية الغربية ، فهي فضلاً عن أنها أم المدنية الاسلامية ، تستحق أن تعد ثالثة اللغات المدنية الغربية .

وبرهاناً على هذه الحقيقة التاريخية (التي ظمها الغرب في ابتها الشرعية) أقدم لكم شاهداً عدلاً وهو : ان أول خريطة عالمية بالمعنى العصري ، كانت تحتوي على تفاصيل جغرافية اوروبا وافريقية وآسيا ، نشرت في أوروبا سنة ١١٥٤ ميلادية ، وكان نشرها باللغة العربية .

وقعت قبل هذه الخريطة بالف سنة محاولة وضع خريطة عمومية باللغة اليونانية للأراضي المعروفة في تلك العصور وقد رسمها بطليموس بمصر . الا ان خريطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية . لأنه ذكر في خريطته نحو ثمانية آلاف من أسامي الأماكن . والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر في خريطته . أما هذه الخريطة العربية فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأمكنة ترد اليوم في خرائطنا المصرية ومعلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعتبر هذه الخريطة خريطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

رسمت هذه الخريطة بمدينة بالرمه *Palermo* في جزيرة صقلية . رسمها ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي . يقال أنه ولد في أسيوط سنة الف ومئة ميلادية . وتوفي سنة ١١٦٣ ميلادية وكان يشتغل بالعلوم في قرطبة ، وقد ساح الأقطار وألقى عصا التسيار في جزيرة صقلية عند ملكها روجار الثاني ملك جزيرة صقلية وابطاليا الجنوبية وقسم من شبه جزيرة البلقان من سنة ١١٣٩ — الى سنة ١١٥٤ . وعاصمته مدينة بالرمه .

وكان هذا الملك يعني بالجغرافيا ، كان يجمع المعلومات الجغرافية من أقطار العالم كافة ، ثم عزم على هذا العالم العربي الادريسي أن ينشر هذه المعلومات ويرسم عليها خريطة جغرافية لأوروبا وإفريقية وآسيا . فقام الادريسي بهذا الأمر المهم حق القيام ، ونشر كل ما جمعه الملك من المعلومات ، وزاد عليها وكملها بما حصله هو نفسه باجتهاده طول عمره .

فوضع أول مصوّر عالمي باللغة العربية وقد حفره ونقشه على لوح فضي بشكل خوان ، يقوم على قوائم ، طوله متر ونصف وعرضه ثلاثة أمتار .

صرف الادريسي في سبيل تحقيق المعلومات التي كان جمعها الملك روجار ، وفي ترتيبها ، وفي جمع المعلومات الجديدة ، وكتابتها وحفرها زيادة على خمس عشرة سنة كاملة . وفي السنة (١١٥٣ - ١١٥٤) وهي السنة الأخيرة من هذه الأعمال الكبيرة أصاب الملك مرض ، والغالب ان الادريسي عجل في اتمام عمله وخريطته حتى يراها الملك العظيم قبل موته ، وقد وفق الى اتمام عمله الكبير في ربيع سنة ١١٥٤ ميلادية حتى تمكن الملك الكريم من رؤية نتيجة مساعيه الجليلة ، فتوفاه الله بعد قليل من الزمن .

وقد كان لهذه الخريطة في عهدها أثر عظيم فانتبه لذلك الشرق والغرب . يشهد بذلك كثرة النسخ المحفوظة في الخزائن الغربية ، ومن الأسف أن تلك النسخ كلها متجزئة . فما كان الناسخ يستنسخ الا ما كان له علاقة بوطنه . ولم يعهد من استنسخ الخريطة باجمعها . أما الخوان الفضي الذي خرطت عليه هذه الخريطة البديعة فقد صار فريسة حروب ، فضاعت الخريطة بيد طامع طمع في ففتها فأذاها .

وجاء العالم الألماني كونراد ميلار *Konrad miller* فبحث هذه الخريطة البديعة بجميع أجزائها المشتتة من قبورها المتفرقة ، فاشتغل هذا العالم سنين عديدة جامعاً كل الاجزاء وكسماها شكلاً يشبه حيثها الأصلية وطبعها سنة ١٩٣٧ ، وكتب الأسماء العربية كلها بالحروف اللاتينية . وصارت كل الحروف منكوسة رؤوسها .

الى اسفل ، على نظام الخرائط العربية القديمة ، لأن الجنوب فيها فوق الصحيفة .
ثم طبعت الخريطة سنة ١٩٣١ طبعة ثانية . وقد أرسلت اليكم بنسخة منها فوتوغرافية .
ومن يرغب في اقتنائها فليراجع ناشرها في ليدسبك .



ولننظر نظرة اجمالية اول خريطة للعالم المتمدن القديم ، ولا يتعجبنا الناظر اذا رأى قلة الالتقان في تخطيط حدود البحار والأراضي لأن أسباب الالتقان لم تكن متوفرة عندهم في تلك الأزمان ، حتى لم تكن عندهم الابرة = البوصلة *Bussola* ولم يكن عندهم ما به يمحون المسافات البعيدة . وما كانوا يرسمون الا على صور ذهنية كانت تحفظ في حافظاتهم بالمشاهدة الذاتية او من حكايات أهل البياحة .
ويظهر لنا من خريطة الشريف الادريسي انه كان يعرف الغرب والشرق معرفة جيدة ، وان لم يكن يجيد الرسم . ومركز المعمورة في زمنه على حسب عقيدته كان الشام بمدينة : دمشق ، وحمص ، وبيروت وغيرها ، وفي شرق الشام : العراق وايران والتركستان ، وفي جنوب الشام : جزيرة العرب . ولا يستغرب اذا كان الادريسي لا يعرف آسيا الشرقية والشمالية معرفة جيدة فالقليل الذي كان يعرفه منها له قيمة كبيرة عندنا اليوم . والادريسي وان لم يكن يجيد معرفة اوربا

الشمالية الا انه كان يعرف أوروبا الغربية وافريقية معرفة تامة . وكان يعرف ان النيل ينبع من الجياض الكبيرة في أواسط افريقية - وكان يعرف اكثر مما كان يعرفه الغرب قبل اليوم بمئة سنة لأن الغرب لم يكتشف منابع النيل الا في العصر الماضي ، ومن هذه الناييع يجري النهر الآخر العظيم الى الغرب ، وكان يعرفه العالم العربي الادريسي قبل أوروبا بسبعائة سنة .

وظهرت اليوم مسألة مبهمة بالنسبة للعلم الحديث وهي اثبات ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات الجغرافية في خرائطنا العصرية للعالم المتمدن القديم . وذلك بأن ترسم خريطة تاريخية للعالم القديم على حسب ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات اي بتقدير المسافات وتعيين حدود الأراضي والسواحل والبحار والجبال والأنهار على غاية الاثقان . ويتأتى حينئذ لكل راغب أن يرى رأي العين اكل خريطة تاريخية للعالم القديم على النحو الذي كان يعرفها العالم العربي في عصره . وليان ان حل مثل هذه المسألة ممكن سهل ، آتى بشاهد من وطننا فنلاند في أقاصي الشمال البعيدة ، وان ضنت خريطة الادريسي الكريم بمعرفة شيء عن بلادنا . وذلك ان الأخوين المعروفين من بيت العلم الشهير: اجدهما تال غرين - توليو والثاني آدم . تال غرين قد تمكنا من تعيين مكان واهمية كل ما أتى به الادريسي في خريطة من المعلومات القليلة ، ورسمها في خريطة فنلاند العصرية بغاية الاثقان . ثم نشرت رسالة صغيرة ذات أربع وخمسين ومئة صفحة في البحث العلمي المهم باسم *Studia Orientalia III. Idrisi: La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux* ولها لواحق عديدة ذات مكانة جديدة .

أما الأقطار التي كان يعرفها الادريسي معرفة جيدة فان أهل العلم الحديث اتوا فيها بخدمات علمية جلييلة ونشروها وما زانوا ينشرونها . وهي ، على ما نظن ، معلومة لديكم .

يوحنا آختينن كارسيكو

فنلندة كاتناس - آلا

مخطوطات ومطبوعات

انباء الغمر بأبناء العمر

من تفائس مخطوطات المدرسة العثمانية بحلب (انباء الغمر بأبناء العمر) للحافظ الامام الشيخ احمد بن علي بن حجر العسقلاني . وهو في مجلدين ضخمين الأول في ٤٤٤ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدىء من سنة ٧٧٣ وهي تاريخ ولادة الحافظ

ابن حجر وينتهي في سنة ٨١١

والمجلد الثاني في ٤٠٤ اربع واربعائة صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدىء فيه من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٥٢ الى السنة التي توفي فيها المؤلف . والنسخة مقروءة مع شيء من الصعوبة وعلى حواشيتها هوامش كثيرة منقولة من تاريخ البدر العيني الا ان كاتب الحواشي هو غير كاتب الأصل ، وكتب على ظاهر المجلد الثاني مائه : هذه النسخة بخط سبط المؤلف

والمؤلف يذكر حوادث كل سنة في مصر وغيرها ويعقب ذلك بذكر من توفي فيها من الاعيان ، الا ان معظم الحوادث التي فيه هي مما كان في مصر . وآخر ترجمة فيه ترجمة ابراهيم بن رضوان الشيخ برهان الدين الحلبي . وبعدها ما نصه : هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الامام الحافظ القاضي شهاب الدين ابي الفضل احمد ابن حجر الشافعي .

قال في كشف الظنون : اول هذا الكتاب الحمد لله الباقي وكل شيء ينفي الخ ذكر فيه انه جمع الحوادث التي ادر كها منذ ولد سنة ٧٧٣ وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوفياً لرواة الحديث . وغالب ما نقله من تاريخ ناصر الدين ابن الفرات وصارم الدين بن دقاق والمقريري والتقي القاسمي والضلاح خليل الأقفهسي والبدر العيني وأورد ما شاهده ايضاً . قال وهذا الكتاب يحسن من حيث

الحوادث ان يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير^(١) فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ومن حيث الوفيات ان يكون ذيلاً على وفيات نقي الدين بن رافع وانتهى فيه الى سنة ٨٥٠

واذكر اني رأيت مسودة المؤلف في المكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تشطيب وحواش وتكاد لا تقرأ لرداءة خط المؤلف رحمه الله تعالى

ويوجد من هذا التاريخ نسختان في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الآستانة الأولى في مجلدين رقمهما ١٠٠٥ - ١٠٠٦ والثانية في مجلدين أيضاً رقمهما ١٠٠٧ - ١٠٠٨ ولا ريب ان الكتاب جدير بالطبع لأن به تتصل سلسلة الحوادث التي وقعت في هذه السنين وتقف على من توفي فيها بصورة متسلسلة -

ولا ريب ان بالبحث يوجد منه نسخ غير التي ذكرناها وانا نرجو ممن يقف على نسخ منه ان يكتب لمجلة المجمع لعل ذلك يكون سبباً لنشر هذا السفر النفيس فتم الاستفادة منه عشاق الأدب والتاريخ والعلم

حلب:

محمد زاعب الطباخ

« الإجابة » لادوارد ماسنركه عائشة على الصحابة

(تأليف الامام بدر الدين الزركشي)

عني بتحقيقه ، ووضع مقدمته ، وتعليقه وفهارسه سعيد الأفغاني .

طبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ سنة ١٩٣٩ م .

أحسن الاستاذ الأفغاني كل الإحسان باستخراجه هذه الرسالة النفيسة من كنوز المكتبة الظاهرية ، وإحيائها بالطبع والنشر ، فان ام المؤمنين عائشة (رض)

(١) هذا التاريخ طبع في مصر ومنه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب في عشر مجلدات وقد قل منها بواظتنا لثلاثة خمس مجلدات ويظهر أنه وجد بعد ذلك نسخة أخرى في مصر فاستغنى عن استنساخ الباقي

في إحدى المعجزات البخالة في بيان مشكلات التفسير والحديث والتأوى والأحكام .
ومسندها في (ج ٦) من مسند أحمد بن محمد بن حنبل يقع في (٢٥٣) صفحة .
وعلى علمنا وفهمها المعول فيما كان يقع فيه التنازع بين كبار الصحابة (رض) في
النوازل والأحكام ، لا سيما في معرفة ما كانت يفعله الرسول (ص) في يئد .
و « الإجابة » توقف المطالع على سر عظمة هذه السيدة ، وعلو مكانتها ، وفي في
الأصل مائة صفحة الا قليلا ؛ ولكن الأستاذ الناشر بما قدم لها ، وعلق عليها ، ووضع
من فهرس في آخرها ، أبلغها الى (٢٣٠) صفحة بالقطع المتوسط .

وقد رتب الإمام الزركشي كتابه على مقدمة وثلاثة أبواب (الباب الأول)
في ترجمة عائشة وفيه فصلان (١) في ذكر شي من حالها و (٢) في خصائصها ومزاياها ،
وقد عدت منها (٤٢) واحدة (الباب الثاني) في استدراكاتها على أعلام الصحابة ، وفيه
استدراكات على (٢٤) صحابيا وصحابة في مسائل كثيرة من التفسير والحديث
والعبادات والمعاملات (الباب الثالث) في الاستدراكات العامة ، وفيه (١١) استدراكا ،
وفي ذيله أربعة آخر .

وأما الأستاذ الأفغاني فقد صدر الكتاب بمقدمة في نحو ثلاثين صفحة ، تضمنت
وصف « الإجابة » وسعة علم عائشة ، وترجمة المؤلف ، وعدد تأليفه ، وشيئا عنها ،
ووصف النسخة الظاهرية الفريدة التي ظفريها ، وما لقي في سبيل تصحيحها وإخراجها ،
وعرض نماذج منها مأخوذة بالتصوير الشمسي . وقد علق على هذا الكتاب تعليقات
دلت على بذل جهد ، واستنفاد طاقة ووسع ، فقد راجع لأجله عشرات المظان من
دواوين السنة وشروحها ، ومعاجم الحديث الخطية كمعجم الطبراني الكبير ، وكتب
الرجال والطبقات ، فجاءت تعليقاته وافية بالقصد ، ثم ختم الكتاب بفهرس خمسة
مفصلة (١) للأعلام (٢) للجماعات (٣) للأماكن (٤) للكتب (٥) للموضوعات وفي
الصفحة الأخيرة تصحيح للأغلاط ، ونحن نشير الى الاغلاط القليلة التي لم نرها
مصححة ، وقل أن يخلو من مثلها كتاب :

ص ٥ س ٧ : وعروة وابن الزبير ، والصواب : عروة بن الزبير وفي ص ٥ في التعليق : انظر مسند احمد ج ٦ ص ٩ : ليس في هذه الصفحة ما أشار اليه ، ولكن في غيرها ما يدل عليه .

الخطأ	الصواب
ص ٢٠ س ٢٠ فما زلت ارجع إلا الأخطاء	إلى الأخطاء
٤٥ ٦ وروي عنها	عنها
٦٩ ١١ ابن ملحة	ابن ماجه ، بالهاء الساكنة وصلا ووقفاً ، قد ارجع في فهرس الأعلام وتصحيح ، والغلط من قلم الناسخ ، لا الناشر .

٧٢ ١٣ ادخل البيت الذي دفن معها عمر : دفن فيه معها عمر .	
٧٣ ١٣ اعلى الدلاء من اسفله	: من اسفلها
٧٤ ١٨ فوق بعضها	: بعضها فوق بعض
١٠٩ ١٠ عن وتر رسول	: رسول الله .
١٢٠ ١٨ من مسند أبي داود	: داود : بواو واحدة ، وتراجع في فهرس الأعلام للتصحيح

ولما وصف الأستاذ الأفغاني مؤلفات الزركشي قال عن (لقطه العجلان) منها : وقد طبع في دمشق مؤخراً » (أي سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م) والصواب أن هذا الكتاب — الباحث في أصول الفقه والحكمة والمنطق والتوحيد — قد طبع أولاً في مصر بمطبعة والده عباس (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٨ م بشرح الإمام جمال الدين القاسمي ، ومن غرائب اتفاق القدر أنا قرأناه بشرح أستاذنا القاسمي عليه عام وفاته (سنة ١٣٣٢) فكانت عمر المؤلف والشارح واحداً ، وهو تسعة واربعون عاماً ، رحمهما الله تعالى . وقد طبع شرح القاضي زكريا علي لقطه العجلان ايضاً ، وطبع

شرح الزركشي على جمع الجوامع سيفي (اصول الفقه) للسبكي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .
وبعد فقد وجه الاستاذ الأفتاني في مقدمته أنظار نساء العصر الى علم عائشة
(رض) فقال في (ص ٦) : ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهم في صدر الإسلام
تتمذ عليها مشيخة المهاجرين والأَنْصار من كل حبر وعالم وفقيد وقاري وراوي ، وعنها
وحدما نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك .

واقول : ان الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن
من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الأدب أو الحقوق أو الطب ، أو شهادة التخصص
(الدكتوراه) بالفلسفة والتربية ، ولكننا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية فتاة
تحمل شهادة ابتدائية في الدين ، دع المتوسطة والعالية ! فان قيل : وأين تخصص
الفتاة الحاملة لشهادة (البكالوريا) أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية ؟ فالجواب من وجهين :
(١) يجب أن نطالب الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت
إنشاءه وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة ، وفوائده جزيلة .

(٢) ان الأزهر الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء
المسلمين عامة ، لا للمصريين خاصة ، فمن السهل على بناتنا من حاملات البكالوريا ،
ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصبحن بعض ذوي المحارم ، وينهلن من معين الشريعة
الصافي ، ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح .

محمد بهجة البيطار

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ من القسم العربي مع الذيل والفهارس و ٥٧ من الترجمة الاسبانية
بوسكا • المرائش (المغرب) ١٩٤٠

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً
في نفس كل عربي يثير فيها العبرة والسمعة معاً .

ولعل اغرب ما في هذا الدرس تلك الفوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان
حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين .
وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والاسبان
وشاهد عن كثر ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب
اموال وسي نساء وذرياء ، واجلاء عن الاوطان واستباحة الحرمات المعابد
والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق الفر
وأطفال وأرامل أقدم الضعف^(١) ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش
وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الاسبان أنفسهم
هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الاسبان حينئذ
قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم .

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا
كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن .
نصر . . . ابن الملوك النصرين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ،
وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة . وعولت في ذلك
على الاختصار وتركت التطويل والاكثر^(٢) »

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لوشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتآلب أهل وادي آش وغرناطة معهما وموقعة بلش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والرندة وموقعة المكلين ، واستيلاء النصارى على حصن قنبيل ولوشة والبيرة — وحصار مدينة مالقة والبسة وحصن الشولبانية ثم حصار غرناطة وتسليمها .

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبدادها العرب على قلتهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إدمار . وأشد ما يفتجك هو خروج الخارجين على الأمراء واتقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض ، واستعانتهم بعدوهم على قومهم وأهل ملتهم حتى اذا انتهت الى آخر الكتاب لم تملك دمتك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بنجث ملك قشتالة وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان .

وفي آخر الكتاب فصل قيم الفائدة في (نزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب . وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتعرق من الألم والتفجع وتجزم حين يقرؤه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عذرتة ما ترقأ ، اسمه وقد صور لنا غدر ملك قشتالة بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في تقض الشروط شرطاً شرطاً وبجلها فصلاً فصلاً الى أن تقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدر كهـم الهوات والنلة . . . ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهرآ . . . وجعلت التواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدمين لم يقدرُوا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر... فيألفها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما أعظمها وأضرها وظامة ما أكبرها... وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الاندلس نور الإسلام والايان ، فعلى هذا فليكن الباكون ولينتحب المتحجبون فإنا لله وإنا اليه راجعون^(١).

نشر هذا الكتاب الأستاذ ألفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه وهو من منشورات مؤسسة الجزائر فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة النشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .
هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : «أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي»^(٢) في هذا الحكم مبالغة شديدة لأن الهفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [بمعنى الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب أو جازم كما سنشير اليه، هذه الهفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الأستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة وإذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فما ندري ما وجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٢٣ و ٦) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي . وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخير منه في العينة ليتداركها له ونحن مشيرون الى أهمها :

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحي وصوابها تحيا — دعى وصوابها دعا — الاستأذان وصوابها الاستئذان
فتفتنا وصوابها فاتفتنا مؤريخي : مؤرخي — ١ المبدى : المبدئ — المنشي : المنشئ
٢ علي ابن سعد : علي بن سعد — ٦ عن من : عن — ٣٥ أولئك : أولئك ٤٤ سبي
نسائهم : سبي نساءهم — ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد ، بنو مندبل : بنو مندبل

ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناصر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم
اهتمامه الى تحريف النساخ والإشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مدافاً	مدافعاً
٥ انبثا	اثبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الانتفاض	الانتقاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ يامراهم	يامرانهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نقد	نقد	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين

٢٦ وُقُتل منه خاقاً : وقتل معه خلق ٧٧ ليعاقبونهم ليعاقبهم

وهناك نقص وايهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعمل الحيلة في الدخول
عليهم والتقصير والتفريط .) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا
شيثاً الا سقف المدينة خاصة) و ص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوه من حينهم) مما
لا يفهم في الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف .
وهذه المأخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في اغلاط

الرسم بالرقم الفرعجي :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فها بهم بجلال المكان	فها بواجلال المكان	الأمتين التي	13 الامتين اللتين
8 الخفيل	الخضيل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغيرون	يفارون		

وقوله ص 11 : (بينما كان العراق بتفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بتأثيرهم وتتأثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه .
ولا تخلو لغته من ركافة كتابع الإضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » و كقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية المزهونة بجمرة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسعنا الا أن نشي على عاطفته العربية الحارة التي أشعرنا بها في أول الكتاب وإن نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود فنشكره في هذه المحلة ثانية وثالثة إن شاء الله^(١)

سعيد الأفغاني

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان فرمانة إلى الدول خوان الثاني سلطان قشتالة وليون بتاريخ • من ذي القعدة عام ٨٦٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب •

تاريخ حمص - القسم الأول - للخوري عيسى اسعد

عدد صفحاته ٢١٧ ويحتوي على ٣٦ صورة ، طبع في حمص

عام ١٩٣٩

شاء المؤلف ان يضيف الى سلسلة تاريخ سورية حلقة جديدة جمع فيها أخبار حمص منذ نشأتها الأولى حتى الفتح الاسلامي ، ومن يطالع هذا الكتاب يدرك الجهود التي بذلها المؤلف حتى جمع أخبارها ووفق لاستنتاج حوادثها لا سيما في اقدم عصورها . يستدل من عنوان الكتاب بأن المؤلف قد اقتصر على تاريخ حمص والحقيقة قد تعداه الى بعض أخبار الديار الشامية ومن بسط سلطانه عليها من الأمم المجاورة وذلك تعمياً للفائدة وتنويراً للحقيقة .

يتجلى في ابحاث هذا الكتاب عطف المؤلف على مدينته حمص وعصيته لها فأحب أن يربها ويجعل لها تاريخاً عربيقاً بالتقدم يتفق مع ما يرغب لها من المكانة التاريخية فقدمها على سواها من امهات المدن مثل قدش وقطنا وتونانات وغيرها من البلدان التي رددتها الوثائق التاريخية وقد اختار لها اسم (صوبا) الوارد ذكرها بالتوراة مع ان هذا اسم مقاطعة لا اسم بلدة واليهما نسبت (حماة صوبا) و (ارام صوبا) كما تقول اليوم دمشق الشام وطرابلس الشام . واما استدلاله عن نشأتها الأولى بموقعها الجغرافي وازدهارها الزراعي فحجته فيه ضعيفة . وكل ما يمكن قوله اليوم - ان سلمنا بقدم حمص - انها كانت قرية نكرة لا حول لها ولا قوة والا لما اغفل اسمها وانغمط حقها في العصور المتقدمة . وما نعلم ان حمص بدأت شهرتها في العهد السلوقي حينما ازدهرت في ظل اسرة سميفرام العربية فتبوءت حينئذ مكانتها في تاريخ سورية .

جعفر الحسني

انساب الأشراف للبلاذري

أخذت الجامعة العربية في القدس تنشر كتاب انساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان المتوفى سنة ٢٧٩ وذلك عن النسخة الوحيدة المحفوظة في إحدى دور كتب الاستانة . « وانساب الأشراف هذا يشتمل على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه أنساب قبائل العرب . فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره ونكته المستفادة وما قيل فيه من الشعر او بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بحوادث وقته » .

وقد تولى تصحيح الجزء الرابع من الكتاب الاستاذ غويتاين فجاء الأصل في ٣٧٩ صفحة عدا الفهارس والتعاليق التي جعلت بالعربية والعبرية والانكليزية وتولى تصحيح القسم الثاني من الجزء الرابع الاستاذ شلوسنجر فجاء في ١٧٠ صفحة عدا الفهارس والتعاليق وهي أيضاً بالعربية والعبرية والانكليزية . وقد بذل الناشران عناية فائقة في تصحيح المتن فاستحقا ثناء العلماء على عملهما المشكور واستحققت الجامعة الشكر الجزيل على احياها هذا الكتاب الأهم من كتب التاريخ بهذا الاتقان والطبع والوضع .

وقد وقعت للأسناذين الناشرين بعض هنات نرى أن نلفت نظرهما الى بعضها ومنها في الجزء الخامس صفحة ٩٧ خ 'مَرَجَتْ أماناتهم' - ص مَرَجَتْ أماناتهم ص ١٧٤ . اهل المعادن - اهل المعاود ٢٠٦ : وذرية الرماح - ودرية للرماح . وأشياء من هذا القيل واكثرها مما يمتفر . اما في القسم الثاني من الجزء الرابع فقد وقع فيه هنات في الاملاء والرسم قليلة وأشياء مثل ص ٨٦ : آكولا : أكولا .

١٢١ : وناديتهم أهل بلدكم — ناوأتم ١٣٦٠ : سخيًا لينًا — لسنًا ص ٣ بالقسر قذونة :
بالخذقدونة ويقال خلقدونة وهو البحر الذي منه المصيحة وطرسوس واذنة وعين زربة
ويقال لها الغدقدونة أيضًا كما في معجم البلدان لياقوت

وهذان اليتان اللذان نسباً زوراً لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وفيهما ورد اسم
الخذقدونة مما وضعه عليه المخرفون عن بني أمية : واليتان

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقدونة من حمى ومن موم

إذا اتسكأت على الأنماط مرتفقاً بدير مران عندي ام كلثوم

وقد وردا في البلاذري مقلوبين أي الأول ثانيًا والثاني أولاً

وكذلك يقال فيما أورده له البلاذري في الصفحة الأولى من أبيات ادعى
الراوون أن يزيد قالها لامرأته أم خالد ما إخالها تصدر عن أعظم الخلقاء فكيف
عن خليفة أعداؤه أكثر من أوليائه والعهد بالدين قريب والصحابة والتابعون
بالمرصاد يرجعون إلى الدين كل من ضل عن الجادة . وقد وقعت للبلاذري
أشياء نقلها عن رواة غير ثقات بقصد بها التهريج وإرضاء بني العباس وبني علي ولو
صح واحد من عشرة مما اتهم به يزيد بن معاوية لسارع أهله قبل كل الناس إلى
قتله . والبلاذري منحرف عن بني أمية مثل الواقدي وأبي مخنف ساء بهم الله .

محمد كرد علي

ليالي الملاح التائه

للاستاذ علي محمود طه : شركة فن الطباعة بمصر ، صفحاته ١٤٩

ديوان شعر لطيف الحجم حقل الورق وجميل الطبع والتصوير ، يدل على تقدم فن الطباعة بمصر وهو يشتمل على سبع وعشرين قصيدة ، قوية الشعور ، محلقة الخيال مع سبك عربي الاسلوب ونزعة الى التفنن والتجديد

عبر

للاستاذ شفيق المملوك ، صفحاته ١١٢

وبدل هذا الديوان أيضاً على تقدم فن الطباعة العربية تقدماً لا تحسد معه الطباعة الغربية على أبداعها ، وشعر الأستاذ شفيق رقيق التعبير ، يشبه الموشحات بافئانه ، وتزينه صور فنية للمصور الايطالي فرنكو شيني ، فالديوان على ذلك من طرف الفن بتعبيره وتصويره .



آراء وانباء

دار الكتب الوطنية في حلب

حدث خلال توقف مجلة المجمع العلمي العربي عن الصدور ، حادث يرتاح لذكره
جمهرة المثقفين في الديار الشامية . وهو انه ما كاد الامير الشهابي أحد اعضاء
مجمعنا ينقلد في اوائل السنة ١٩٣٧ منصب محافظ مقاطعة حلب ، حتى جعل في مقدمة
اعماله تشييد بناء عظيم يتخذ داراً للكتب وغرفاً للمطالعة وردحة للمحاضرات .
ومن المعروف ان مدينة الشهباء كانت حتى ذلك اليوم خالية من بناء يحاكي المدرسة
العادية او الظاهرية او مدرج الجامعة السورية في دمشق ، وان فرع المجمع
العلمي في حلب لم يكن له بناء للاجتماع والمحاضرة وحفظ الكتب والمطالعة .
وعندما راجع الأمير الشهابي مجلس الوزراء في هذا الصدد ، وجد أن تدارك
المال من ميزانية الدولة ، لتشيد البناء المذكور ، يكاد يكون من مستحيلات
الأمر . فعمد عندئذ الى خطة لا ينازع في تنفيذها منازع . وهي انه لما كانت
بلدية مدينة حلب وبلديات الأقضية والنواحي في تلك المقاطعة تابعة جميعاً للمحافظ ،
أصدر قراراً بأن تخصص كل بلدية تابعة لمحافظة حلب عشر وارداتها لتنفق على
إقامة دار الكتب في مدة سنتين . وقد أصاب بلدية مدينة الشهباء نصف النفقات .
وكان النصف الثاني من نصيب بلديات الأقضية والنواحي . وهكذا أمكن جمع
خمسين الف ليرة سورية (بسعر تلك الأيام) وهو المبلغ الذي اجمع المهندسون على
انه كاف لإقامة البناء .

وبعد ان سهل المال وجب الحصول على أرض تصلح للغرض المطلوب . وهنا
تذكر الامير الشهابي انه عندما كان مديراً لأُملاك الدولة السورية خصص لمديرية
البريد والبرق العامة أرضاً واسعة ثمينة تقع في احدى بقعة من المدينة اي في ساحة

باب الفرج ، لكي تبني المديرية المذكورة عليها بناء لدائرة البريد والبرق في حلب .
وتذكر انه مرّ على هذا التخصيص بضع سنوات دون ان يشاد البناء المطلوب على
تلك الأرض ، وانه ربما مرت سنوات عديدة أخرى والأرض باقية على حالها .
ولذلك سعى في مجلس الوزراء حتى ابطال ذلك التخصيص وحوله على اسم وزارة المعارف
لتبني دار الكتب الوطنية على الارض المذكورة .

فأصبح هذا المشروع المفيد مشتركاً بين بلديات محافظة حلب صاحبة المال المنفق على
البناء ، ووزارة المعارف (او المجمع العلمي) التي تتصرف بأرض البناء العائدة لبيت المال .
ولهذا عقد الأمير بين الفريقين اتفاقاً يقضي بأنه عند ما يتم البناء يسجل في
السجلات العقارية على اسم بلديات محافظة حلب ، ويخصص لفرع المجمع العلمي في
مدينة الشهباء ، فينتقل اليه خزانة كتبه ، ويشرف على شؤونه ، ويمارس أعماله فيه
كما هي الحال في العادلية والظاهرية بدمشق .

وبعد ان مهد صاحب المشروع جميع العقبات ، حمل دائرة الاشغال العامة في
حلب على مباشرة هذا العمل الجليل ترجيحاً على سائر اعمال تلك الدائرة . وقضى
سنتين وبضعة أشهر وهو يشرف شخصياً على صنع الخرائط والتصميمات وعلى أعمال
البناء . ولم يغادر منصبه في السنة ١٩٣٩ حتى كان البناء قد تم ، ولم يبق سوى
الأعمال التكميلية فأتمت بعدئذ على حسب الخرائط واخطط المقررة .

وعلى هذا أصبحت الشهباء تشتمل اليوم في أجل مواقعها على بناء بحري نخم شيد
بالحجار كبيرة لا يقل طول واحداه عن ٤٥ سنتيمتراً . وكثير من هذه الأحجار
حمر رخامية من التي تسمى « سماقية » في حلب و « مزينة » في دمشق . ويقول العارفون
ان دار الكتب الوطنية في حلب هي اليوم أجمل المصانع الحديثة في مدينة الشهباء بلامراء .
وقد جعلت الطبقة الأرضية من البناء مدرجاً للمحاضرات يتسع لخمسمائة
مستمع ، كما جعلت الطبقة العليا غرفاً تتسع لأربعين الف مجلد ولمائة مطالع ،
عدا غرف الإدارة .

ذكرى المولد النبوي

يحتفل المسلمون كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام احتفالاً رائعاً، وأي ذكرى أحق من هذه العناية وليست هذه العناية بالمولد قديمة .

ولم يرو عن الصحابة والتابعين ، وأول ما نقل إلينا أن الخيزران والدة حارون الرشيد اصلحت البيت الذي ولد فيه رسول الله . أما الاحتفال بذكرى المولد نفسها فلم يظهر إلا في عصر الفاطميين الذين عدوا يوم الذكرى عيداً لدولتهم تقام فيه الزينة وتلقى الخطب والمواظ .

ولم يجعل أهل السنة لهذا اليوم شأنًا خاصاً إلا منذ عام أربع وستائة فقد بالغوا في هذا العام لأول مرة بالاحتفال بهذا اليوم وزينت إربل عاصمة الملك مظفر الدين كولا كبري صهر صلاح الدين يوسف بن أيوب واثقت الأنوار الساطعة ، وقرعت الطبول والموسيقى وأُنشد المنشدوت وظهر الملك المظفر صباح يوم الذكرى على برج مشيد من خشب وانتصب واعظ على منبر بجانبه يعظ الناس .

وظفق المسلمون من أهل السنة من ذاك اليوم يتخذون يوم المولد عيداً دينياً شعيماً . ولما ظهر الاحتفال بهذا المظهر ، أجمع الفقهاء على القول بأن الاحتفال وإن كان بدعة فأنما هو بدعة حسنة لاتصاله بشخصية الرسول المعظم . ثم ما عثم أن سرت إلى يوم الذكرى ضروب من المرامم أثارت نائراً بعض الائمة كابن تيمية في المتقدمين والامام محمد عبده في المتأخرين فشنوا الفارة على صورة الاحتفال ووجدوا في الأتاشيد التي ترتل نزعاً من التزعات الصوفية لا يقرها الإسلام الصحيح ووجدوا في النصوص التي تقرأ عن مولد الرسول ابتعاداً عما يجب أن يقال من سيرته الشريفة مما ورد في الأثر وانفرت حملتهم عن توجيه علماء المسلمين إلى الاحتفال بالذكرى وجهة حسنة لاتخرج عن حدى الدين وذلك بقراءة شيء من السيرة النبوية المنقولة في الكتب الموثوق بها وبالقاء الخطب يذكر فيها شأن الإسلام وأثر الدعوة المحمدية ويحض الناس فيها على التحلي بالأخلاق النبوية . وكانت الاحتفال بهذا يوماً يبعث في نفوس المسلمين بهجة يفيد يذكرون فيه المثل العليا التي حض عليها رسول الله . وحسنت ذكرى مولد رسول الهدى .

مَجْلَدُ رِجَالِ الْعَرَبِ

الجزء الرابع نيسان سنة ١٩٤١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

تأليف ابن المديم

كان أجداد ابن المديم قضاةً تسلسل فيهم العلم اجيالاً ، وكان من وراء نعمة عظيمة تجمعت لأهله بطول الزمن . جاء اهله في القرن الثاني من البصرة ونزلوا حلب تجاراً ، وبعد حين اشتغل بعضهم بالعلم فانقلبت تجارتهم ، وبان الأدب والذكاء على كثير من ابنائهم ، حتى اذا كان القرن السابع نبغ آخرهم صاحب المكانة الكبرى في عالم العلم والأدب ، فهو وارث مجد أسرته اعانه الفتي على الظهور بالعلم ففاق الاقران وخلد اسمه في سجل الزمان .

غرست الفطرة في ابن المديم صفات نادرة كانت عوناً له على ما أخذ نفسه به من الدرس ، وعلى تجلي عبقرية وانيماء قريحته ، هذا مع كثرة العلماء في بلده على عهده . وكان هو مفتناً فناناً ، مفتناً بالعلم الذي تلقاه عن علماء عصره وبه اعد نفسه لتولي منصب قاضي القضاة في مدينة عظيمة ، فبرز في الفقه والحديث والأدب والانشاء والشعر والتاريخ وكل ما تكمل به أدوات القاضي والمفتي . وكان فناناً لأنه رزق الاجادة في الخط حتى كان رأساً في الخط المنسوب ولا يشيما النسخ والحواشي ، وكان يقرأ الخط المعقد كأنه يقرأ من حفظه ، وقالوا انه اكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب ، وله كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه وإقلايمه وطروقه . عاش كأغنياء العلماء واخذ العلم عن علماء حلب ودمشق ، ورحل الى الحجاز ومصر .

والعراق ، وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب .
 هذا هو كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام (٦٦٦ هـ) وكان يطلق على
 امرته اسم بني جرادة ثم غلب على يبتهم اسم « العديم » ، وكان جميع أهل هذا
 البيت منذ كان الاسلام يحفظون الكتاب العزيز . وقد تولى خمسة منهم على التوالي
 منصب قاضي القضاة بجلب ، وكان كمال الدين واسطة عقدهم اشتغل بالسياسة والعلم
 فتولى الوزارة مرتين : الأولى للملك العزيز والثانية للناصر آخر بني ايوب ، وذهب
 بالسفارة عنها الى بغداد والقاهرة . ولا يتولى الوزارات في الغالب إلا الأكفيا ،
 ولا ينوب عن صاحبه في السفارات إلا أرباب الكفاءات المعترف بها .

ألف كمال الدين وصنف وكتب بخطه الجيد ألفاً من الصفحات ومن جملة
 ما كتب بخطه البديع ثلاث خزائن من الكتب : واحدة لنفسه وخزانة لابنيه
 لكل منها خزانة فاذا فرضنا أن كل خزانة تضم مئة مجلد وهو أقل تعديل
 فيكون مجموع ما كتب ثلاثمائة مجلد عدا تأليفه المستعة التي نمت على تحقيقه وبجته
 ولم نعرف منها سوى ثلاثة .

الأول من كتبه (ومنه نسخة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق) رفع
 الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري أو الانصاف والتجري ، ذكر فيه كل ماله
 اتصال بأصل المعري ومنشئه وأدبه وعلمه وتصانيفه ورحلته الى بغداد في طلب العلم
 وما وقع له طول حياته من الحوادث ومن كان يعطف عليه من أهل وكلمهم
 معروفون بالأدب والشعر ومن كان يستعلي منه مصنفاته ومن يكتب له ليل نهار وكان
 أربعة في جرائته وجارية ، وذكر من أخذ عنه . والمقصد من كل هذا الكتاب تبرئة
 المعري من التعطيل وكان أعداؤه ينحلونه أحياناً أو يحرفون أحياناً من شعره ليصححوا
 دعواه عليه بانحلال العقيدة . واهم جزء من الكتاب (وهو دفع دعوى الإلحاد عن أبي
 العلاء) ناقص من النسخ التي عرفت من الكتاب على أن ذلك لا يمنع من نشره بالطبع
 لما فيه من الفوائد التي أثرت عن شيخ المعرة وحكيها وأديبها .

والثاني تذكرة ابن العديم وجد منها مجلد ، في بضعة أجزاء أولها الجزء الخامس وآخرها الجزء السادس عشر وفيها فوائد أدبية وتاريخية كثيرة وهي جديرة بالطبع أيضاً ، ومما جاء في أولها لعلني بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني بجفئك قد جفاه هجوعه والقلب واصله عليك ولوعه

ونقام جنني فيك عن ذهابه والنوم عن على الجفون رجوعه

ومما جاء فيها : انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال انشدني القاضي وجيه الدين ملهف ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للأمير شرف الدولة ابن منقذ نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فميت دونهم ونبشت من الردم فجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وتلقاها وطلب من زوجة أخيه أن تعلمه بالمال وتهدها فقالت له : ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سائلة دونهم ولا تعلم بشيء وان كان لم شيء فهو تحت الردم . وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى شيزر وما حل بها وعان زوجة أخيه بعد العز في ذلك الليل عمل :

ليس الصباح من المساء بأمثل فأقول لليل الطويل ألا انجلي

ثلثت يد الأيام ان قسيها ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي

لي كل يوم كربة من نكبة يهمني لها جفني وقلبي يصطلي

باتاج دولة هاشم بل ياأبا التيجان بل يا قصد كل مؤمل

لوعاينت عيناك قلعة شيزر والسر دون نساءها لم يدل

لأبت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل

ومنها يشير الى زوجة أخيه المذكورة

نزلت على رغم الزمان ولوحوت بيناك قائم سينها لم تنزل

فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعرضت من عزها بتذل

وقال في أخيه :

ودُفنت بين ثلاثة ضاجعتهم كاللث خاجعه ثلاثة أشبل
وكان هذا الزلزال من أشد ما نيت به بلاد الشام في القرون الوسطى هلك فيه كما
قال ابن الأثير مالا يحصى كثرة وخرب منها بالمرّة حماة وشيزر وكفر طاب
والمرّة وأفامية وحمص وحصن الأكراد وعرة واللاذقية وطرابلس وانطاكية .
وأما كثرة القتلى فيمكنني أن معلماً كان في حماة ذكر عند أنه فارق المكتب لهم
عرض له ، فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال
المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب . أما حصن شيزر وهو على نصف
نهار من حماة فكان لآل منقذ الكنانيين فلم ينج منهم أحد ، وسبب هلاكهم
أجمعين أن صاحبها كان قد ختن ولدآ له وعمل دعوة للناس ، واحضر جميع بني
منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه ، وإذا كان في مجلس
أقيم الفرس على بابه ، وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار ، فجاءت الزلزلة فقام
الناس ليخرجوا من الدار فرمخ الفرس رجلاً كان أولهم فقتله ، وامتنع الناس من
الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ،
ولم ينج منها الا الشريد .

وكان بنو منقذ اصحاب قلعة شيزر (واليوم يقال لها سينجر) سلسلة جميلة في
الشعر والأدب كما كان بنو العديم في حلب سلسلة متصلة الإسائيد بالقضاء . خربت
قلعة شيزر والى اليوم لا تزال خراباً يباباً ، وأدب بني منقذ مازال محفوظاً في
الدواوين يتناقله المتأدبون ويمعجب به الشادون والمحققون . وكان آخرهم أسامة
(٤٨٨ — ٥٨٤ هـ) من أئمة الأدب عرفناه من الكتب التي أبقت الأيام عليها ،
ومنها كتاب الاعتبار ذكر فيه آل بيته وشجاعتهم وبطولتهم وما كان لهم على عهد
الصليبيين في الشام من منامرات ومن كتبه (كتاب العصا) ومنها (لباب الآداب)
وكلها مطبوعة تشهد لإسمامة بالعلم والنبوغ .

ومما نأثره من مذكرة ابن العديم ما نقله للسابق أبي اليمن محمد بن الخضر المعري في حلب:

حلب معهد الصبا والتصايف فقاها الوسمي ثم الولي
موطني بعد موطني فكأني لقراي بجيها البحرية

الى ان قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتباه الشرعي والفلسفي
غير أني أرى الاطايب مزرأ وحليف الافلاس عنها قصي

وما اقتبسه آيات لسان صاحب الدعوة الاسماعيلية وهي

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق أصبح ظاهراً عما تقول وأنت شبه النائم

ترجم لسان الملقب براشد الدين صاحب الوفيات فقال انه صاحب قلاع الدعوة
ومقدم الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية (او النزارية) وهو الذي هدد
صلاح الدين يوسف بقوله

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضعده
اضحى يسد فم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد تلاقي منه أضعده
وكتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدنا

أما الكتاب الثالث الباقي من تأليف ابن العديم فتاريخ زبدة حلب في تاريخ
حلب (منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية نقلت عن مخطوطة الأستانة) فالظاهر
انه أحسن كتبه ولم يبيضه وفيه كلام على جغرافية بلاد حلب وبجاراتها وجبالها
وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها ، وذكر فيه مدناً تعد اليوم من كيليكيا
والجزيرة مثل اذنة والكنيسة السوداء وطرسوس وسين والحدث الحمراء وملاطية

وسمياط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من الحصون والبلاد . وتكلم على جيجان نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة والعاصي نهر انطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس . وبذلك عرفنا أن عمل حلب في عهده كان واسعاً جداً اكبر من مملكة من الممالك الصغرى لعهدا . وفيه فصل من اجمل فصول الكتاب فيمن نزل من قبائل العرب باعمال حلب ومن كان قبلهم . وقيل شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل قنسرين وهو ثمانية وأربعون درهماً على الغني وأربعة وعشرون على الوسط واثناعشر على المدقع ، وما اشترطه عليهم للنازل بينهم من المسلمين والا يحدثوا كنيسة الا ما كان في أيديهم ولا يضربوا بالناقوس الا في جوف بيعة ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ولا يرفعوا صليحاً الا في كنيسة وأن يؤخذ منهم القبلي من الكنائس للمساجد ، وان يقرأوا ضيوف المسلمين ثلاثاً ، وألا يكون الخنازير بين ظهرائي المسلمين ، وان يناصحوا المسلمين ولا يغشواهم ، ولا يمالئوا عليهم عدواً ، وان يحملوا راجل المسلمين من رستاق الى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فمن وفى وفى المسلمون له ، ومنعوه مما يمتنعون به نساءهم وابنائهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حل دمه وماله وسبأ أهله وبرئت الذمة منه ، وكتب بذلك كتاباً .

واستفدنا من هذا التاريخ أن حلب كانت من أكثر المدائن شجراً فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين الاخشيدي أبي بكر محمد بن طنج ، فان الاخشيدي كان ينزل على حلب ويحاصرها ويقطع شجرها فاذا أخذها وصعد الى مصر جاء سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك . وتكرر ذلك منها حتى فنى ما بها من شجر ، وانفق نزول الروم على حلب سنة ٣٥١ ففنى شجر الشربين لذلك .

ورأينا له في هذا الكتاب تحقيقات تدل على تأنيه وبعد غوره منها أن ابن القارح ذكر في رسالته حكاية نسبها الى أبي الطيب قال وهذا عجيب فإن أبا الطيب ولد سنة ٣٠١ فكيف تصح هذه الحكاية . قال ابن العديم ولعله غير أبي الطيب ثم بعد حين كتب انه تبين ان الأمر كذلك ، وهذا المتن الذي ذكره المؤرخ هو أحمد بن عبد الكريم الأصفهاني .

ويقول ابن الشحنة في تاريخ حلب : أن كمال الدين بن العديم اتقن في تاريخه واجاد
 واطال ولم يبيض منه الا اليسير وأطال فيه من ذكر الروايات والطرف فجاء بمعنى
 تليل في لفظ كثير ولم يسبقه أحد بتاريخ لها على الخصوص وسماه « بغية الطلب في
 تاريخ حلب » رتبته على حروف المعجم كما أخبرني بذلك الأمير النقيب بدر الدين
 الحسيني تقيب السادة الأشراف بالملكة الحلية رحمه الله ان مسودته كانت تبلغ
 نحو اربعين جزءاً كباراً والميضة تجي كذلك لكن اختتمته المنيه قبل اكمال
 الأمانة وتفرقت اجزائه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآن منها الا تزرأ ولم
 أقف منها الا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم ...

محمد كرد علي

بعث قصيدتين

من مرقد هما لعدي بن الرقاع العاملي

كان صديقنا الامتاز خليل مردم بك قد نشر في مجلتنا هذه شعر عدي بن الرقاع العاملي مع ترجمة له حسنة (*) ، وباطلاع الاستاذ المستعرب سالم الكرنكوي عليهما كتب اليه كتاباً يذكر فيه انه كان قد جمع في الماضي ما تبسر له تحصيله من شعر عدي ، وانه ارسله مع ترجمته المنقولة من تاريخ دمشق الى الامتاز غويدي لعزم أحد تلاميذه على وضع اطروحة له في عدي وشعره ، لينتقدم بها الى جامعة رومة في سبيل الحصول على درجة الحكمة (الدكتوربة) في الأدب .

ثم ظفر الاستاذ الكرنكوي بنسخة غير جيدة من كتاب الخليل لأبي عبيدة معمر بن المثنى منقولة عن نسخة قديمة في المدينة المنورة كتبت سنة ٣٥٢ للهجرة ، وهو اليوم مكب على تصحيحه لينشره للناس ، وفي آخره عدة أشعار لقدماء شعرائنا بينها شعران في وصف الخليل لعدي بن الرقاع ، وكان عدي كطفيل النوي مشهوراً بمعرفة الخليل واجادة نعتها ، وقد بعث العلامة الكرنكوي بهاتين القصيدتين الفقيديتين لتشرأ في مجلة المجمع العلمي العربي فله جزيل الثناء ، وقد شرحتهما شرحاً كافياً للإفادة القراء ، والقصيدتان هما :

قال ابن الرقاع العاملي ، فخلط فيها بقول أبي دؤاد :

١ ولقد أغندي بأجرد نهدٍ لاسه بعد صنع المضاير

٢ أيد القصرين ما قيد يوماً فيمى بصرع يطار

-
- (*) راجع المجلد الخامس عشر من هذه المجلة تجد (مختارات من شعره) في الصفحة ٢٥٠ .
(١) الصنع بفتح الصاد مصدر صنع القرس يصنعه صنعا وصنة اذا أحسن القيام عليه .
(٢) القصران : ضلعان تليان الترقوتين ، او اللتان تليان النساكة بين الجنب والبطن كما في الهذيب ، والصرع الطرح على الارض .

- ٣ حَوْشِبُ الْخَلْقِ أَفْرَعَتْ كَتَفَاهُ عَنْ مَحَايِ ضُلُوعِهِ إِجْفَارُ
 ٤ وَإِذَا اعْتَزَّ مُقْبِلًا زَانَ مِنْهُ أَتْلَعُ مَا يُنَالُ مِنْهُ الْعَذَارُ
 ٥ وَيُرى مُجْفَرًا إِذَا هُوَ وَلَى فِي حِمَاتِهِ شِدَّةٌ وَإِنْتَارُ
 ٦ وَنَسُورُ لَهَا حَوَافِرُ مِنْهُ لَا يُرى فِي أَرْسَافِهِ انْتِشَارُ
 ٧ كَأَجْلَامَيْدٍ بِالْمَسِيلِ تَمَلَّأَ مِنْ فِي الْمَاءِ خَضِرَةٌ وَاصْفَرَارُ
 ٨ مَشَقَّ اللَّحْمِ عَنْ حِمَاتِهِ مَشَقًّا فَتَعَالَى وَاشْتَدَّتْ الْأُوتَارُ
 ٩ وَعَلَى الزَّوْرِ مِنْبُضُ الْقَلْبِ مِنْهُ بِجِيَاذِيمٍ بَيْنَهَا أَسْيَارُ
 ١٠ فَهُوَ طَافِرٌ أَقْبَى كَالْمَسْدِ الْأَمَّا مِنْ عَارِي الشَّوَى مُمَرَّةٌ مُغَارُ
 ١١ شَايِخُ الْحَرَتَيْنِ يَنْفَخُ مِنْهُ قُطْعَ الرَّبْرِ تَمْنُورُ تَنَارُ

(٣) الحوشب: العظيم البطن ، الافراع: الارتفاع والانحدار، والاجفار الاستكراثر وانتفاخ الجبين ويستقيم المعنى اذا اعتبرت (عن) مصحفة عن (في) . (٥) المجفر: اسم مفعول من الاجفار وهو العظيم الجبين ، والمأتان: اللحمتان في عرض الساق تربان كالمصبتين من ظاهر وباطن والجمع سموات ، والانتار: الانتطاع . (٦) النسور: الشواخص الواقي في باطن الحافر . والانتشار: الانتفاخ في العصب للانجاب . (٨) المشق: جذب الشيء ليمتد ويطول، ومن الفرس المشيق اي الطويل الضامر والأوتار هنا أربطة المفاصل . (٩) الزور: بفتح الزاي الصدر . (١٠) (طافر): اسم فاعل من طاف يطفر يقال: طافا الثور الوحشي على الأكر والرمال اذا علاها ، ويقال مرّ الطيبي يطفوا اذا خف واشتد عدوه ، والمنيان يجوز وصف الجواد بهما (الأقْب) ذو القَب وهو دقة الحصر وضور البطن ، و (المسد) الحبل من الليف يمسد أي يمرّ قتله ، وفي الكتاب: في جيدها حبل من مسد . والشوي الاطراف ، والجواد تكون قوائمه طارية من الشر ، و (ممر ومغار) اسما مفعول من أمر الحبل اذا شد قتله ، يقال: حبل مغار القتل وفرس مغار شديد المناصل .

(١١) الحرمان: الأذنان ، قال زهير :

قَتَوَاهُ فِي حَرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عَنقُ حَيْنٍ وَفِي الْحَدِيدِ تَسْبِيلُ

و (قطع الربو) يقال أصاب الفرس قطع بضم القاف وسكون الطاء مع ضمها أي ضيق تقس من المدور ، والربو البهر واضطاع النفس ، وكأنما أراد الشاعر ان سعة منغريه المخدودة في الحبل تقضي عند ضيق النفس اذا عدا .

١٢ وهو شاح كأن لحينه خوفاً قتب لاح منها النجار
وقال أيضاً :

- ١ على كل سلبية لاحها طراد المسارح أو سلب
- ٢ أشتق شخيص كتيس الفلا قريستن أو جوذر الحلب
- ٣ اذا ما تصملك من خشوة فأصبح كالفرار الأشعب
- ٤ أيمرت حوامل اوصاله كما تستمر قوس القنب
- ٥ وأشرف حاركه والقطا ط منه على طاقة المركب
- ٦ على أن مجتمع القصرية ن ليس بغوط ولا أحدب
- ٧ كيت كأن على متنه سبائك من قطع المذهب

التوضيح

(١٢) اسم فاعل من شحافه يشعوه اذا فتحه ، والحو والجو الوادي والناط من الارض . ولا معنى له هنا مضافاً الى القتب ، وهو الكاف البير ، فله مصحف عن (جنباً قتب) ، ومثله قول الشاعر :

كأن فاما واللجام شاحه جنباً غييط سلس نواحيه
(لاح) يقال كما مر : لاهه الطش لوحاً ولوحه غيره وأضره ، وكذلك السفر والبرد والسم والخرن كما في اللسان ، فالمعنى واضح أي أضر النجار جبني القتب وقد شبه بهما اللحين كما مر .
(١) السلب : من الخيل الطويل وقوله (لاحها طراد المسارح) اي غيرها أو ضرها والمسارح جمع مسلحة وهي الرقب يكون فيه قوم ذوو سلاح يرقبون العدو ، وللمنى واضح .
(٢) الأشتق : من الخيل الطويل ، و (قريستن) ينشط والامتنان النشاط ومنه المثل المذكور : (استنت اتصال حق القرعى) ، أي ان فرسه نشيط كتيس الفلاة وجوذر الحلب ، وهو نبات ترماه الظباء والشاة تسمن عليه فيشتد مرحها ، ومثله قول النابغة يصف فرساً :

باري النواضر صلت الجيـسـنـة يـسـتـنـ كالتيـس ذي الحلبـ

(٣) تصلك : الفرس طار ويره ، والخشوة السمن ، والفرار الأشعب : الثور ذو القرنين المتباعدين
(٤) لمل الصواب : القطاة ، وهي ما بين الوركين ، وقيل مقعد الردف من الدابة خلف القارس ، والمارك أعلى الكامل وقيل فرعه ، وطأة المركب ووطأته سهوله . (٦) النوط : في النائط اي المطش . (٧) المذهب : اي الدوة بالقصب ، ويقال كيت مذهب الذي تلو حرته صفرة .

الغوطة (١)

جزئيات المحاضرة

(١) الغوطة وحدودها (٢) بساتينها وقراها (٣) الأبنية الأثرية فيها (٤) مزارعها

(٥) سكانها ولسانهم وأديانهم (٦) أنهارها وزروعها (٧) أنهارها وريها

(٨) مدينتها (٩) صناعاتها الزراعية (١٠) منزهاتها (١١) أديها

سبق لي مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي (١٩٤١) أن أحدث المستمعين الى مذياع (راديو) الشرق في بيروت ببعض ما عرفت عن غوطة دمشق ، والآن أريد أن أتوسع في هذا الموضوع اللذيذ المفيد بأطول مما كنت تحدثت ، وأتوخى أن أتيكم بما عرفته من طريق الدرس والتجارب الشخصية .

الغوطة وحدودها

اشتق اسم الغوطة من الغائط ، والغائط المطمئن من الأرض ، والجمع غيطان وأغواط ، وقال ابن الأعرابي : الغوطة مجمع النبات . وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال ابو المطاع بن حمدان :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها فلي يحنوب الغوطتين شجوت

وما ذقت طعم الماء الا استغنني الى . بردى والنيرين حنين

والنيربان واحدهما النيرب ، وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق قال

ياقوت : إنها أثره موضع رآه . وفي مراصد الاطلاع : (إن النيرب قد جاء في الشعر

مثنى) فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعاً آخر وليس كذلك . فان الشاعر قد

ثنى الغوطتين وليس إلا غوطة ، كما ثنوا الفيضتين قال ابن منير :

سقاها وروى من النيرين الى الفيضتين وحمورية

(١) محاضرة القاها الامتاز محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في السادس والثالث عشر من ربيع الآخر

سنة ١٣٦٠ « ٢ و ٩ ايار سنة ١٩٤١ » في ردة المحاضرات .

الى بيت لميا الى برزة دلاح^(١) مكفكة الأوعية
وللتيرب اليوم يقال أرض التيرب وهي في جوار قرية المزنة . والغوطتان
على ما يظهر هما الغوطة الغربية والغوطة الشرقية . وقال بعضهم الغوطتان الغوطة
الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبلية .

وقيل انه كان يطلق على الغوطة اسم (البريص) وقد ورد في شعر حسان بن
ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمهم يومًا يجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المغم الخول
يسقون من ورد البريص عليهم يزدي يصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت : وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب
الأخبار الى البريص ، وقال يسقون ماء بردى ، وهو نهر دمشق ، من ورد
البريص . ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وبخالد بن
الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالقسلاط وهو موضع التحاسين وهو البريص الذي
ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون من ورد البريص عليهم . البيت -
لا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر .

لم يحدد القدماء الغوطة ، ولم يعرفوها التعريف المطلوب . فقال المقدسي : إن
مساحتها مرحلة في مثلها . وقال القزويني : إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة .
وقالب ياقوت : إن استدارتها ثمانية عشر ميلاً . وقال شيخ الربة : إنها من حيز
دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً^(٢) . وقال ابن

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء : ج د'لع (٢) الرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسير المعتدل
والبل مئة الف اصبع إلا أربعة آلاف اصبع ، أو ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع ، بحسب اختلافهم في
الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء ، أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا
الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف . والذراع أيضاً يختلف
 باختلاف الأنظار والأصابع .

طولون الصالحى في كتابه (ضرب الحوطة على جميع الغوطة) إن قرية زبدین آخر حدودها ، وهو صحيح ، ولم يذكر حدها من الشرق والغرب . وزعم أن (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المرج ، وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب ، وهكذا عدّها ياقوت وهو غير ضواب . وذكر البكري سيف (معجم ما استعجم) أن قرية دمر من الغوطة وعدّها الدوّ من الغوطة وقال إنها تلقاء البضيع ^(١) .

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رأوها كل واحد في عصره ، وكانت تسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسمائية . وقد قال صديقنا العلامة الأثري دوسو ^(٢) إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بحيرة المرج وبحيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الأنهار ، وأن الغوطة الآن إذا أطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين أي أن المرج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة الغوطة ، ومدينتها العظمى دمشق . وقالت مرتين إن النور الشرقي يكون سهل دمشق الذي يمتد من أقبال ^(٣) الجبل الشرقي إلى بادية الشام أو بادية تدمر ، فعند تجوّم هذه البادية غوطة أريضة من أجل ما أحدثت به الطبيعة ثقها الأنهار

(١) كذا البضيع مصغراً ويروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت .

أسأت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبيض فحومل

والبيض بالصاد الهلّة وقال إنه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكورة المشرف على الغوطة . هذا ما قاله ياقوت . وروي في التاج عن الأزهري أنه رأى جبل البضيع وقال إنه جبل قصير أسود بأرض البليّة فيما بين تيل وذات الصنين بالشام من كورة دمشق . وفي وسط الكورة جبل يناوح جبل المانم اسمه البضيع (بالميم والضاد والياء المشددة) ولله هو الأقرب إلى السواب . والبضيع أو البضم هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران

(٢) في كتابه طبوغرافية تاريخية لسورية في الأديوار القديمة وفي القرون الوسطى .

Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique et médiévale .

(٣) الأقبال جمع قبل والتقبل اللّيز من الأرض أو رأس كل أكمة وجبل .

الكثيرة ، ونكسوها الخضرة ، ويفشيها النبات الغض الوفور ، عرضها نحو ستين كيلومتراً ، وليس لهذا التجذ البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ، ولعله يريد طولها ولا يمكن أن يكون طولها كذلك إلا إذا تجاوزنا وأدخلنا فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ومصطلح القوم لهدنا أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قري شجراء ، وكانت من الأرض المطمئنة التي تُروى من نهر يردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة ، وعلى هذا فحدُّ الغوطة يبدأ غرباً من 'فوهة وادي الربوة فاليزة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات وحوش الريحانية . ومن الشرق بالريحان والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشاية وبيت نايم ، وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير هو جبل قلمون ، ويسمونه لهذا العهد أيضاً جبل الحلو ، وهو فرع من فروع لبنان الشرقي *Anli-Liban* ويشرف الجبل الأسود على الغوطة من الجنوب ، ومن الشرق أرض المرج ، وهو إقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة وهو أيضاً مرفق نجد منخفض من الأرض ، وأشجاره قليلة ، وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف .

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلومتراً وعرضها يختلف بين ١٥١٠ و ١٥٠٠ كيلومتراً تقريباً . وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت (٤٠٦٠٠) هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان ، والفدان ستة دونمات وكسرة ، والدونم مبذر مد من الحنطة ، والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة .

بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد : إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرمًا . وقال شيخ الربوة من أهل القرن الثامن إن بساتين دمشق مائة واحد وعشرون ألف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب چلي من أهل القرن الحادي عشر في كتابه « جيانغا » : ان في الغوطة مائة وثلاثين ألف بستان . وقال ابن إياس إنها بساتين كلها . وهذا الوصف الأخير أقرب الى الحقيقة ويصدق عليها في العهد الأخير خاصة ، وذلك بعد أن عرف الغوطيون فائدة الأشجار ، وأخذت ثمراتها تصدر الى القاصية والدانية من البلاد . . وفي كل سنة تزيد بساتين دمشق مئات ، ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدث أحد الشيوخ أنه كان في طفولته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أبي ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمنيحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها اليوم تحجب النظر ان يسرح مئة متر ، كانت خالية من الشجر ، وقد غدت اليوم غابات غياها ، وأدرك الجيل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المرج ، تزرعان الحبوب والخيار والتنب فقط وأشجارهما قليلة جداً وربما عدتا من المرج وهما اليوم من أكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً أنواعه .

ويقول الظاهري في زبدة كشف الممالك ، وهو من أهل القرن العاشر : وقيل إن في اقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيفاً وبها مدن صغار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المماليك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، ولا سيما في القرنين الأخيرين من حكمهم ، فحرب معظم قراها ، وانضمت أرضها الى القرى المجاورة ، وقل سكناها ، واضمحلت عمرانها ، وما يشاهد من الدمار والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك ، وما كانت السبب الأولى في خرابها غير توالي الأوبئة والطواعين والزلازل والمجاعات وتتابع غارات البادية على المنصور ، واعتداءات جيش الدولة على المستضعفين . على أن قول الظاهري : انه

كان في الغوطة أكثر من ثلاثمائة قرية لا يخلو من مبالغة ولو ضممنا إلى الغوطة
المرجين ما بلغت قراها هذا المقدار .

وذكر ابن طولون الصالح في القرن العاشر أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها
الآن دارس . وقرى الغوطة اليوم ثلثان وأربعون قرية ، وأهمها من حيث وفرة
السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و (داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد
سكان دومة على ثمانية عشر ألفاً وسكان داريا على اثني عشر ألفاً ، وكل من قريتي
(عربيل) و (جوير) لا يقل عن ثمانية آلاف ، وكل من (حرمستا) و (كفرسوسية)
و (المزة) لا يقل عن ستة آلاف . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضعة عشرات
من الأنفس كالحدیثة وبالا والاقتریس الى بضعة مئات ، ومنها ما يبلغ الألف
والألفين أو الثلاثة أو الأربعة كحمورية و كفر بطنا وجسرین والمليحة (المليحة) وجرمانا
وصحنايا وسقيا وزملكا .

واليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها : دومة ، داريا ، عربيل (عربين) جوير ،
حرمستا ، كفرسوسية ، المزة ، مسرابا ، مديرة ، بيت سوا ، المحمدية ، حمورية ،
كفر بطنا ، جسرین ، الاقتریس ، حزة ، زملكا ، عين ثرماء (عين ترما) ،
القابون ، برزة ، الحدیثة (حدیثة الجرش) المليحة (المليحة) بالا (القديمة والجديدة)
زبدین ، البلاط ، إختيار (خيارة نوفل) ، عقربا ، جرمانا ، دير مجدل ، قبر البت ،
سبينة ، سبينات ، حوش الرياحية ، حجرة ، بيت سحم ، بيللا ، بلدا ، القدم ، الأشرفية
صحنايا ، البويضة ، بلاس . وإذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل
بساتين الصالحية والربوة والمزة وباب السريجة والقنوات والميدان والشاغور والعنابة
تألف منها بضعة قرى :

ومن القرى التي كانت على أبواب دمشق فدخلت فيها عندما توسعت إلى ما وراء
البور : الصالحية والعقبة وميدان الحصا والصفوانية ، وتحرف اسم هذه اليوم فيقال
لها الصفوانية ، ذكر ياقوت أن الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب بوماء من

أقلنم حرلان ، وان توماء اسم قرية ، واليها ينسب باب توماء ، بالهمزة في آخرها ومنه اسم توماء لا توما . وذكر أيضاً قينية وقال إنها كانت مقابل الباب الصغير وقال (الحميريون) محلة بظاهر دمشق على القنوات وكانت على طريق كفرسوسية ومثلها اللؤلؤة محلة كانت خارج باب الجاية ، و (طرميس) من قرى دمشق و (الأوزاع) موضع مشهور يربضها سكنه في صدر الاسلام بقايا من قبائل شتي ، واليهم ينسب الامام الأوزاعي دفن في بيروت . ومن القرى الدائرة في الغوطة المصبغة كانت شرقي بيت لها ، وعالية وعويلية عند القطائع ذكرهما ابن جبير في رحلته بالعين المعجمة (بالعين) وهما موضعات قرب مسجد الأقدام على ميلين من مدينة دمشق . وذكر ابن طولون الصالحي قرية (برنابا) وقال إنها خراب فوق مقبا . وقال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق إن أراضي (فذايا) و (حلقبنا) و (الخامين) مصابة للبلد وهذه الثلاث دثرت وكذلك « راوية » وكان بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي . وفذايا في جنوبي مقبرة اليهود . وقد وردت أسماء بعض قرى الغوطة في شعر حسان بن ثابت قبل الاسلام عندما مدح آل جفنة قال :

لمن الدار أقفرت بمعات بين شاطي البرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدار يا فسكاء فالقصور الدواني
فنقا (جاسم) فأودية (الصفة) ر (مفتى قبائل وهجات
ذاك مني لآل جفنة في الدهر ر وحققاً تعاقب الأزمان
ثككت أمهم وقد ثككتهم يوم حلوا ببحارث الجولان

وبلاس وداريا من قرى الغوطة وسكاء بينها وبين دمشق كما يقول ياقوت أربعة أميال في الغوطة ، والصحيح أنها ليست منها وهي موجودة اليوم . وقد أضاف صاحب معجم البلدان إلى الغوطة قرى ليست منها مثل دير أبان قال أنها قرب قرحتا وهذه قرية معروفة تعد مرتجبة ، ومثلها عذراء ، والبرمانية ناحية الوادي وذكر

حرلان وتلنيانا وسام والقوينصة والتصرين ، عاداً لها من الغوطة وكل ذلك دأثر لعهدنا . ومن قراها (جَدَايا) كانوا يسمونها على عهد ياقوت جَدَايا ولا يعرف أين مكانها . ومن القرى ما كانت صغيراً منذ قرون فعظم واتسع مثل جسرين كانت بلدة كبيرة فأصبحت اليوم متوسطة ، ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقربا .

وكان في بعض قرى الغوطة أسماء تبدأ بكفر والكفر القرية بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفربطنا . وأسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة - بيت الأرز - جرمانا - عظمي - جسرين - جسور - مخيرة - عرج . حرجلة - جراد - حرستا - خشنة - حزة - محفر - داريا - دُور - زملكا - رواق الملاك ومصيفه - سبينة - مبتاعون - سقبا - شيخ - شفونية - أرض للزرع . عرييل - غربال - قاهون - عمود - كفربطنا - قرية الجنين - مديرة - طبقات البناء - مسرابا - مشرب - يلدا - ولد . ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة ، المحمدية ، القدم ، عين ثرماء ، الحديثة ، الأشرفية ، البويضة ، الخيارة ، البلاط . ومن قراها ما كانت يبدأ بفندق أو قصر أو طيرة أو بيت ، مثل فندق بني عبد المطلب ، وفندق الراهب ، وقصر الابان ، وقصر بيت ليا ، وقصر بني عمر ، وقصر حجاج ظاهر باب الجاية . قال زين الأمانة ابن عباد : بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ، والنسبة اليها طيري . ومثل بيت الآبار كانت كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى في رواية ياقوت . وكانت هي وداعية والحارثية معروفة الى القرن التاسع . وذكر ياقوت أيضاً في الغوطة بيت أرائس وبيت البلاط وبيت سابا وبيت قوفا وبيت ليا ، وتمتد زملكا من اقليم بيت ليا . وكانت بيت ليا في عهد القرماني من أهل القرن الحادي عشر خراباً ليس فيها دار ولا آثار ، وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا ، وكانت كفربطنا من اقليم داعية ، واليها ينسب نهر الداعياتي .

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لإحدى القرى ، دثرت القرية وبقي اسم نهرها ، مثل قناة دير بشر المارة بمحوش بلاس ، تنسب الى بشر بن مروان الأموي ، ومثل قناة بيت أرائس ، وكان في بيت أرائس قبر مرثد دثار بن الحصين من الصحابة والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرائس ، ومنها نهر حردان ، ونهر حردان نسبة لقرية كانت فوق قرية ستبا بقي اسم نهرها الى اليوم فقط ، هكذا يلفظونه . والحللات كما وصفها علماء تقويم البلدان ناحية بالغوطة فيها عدة قرى وبها قوم من أشراف بني أمية ولعلها حردان بعينها .

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ أن حي الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والثويكة والقنوات وسوق صاروجا والعقبة والعمارة وغيرها من الأحياء الخارجة عن السور كانت في القرن السادس مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات وهي اليوم من أحياء العاصمة . وروى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا الى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوائيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أنهم قالوا إن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتنا (وقرحتا على ساعتين من دمشق) . وقال محمد بن أبي العلاء إنه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة عليه ، وكان أكثرها ظاهرا البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وأسس متقاربة ، فخرّب ذلك في الفتن والحروب والحصارات ، وتمادى عليها الخراب الى عهده . وذكر من منازلها القبلية فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب والراهب قبلي المعلي عن يسار المار قبلي المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والثمامة عند المسجد القديم وعويلة قبلي مسجد القدم ، والقطائع يقال لها ريج حوران قبلي الشاغور وغير ذلك ، وأما ما كان شمالي البلد فسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومقرا وشعبان وخرج الأشعرين وغير ذلك . ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقينية ومنعاه والخيزين ومنازل بني رعين وغير ذلك سوى ما كان في شرقي البلد من

غربي الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره . قال وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه أثر العماره من سائر نواحي البلد من قبله وشرقيه وشأمه وغربيه ، والله يحرس ما بقي منها ويحميه بته ولطفه اه

ومن أماكنها الدائرة الدراجية وهو برج الدراجية على باب توما ، كان لعبد الرحمن ويقال لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكاتبه على الرسائل في خلافته . ومنها طرميس والسقي وصام وأرزونا قرية قرب عرييل ، وبيت الأبيات كانت محل طاحون الشنان ، وبيت الأبيات كما في تحقیقات السيد دوسو . هي في الغرب تدخل فيها قرية النرب ، وبيت الآبار قرب جرمانا ومنها بيت سابا . ومن قراها الدائرة يعقوبا قرية صغيرة كانت غربي حزة

بعض عاديات الغوطة وآثارها

أهم عاديات الغوطة أديارها وفي كتب الفتوح أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صالح أهلها على خمس عشرة كنيسة كانت في دمشق فنزلوا له عن نصف كنيسة القديس يوحنا أي الجامع الأموي كان المسلمون أخذوا نصفه يوم دخلوا دمشق . وكان في الغوطة دير يونا « يوحنا » و « دير محمد » كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة ، واليه تنسب الحمديات فوق الأرزة ودير محمد . كان عند المنبحة من اقيم بيت الآبار ، و « دير الحنابلة » كان بسفح قاسيون و « دير هند » كان في مقاطعة بيت الآبار و « دير بشر » كان عند حجرة ينسب الى بشر بن مروان ، و « دير العالية » تزله مروان بن محمد . ومن الأديار الدائرة « دير حنينا » و « دير الماطرون » و « دير قيس » و « دير سمعان » قال القزماي إنه كان في الغوطة و « دير خالت » ويعرف « بدير صليبا » و « دير زكي » . ومري هذا الدير عبد الله بن طاهر من اعظم وزراء المأمون ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى

مصر فمات أخوه بها، وعاد عبد الله فقتل في ذلك الموضع فذكر أخاه فقال :
أيا سروتي بستان زكي سلماً وغال ابن أمي نائب الحدثان
أيا سروتي بستان زكي سلماً ومن لكما أن تسلماً بضمان

ومن الأديار « دير البخت » على فرسخين من دمشق ويسمى « دير ميخائيل »
كان عبد الملك بن مروان قد ارتبط عنده بختاً وهي جمال الترك فغلب اسم البخت
عليها . ومن أديارها المشهورة « دير مران » في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق
من الغرب ، كان يشرف على مزارع الزعفران من أرض اللوان . وبقي هذا الدير
عامراً الى القرن السابع للهجرة ، ولطالما قصده الخلفاء والأمراء والشعراء وقيلت
فيه القصائد والمقطوعات . ولأبي الفرج عبد الواحد البغيا من شعراء البيتمة قصيدة
قالها فيه لما قصده للتنزه . قال إنه فتح مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى اليه
محاسن الغوطة ، وحياء بذخائر رياضها من المنظر الجنائي ، والنسيم العطري ومما قال :

ويوم كان الدهر ساعني به فصار اسمه ما يتناهية الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء النوطتين معطران نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعذور منه انتزعته وصحبي حلالاً بعد توفية المهر
وتزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

وفي معجم ما استعجم : أن عقبة 'مران' مشرفة على غوطة دمشق تنبت شجراً
باسقاً تتخذ منه القنا والرماح وهو المران . ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة .
وكان في الغوطة (دير بولس) و (دير بطرس) او فطرس كاتا في ظاهر دمشق
في نواحي بني حنيفة ، لا يبعد احدهما عن الآخر كثيراً ، وإياهما عني جرير بقوله :
لما تذكرت بالديرين أرتقي صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقت للركب اذ جد الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس .
ويبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب ، وباب الفراديس هو الذي نطلق
عليه اليوم باب العمارة احد ابواب دمشق .

قال ابن بطوطة وفي شرقي البلد (دمشق) قرية تعرف ببيت الالهية ^(١) (ليا)
وكانت فيها كنيسة وفي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة
المنظمة بأعجب نظام . ولم تبق لعهدا قرية تبدأ باسم دير سوى « دير بجدل » وكانت
هذه الأديار في الاسلام منازل المسافرين ، ومشوى المتزهدين والمرتابين ، يقصدها
الناس فيجدون فيها صدوراً رجة ، وتزلاً طيباً ، وشراباً لذيذاً (راجع مسالك
الأبصار لابن فضل الله العمري وكتاب الديارات للشابتي ومعجم البلدان لياقوت) .
والغالب ان القرى التي يبدأ اولها بدير كانت اولاً ديراً فقط . ثم توفرت بجانبه
الأرض المغروسة والمزروعة ، وكثر القائمون على حراثتها وزرعها ، فأصبح الدير على
توالي الأيام قرية برأسها . كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد
الغرب خلال العصور الوسطى ، استحال الدير بلداً مع مرور الأيام .

مميزات الغوطة

اجمع من وصفوا الغوطة على توالي القرون انها شجراء ، وان فيها قرى كالمدن ،
وان اهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وازيائهم . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من
اجمل مدن العالم ، ولولا دمشق ما كانت الغوطة إلا صحراء خالية تعيث البادية في
ربوعها . وعيث البادية في المعنور من بلاد الشام قديماً جداً على ما يظهر ، لتزول
العرب بلاداً مجذبة من الجزيرة تقحط أكثر السنين فيضطر اهلها الى الانتجاع ،
فلا يرون أمامهم غير بلاد حوران المتاخمة للغوطة ، وإذا لم يجدوا مراعي لمواشيهم
في الجولان والجيدور والبثنية والصفا واللجاة يعرجون على الغوطة بالضرورة ،
ولذلك أقام الرومان مخافر عظيمة على سيف البادية لا تزال الى اليوم بعض آثارها

(١) بيت الالهة كانت حاره في دمشق

مائلة ، وولوا عليها رجالاً من بني غسان من متحصرة الغرب ليحموها من غارات
اهل البادية ، فكان أمراء الفساسة حماة الغوطة وما اليها من المعنور ، والوسطاء
بين قومهم العرب وأصحاب البلاد من الرومان .

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل
من عنايتهم ، فترلها رجال منهم وعمرها فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا
الجدول ، وعتوا باستثمارها واستنباتها . ولولاهم ما حازت الغوطة هذه الشهرة ،
ولولاهم ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس إلا
حسنة من حسنات بني أمية . نعم دمشق مدينة للأمويين لاختيارها عاصمة لهم ،
وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار ، فهي وغطتها سواء .

ولابن أبي العجائز كتاب فيمن سكن الغوطة من بني أمية نقل عنه المؤرخون
والجغرافيون . قال ابن قيس الرقيات :

أجارك الله والخليفة بالغوطة داراً بها بنو الحكم
المانع الجار أن يضام فما جار دعا فيم بهتضم

وقال ايضاً :

أقترت منهم الفراديس فالغوطة ذات القرى وذات الظلال

قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى الغوطة ونظر إلى
المدينة والقصور والبساتين فتلا قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قومًا آخريين) . ثم أنشد
قول النابغة .

هما فتيا دهر يكر عليهما نهار وليل يلحقان التواليا

إذا ما هما مرا بجي بغبطة : اناخا بهم حتى يلاقوا الدواحيا -

قال ابن كثير هذا يقتضي بادي الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك فانه

لم يقل أحد انه دخلها .

ويروى ان امير المؤمنين المأمون العباسي اقيم يوماً وقد نظر إلى اشجار

الغوطة ونباتها انها خير مغنى على وجه الأرض وقال : عجبت لمن يسكن غيرها كيف ينعم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله .

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يخفون إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبني القبة التي في اعلى الجبل وصيرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره ، فاذا جن عليه الليل كان ضوءها إلى ثنية العقاب وإلى جبل الثلج .

ومن اعظم ميزات الغوطة كون ارضها مقسمة بين اهلها تقسيماً طبيعياً في الجملة ، فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، وهذه معها بلغ من سعتها تدار يشل العناية التي تدار بها الزراعات الصغيرة . هكذا كانت في معظم ادوار التاريخ الاسلامي ، حتى ان سيف الدولة بن حمدان لما طمع ان يضم الغوطة إلى الاملاك السلطانية كاتب اهل دمشق ملك مصر فجاء في جيشه وطرده سيف الدولة عن الغوطة وعاصمتها ، وحرم ابن حمدان ملك دمشق لأنه حاول ان يجعل من الغوطة مزرعة واحدة ملكاً له . وكيف يرضى الفواطنة عن ذلك وهم يعتزون بها وينعمون ويسعدون ويقولون في امثالهم « شبر يالية اخروف ولا ذراع بذنب الثور » ويقولون « قل بتغل » أي قليل من الأرض الجيدة تحسن تعيدها أعود عليك من ارض واسعة باثرة . ومن يملك في الغوطة فدانين أو ثلاثة فهو سعيد مرفه ، ومن مزايها ان اهلها يجزئهم ما تنبت له ارضهم من المواد الأولية ، ولو كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا الى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم . ومن مزايها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها اذا اصابها آفة سماوية في بعض السنين تستعوض من الأصناف الباقية ما تعيش به سنتها .

سكان الغوطة ولسانهم وأديانهم

دخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام بقرون ، لتزول بني غسان

العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ عرف التاريخ .
ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق عن طريق البادية غزا بني
غسان في الغوطة يوم فصيحهم ، وركز العقاب راية الرسول عليه الصلاة والسلام
في الثنية المطلة على الغوطة ، وهي هذا الجبل الحرمي البادي من الشمال للأنظار
فسميت الثنية ثنية العقاب .

قال اليعقوبي إن أهل كورة الغوطة غسان وبطون من قيس فيها قوم من
ريعة ، وقال الحمداي في صفة جزيرة العرب : ومن كتب بارض الغوطة عامر
ابن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة اذاً من أصول
عربية ، واكثر من نزلها اول الفتح كانوا من العرب بدع من كان فيها من
النساسة وغيرهم قبل الاسلام . ولذلك كان سكان الغوطة يشتركون في معظم
الاحداث التي تحدث في دمشق سياسية كانت أو غير سياسية ، على ما عرف في
العرب من النجدة والاربيجة ، ويصير بعض الدمشقيين الى الغوطين ، ويتزوج
بعض الغوطين من أهل دمشق .

اصبح سكان الغوطة على توالي القرون مسلمين من اهل السنة ، وليس بها
لعهنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعرييل وصحنايا والأشرفية ،
وفيهما مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا والأشرفية ، وكان جميع أهل
قربة جوهر يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى ، فانتقلوا الى دمشق في زمن لم نعرفه ،
ولم يبق فيها إلا كنيس مقدس عندهم يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم . ويقول
دوسوا إنه في عهد الشفاليه دارفيو *Le chevalier d'Arvieux* من أهل القرن الثامن
عشر كانت جوهر يسكنها اليهود . وقد استغرب ابن طولون الصالحي ان أهل
جرمانا تيامنة ، قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فإن أهلها جميعهم من
أهل السنة .

ليس للغوطة احصاء يركن اليه ولا يقل اهلها عن مئة الف انسان على اقل تقدير . وقد نموا في العهد الاخير نمواً هائلاً لقلة الأوبئة ، وانقطاع الحروب منذ زهاء خمس وعشرين سنة ، وما اظنها كانت قبل خمسين عاماً اكثر من عشرين الفاً ، وكانت اهلها الى اواخر القرن الماضي يتناغون العيد ليعملوا معهم في الارض وذلك لقلة اليد العاملة في ذاك العهد .

ويقل جداً من هاجر إلى اميركا وغيرها من اهل الغوطة ، على نحو ما يكون من سكان الجبال المجاورة الذين غادروا بساقط رؤوسهم بالالوف . وندر من يرتحل عن أرضه من الغوطة ، مهما خافت به سبل العيش ، اللهم إلا للتجارة مؤقتاً . وما عبيد أن مات أحد جوعاً في الغوطة . ويروى أن عيسى بن مريم عليها السلام قال وقد أشرف على الغوطة : يا غوطة إن عجز الفنى أن يجمع منك كثرأ ، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً .

قلت مرة في وصف الغوطة وأهلها : سلام على سكونك في الليالي الظلماء والقدراء ، ربيعاً كان أو صيفاً أو خريفاً أو شتاء ، وهنيئاً لمن يستمتعون بالنظر إليك من الصباح الى المساء ، وينعمونك بالحرث والكرث والتقية والزرع والارواء ، سواء عندهم حمارة القيظ وصبارة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم إنهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يضنون على أرضهم بأوقاتهم وأنعابهم ، وهي تجودهم ضرور الخيرات كما جودوا زراعتها ، وتزيدهم بركات على بركات كما رعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم معها صهت جسومهم حرارتها ، وصرفت سخائهم رطوبتها ، ييض الوجوه شم الأنوف ، لأن رزقهم مناط أيديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يتكئون على غير من ينزل الغيث وينمي الزرع ويدبر الضرع . في هذا الريف العجيب تقرأ صور العدل الإلهي في تقسيم الأرزاق ، فلا فقر مدقع ، ولا غنى مفرط . بل هناك تمثل اشتراكية الاسلام والفطرة ، يعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً ،

ويغتني افراد منهم يذكثهم. واقتصادهم ، فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياح ارباب
النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم .

ثمارها وزروعها

يجود في كورة الغوطة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم
المعتدلة ، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال ، ولا التخل والموز للجليد الذي يحدث
فيها بعض ايام الشتاء . فتتزل درجة الحرارة إلى خمس واحياناً إلى عشر درجات
واكثر تحت الصفر ، وقد اشتهرت داريا بعنبها الزيتي ويقل نظيره في انواع العنب
الجيد ولطالما نقلت جفنتات كرومها وزرعت في كروم بعيدة فما اتي عنيبها كالعنب
الذي يكون من كروم داريا واشتهرت به ، وعرفت دومة بعنبها الاحمر ، ويجود
الزيتون على انواعه اجمالاً في القرى التي تكثر في ارضها الحصباء ، وليست ذات
تربة طينية لزجة ، كبرزة والقابون وحرستا ودومة والمزة وكفرسوسية وبلدا
وببيلا وحوش الریحانية وغيرها .

وفي الغوطة الوسطى يجود القنب ، ولا مثيل له فيما يزرع منه في بعض قرى
حلب وغيرها . يجود في أرض الحمضية وحمورية والاقتريس وجسرین وسقبا
وكفربطنا وزبدین والبلاط والحديثة والنيجة وجرمانا وعقربا ، اي في القرى التي
تسقى من نهري المنبي والداعيان اللذين يحملان أوساخ دمشق ، كما أنه يجود
في بعض الحدائق كأرض الشاغور والبناتين الواقعة حفايف هذين النهرين ،
ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته يزيد على نصف محصولها السنوي
من سائر أصناف الحبوب والثمار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة .
وتستأثر مقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده واليافه .
ولكل قرية أو بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها .
فقد اشتهرت بساتين الضاحية وقرى كفرسوسية والقابون والبقول والخضراوات

لا يجاريها بحار في هذه السبيل من جميع القرى ، يساعدنا على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة ، واشتهرت جسر ين يتر القصة ويزر اخيار ، وعرفت حرستا وما اليها بالبيقية والايونس والسمسم ، وعرييل بلوزها ، وزملكاً بكثرتها ، ودومة يطبخها الاصفر ، ويلدا وبيلا والقدم يقشدتها .

واكثر ما في الغوطة من الاشجار المغلة المشمش على أنواعه ، وبكاد يكون مشمش الغوطة منقطع النظير ويفوق بمائته ونكهته مشمش كلفورنيا المشهور كما روى العارفون . واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي — من الفارسية كل آبي ، ومعناه ماء الورد — فن عظيم يحسنه أهله المتمرنون عليه . أما المشمش البلدي والحموي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكمثرى « الانجاص » والخواخ والجانرك والآس والصبار والدراق والتوت الشامي والتين والسفرجل والزعرور وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكهتها وحجمها ، وكانت بكثرة في الغوطة الزعفران والكبراز والوشنة والكستانة (الشاه بلوط) والبندق . والمشمولة والقراصيا والجلجلى (قزلق) فبطل غرس الكستانة والبندق . وقل القزلق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرّة كما نبت زراعة القطر وزراعة التوت لبرية دود القز . وكانت لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس اليها في أيام حل جوز القز حتى يصير حريقاً للفرجة عليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الحيلان يشبه الصفصاف تعبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضبان المرجان وبلجق به شجر الأزارخت (الزترخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات ، وكان بكثرة فيها شجر السرو ولا تخلو دمشق وأرباضها من

أشجاره وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية ، وكان إلى القرن الماضي وافرًا في أرض الغوطة وما كان يخلو كل بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه . ومن الأشجار الحديثة فيها الاوكالينوس او الكينا والسنت (الاكاسيا) والشمش الهندي وبعض أصناف صارت بالتفنن بالتطعيم مثل الشمش الحلو ، ومنها الكراز . ومن البقول البطاطا والبندورة . ويحاول بعض الغوطين أن يربوا شجر الشوح وما أظنه يجود في اقليمنا ، كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود ، ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان .

أنهارها وريها

تبدلت معالم الغوطة كما قلنا غير مرة كأث الأرض الخصبه تحتاج أبدأ إلى من يثيرها ويجدها ويسمدها ، فإذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع المتينة تجمد أرضها وتضيع مزيته ، لذلك كانت أرض الغوطة أبدأ في تجدد ، ومعها تتجدد المرافق والمعالم والأوضاع . وليس في صحيفة هذا الوجود ما ثبت على الدهر ، ولم يتبدل في الغوطة ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها . فالغوطة تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى ، ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى . كما أن مصر حبة النيل . وبردى هذا يشتق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس وثورا ونهر يزيد ، وهذا النهر حفره أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية . فنسب إليه ، وقيل حفره يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية . وما يدخل مدينة دمشق من هذه الأنهار يحمل قاذوراتها فتكون سماداً يوزع في أرضها كلما اراد الغوطي ارواءها . وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة وامرأها ، يضاف إلى تربتها الغنية وجوؤها المعتدل . وقد تحفر في بعض الأماكن أربعة أو خمسة أمتار ، ولا تصل إلى طبقة الحصباء والحجر ، لكثافة الطمي او المادة الصالحة للزرع .

هذا أهم ما يستقي الغوطة من الأنهار ، ومن أرضها تتبع عدة قنى تسقي
مزارعها وأراضيها وما وراءها من أرض المرج مثل عيون فامسريا تتبع من سفح
الجليل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد . وهذه العيون تسقي قرية عذراء في
المرج ، وكذلك عيون قلايا في أرض المحمدية تسقي ما انخفض من الأرضين
هناك وربما كان اسم قلايا وفامسريا اسم القريتين اللتين يجريان إليهما . ومثل نهري
الزايون والملك ينبعان من يردى أو من عين قرية من مجراه ويسقيان بعض
أراضي جسرين والمحمدية والافتريس ومثل نهري الشيلائي (الشيداني) واليلائي
(البالائي) يسقيان الحديثة وزبددين وبالا وهما مما ينبع من قرارة يردى ويتجمع
من مصاصات المياه المجاورة . ومن القرى ما لا تصل إليه مياه يردى كبعض أرض
داريا وأرض صحنايا والأشرفية وحوش الریحانية وبلاس وسبينة وسبينات وخجيرة
والبويضة وقبر الست وبرزة فانها كلها تسقى من قنى خاصة بها ، أو من جدول
قريب كبرزة تسقى من نهر معربا أول جبل قلمون أو سنير ، أو من عيون هي
في حقيقتها رشح من ماء يردى كعين حروش في أرض زبددين . ومياه هذه
العيون كمياه الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقلها وتوزع على
أرباب الحقوق توزيعاً عادلاً ، ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى
أن يفهموها بسرعة . وليس في حقول الغوطة ما تعيش زراعاته الصيفية عذياً
أي من المطر كزراعات الجبال . وأكثر أهل الغوطة تنمياً بالمياه أرباب البساتين
المحيطة بالعاصمة ، يسقون عندما يريدون من مواصيهم ، وتكاليفهم من الجباية أقل
من تكاليف أهل القرى .

يتبع

نظرة في الكلام المجازي

عندنا وعند الأفرنج

مما هو ثابت بالحس والملاحظة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز تفائس وفوائد نتمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي ، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطير مقنطرة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداؤها بوجه التقريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثم وجب علينا ان نغني عنابة خاصة بشن التعريب اية حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه الممهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعاجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا ، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلتفتون اليها ويعملون بمنقضاها . واما سائر حملة الاقلام يتناهم في هذه السبيل إما قاصرون ، وإما مقصرون ، وإما مقصرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب ديب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث شعر ولا نثر ، والى تاحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان ، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب البامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سميت « كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسية » والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيين

عند التعريب عنها ، يتناول أكثرها غيرها من لغات غربي أوربا كالأيطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقال الحاضر فأريد ان التفت فيه لفئة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عقبة كؤود يجب ان نتضافر الاذعان والاقلام على تذليلها وتمهيد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك وانفقت عليه كلتنا زالت من امامنا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القليل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فهمي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لانه لا يشمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فسامع بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومساكنها ومستشرفاتها ومراقفها .

متى يجوز لنا ان تنقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نصرب صفعاً عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لغتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقد حديثاً *Lier une conversation* » - ضرب العدو مقلاً - *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . - « راية منصورّة *Un drapeau victorieux* » اي .

اصحابها منصورون - « عقل ناضج *Un esprit mûr* » اي كامل بالتجارب - « عقل
عبارة *Polir une expression* » اي حذيبها - « صارع الشقاء *Lutter*
contre la misère » اي قاومه - « ابناء الظلمات *les enfants des ténèbres*
اي ابناء الضلالة - « ثقل الصولجان *le poids du sceptre* » اي معاصب الملك -
« ميناء النجاة *le port du salut* » اي المنجى - « عقل مخضب *Un esprit*
fécond » اي عقل منع قادر .

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان
او استعارة او كنايةً فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص
اللغات الافرنجية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتموج وتشبيههم
الفدير الصافي بالمرأة ، ولحاظ الحسان بالاشعة . وكقول احد ادبائهم مشيراً الى
مساوي طور الشباب وقلة خيره : « ليس ما يدعونه ايام الصبي الا وميض برق في
ليل عاصف » وكقوله في وصف معيشة قروي : « وكانت بين امرأته واولاده
كالشجرة الناضرة كللها ثمرها الناضج » وفي كرور الايام المستمر : « الزمان بحر
دائم الجريان لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط على غير هدى ولا يصيب مرفأ
يرمي فيه » وفي ذكر ام تأمل صغيرها : « كانت تنظر بمنحو الى طفلها وما هو الا
وعاء ستملاه حادثات الليالي » وفي شفاء الرعية لرعاية ملوكها : « لم ينسج ارجوان
الملوك الا من دماء رجالهم » .

ولكني لا استحسن مثلاً ان تقول في التعبير المجازي . كما يقول الافرنج « دموع
مرة » عوض « دموع حارة » ولا « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » وغابات
تائمة » عوض « غابات هادئة او ساكنة » ولا « جبهة هادئة متكبرة » عوض « عليها
سمات الهدوء » ولا « مدّ اليه بدأ مستحجة » عوض « مد اليه يد الجياد » او - مد
اليه يده بجياد . او - مدّ اليه يده مستحياً » ولا « طلب يد فلانة » اي خطبها
الى اهلها » ولا « الزمان الذي يتبخر » اي الزمان المشرف على الزوال .

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذاك المقبول من المجاز الافرنجي .
وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية
اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معبودة في انشائنا . واذا كانت عندم
دالة على اصطلاح خصوصي او عادة في معايشهم او فيها تلميح الى حديث او
حادث في تاريخهم . ويكثر ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى
المثل . فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها
صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا
الى معنى واحد . فعوض ان تقول مثلاً « ألقى آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق
آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان تقول : « رمى بآخر سهم من كنانته »
وعوض ان تقول « عمل ملفوفة يضاء » يجب ان تقول : فاتمه غرضه او خاب مسعاه
او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندم لمعان وحالات لا تنطبق
على ما يراد منها في لغتنا . فلفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندم بهذا
المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية
نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح :
« كنت اعده . او . كنت اعتبره بريئاً » لا « مثل بري » . او نظير بري » حسب
النص الفرنسي ، وتورد *Comme* في الفرنسية للتعجب نحو *Comme il est beau !*
اي « ما اجمله » .

« *Rien qu'à* » : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : « *Rien qu'à*
le voir, on le soupçonne » اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه
« *une fois que..* » : نحو *Cela, doit être vrai une fois que vous me le dites*
اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحاً »

(*c'est*) : لا يجوز أن ننقلها بحرفها الى لغتنا فنقول « هذا » او « هذا هو » فهذه الأداة عندم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان تقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفها في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان ننقلها حرفياً ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في متعى الركافة والخطا بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

(*trop*) هذه الاداة عندم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : *Il est trop sage pour commettre cette faute* « فن المضحك ان ننقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيراً لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسيتين *si* و *autant* يرادفهما في العربية « بهذا المقدار » ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجاً ركيكاً . مثال ذلك قولهم : *Il est si (tant ou autant) vertueux qu'il aime ses ennemis* « فلا ننقلها بحرفها الى العربية ونقول : انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائماً لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسية موقع « عوضاً عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا ثقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني أولادك » أو — عوضاً عني — أو — بدلاً مني — أو — نب عني بتبيلهم . ثم ان هذه الاداة الفرنسية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالاتها . مثال ذلك : *je compte ces fatigues pour rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الالام شيئاً » أو — شيئاً مذكوراً — أو : شيئاً يستحق الذكر

ولم أفعال يخالف في بعض مواقعها عند ما عرفناه من مواقع مرادفاتنا عندنا . اكتفي هنا على سبيل التمثيل بإيراد أربعة منها « *faire avoir. venir. aller* » « *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في أكثر استعماله « فعل أو عمل — او صنع » قد يرد بالفرنسية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً وثقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » . وان يقال *il a fait ses devoirs* فلا ثقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته — أو — اداها — أو — قام بها — أو قام بما عليه . الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظن المرض — أو ادّعاه — أو تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسيين فاذا ألحق به حرف الجرّ الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجرّ فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحنتين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريد المتكلم . وربما اقتضى انشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك — او سترتب عليك او سيجب عليك — قطع مسافة طويلة . ونحو : *Vous* »

« *n'aurez qu'à lui attirer son attention* » وهذا تعريبه : « ليس لك الا ان توجه انتباهه — او ان تنبيهه » .

« *aller; venir* » يستعمل فعل المجيء في الفرنسية احياناً للدلالة على الماضي القريب . وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب . فاذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « *il vient de faire* » ارادوا انه فعله منذ هنيهة . واذا قالوا « يذهب لنعل كذا » *il va faire telle chose* ارادوا انه سيفعله عما قريب . او انه على اية القيام به . كما اشتهر انهم يستعملون فعل الذهاب للسؤال عن الاحوال فيقولون : « كيف انت ذاهب » اي كيف احوالك . ويقولون « كيف ذاهبة الأشغال » اي كيف هي .

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تخبيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعى الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه . مثال ذلك قولهم : « *L'orateur se lève, attire l'attention et captive les esprits* » اي « ينهض الخطيب فيسترعى انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع . واما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول : « ينهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم » .

ومما يجدر بنا ذكره مناسبة لما نحن فيه ان البلاغة العربية بدخل في ابوابها وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنا من مصطلحات الانشاء الفرنسي . فالبلغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتوم لا ريب فيه . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً » والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » وانما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل متظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

وقوعه . وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني .
 وهو نهج معروف في العريية العامية ايضاً . مثال ذلك ان جارك يقول لك « انت
 ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك
 من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف
 انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك
 نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تزيد ان تقول له « انت
 ابنك سينجح وسيقاخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » . لأنه في ساعة تحدثك
 انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزه على مستحقيها .
 وما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق
 الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب
 الوثنيين ورباتهم وانصاف آلتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلی قمة من الصفات
 المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدعاء والذكاء والجمال والغرام والحقد والانتقام
 وغير ذلك .

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عتدهم كثيرة جداً يخطئها
 العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب
 الانتباه اليها واتخاذ الحيلة لها :

معناه الأصلي : وضع ساعتين . والفصيح أن *Il a mis deux heures*
 يقال : قضى ساعتين . او استغرق ساعتين

معناه الأصلي درس . وبأني بمعنى بحث . مبحث مباحثة . *Etude*

الفرنسي يقول : درس فلان المسألة . والعربي يقول : *Etudier une question*
 فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم

نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

معناه حرفياً : دم بارد . ويجب تعريبه بقولنا رباطة *sang froid*

الجأش او ثبات القلب او ثبات الجنان . او حضور الذهن

معناه حرفياً : اتقذ الظواهر اوخلصها : و ترجمته *Il a sauvé les apparences*

دارى ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر . او صان

حرمته

Créer

خلق . وكثيراً ما يجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر

او ابتدع او انشا

Il était étroitement

ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه

compromis

او اشد التوجيه . او كانت الشبهة العظمى واثمة عليه

Il décrit avec bonheur

يحسن الوصف . يصف بدقة . او مهارة او

لباقة . انه موفق في دقة وصفه كذا

Cette influence explique

الترجمة الحرفية

son indécision

ذلك التأثير كان سبباً لتردده . نشأ او نجم تردده

عن ذلك التأثير

وهذا القدر اراه الآن كافياً لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه

من زوايا وخبايا

ادوار مرقص

اللاذقية

مخطوطات ومطبوعات

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

من جملة مخطوطات المكتبة الأحمديّة بحلب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) للعلامة ابن خطيب الناصريّة في مجلدين ضخمين الثاني منهما مخروم الآخر . كان هذا الكتاب معاراً من مدة طويلة ومنذ نحو ثمان سنين استحصل على الجزء الاول ومنذ شهرين استحصل على الثاني ، ولما وصل هذا الى دائرة الاوقاف ارسلته إليّ لارتيه لأنه قد اختلط بعضه ببعض ولا ارقام على صفحاته ، فرتبته ووضعت له أرقاماً وحصرت تقصه من نصفه الى الآخر فبلغ عشر ورقات ، وقد أحببت ان اكتب كلمة عن هذا السفر النفيس معرقاً به لعل ذلك يؤدي الى اخراجه الى عالم المطبوعات لتعم الفائدة منه .

هذا التاريخ كما قال مؤلفه القاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصريّة في خطبته هو ذيل على تاريخ الكمال عمر بن أحمد ابن العديم المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي تكلمت عليه وعلى الاجزاء الموجودة منه في مكاتب العالم وعلى ترجمة صاحبه في مجلة الجامعة الاسلاميّة الحليّة في تسعة اعداد وذلك من عهد قريب .

وتاريخ الكمال ابن العديم ينتهي الى سنة ٦٥٨ الى السنة التي استولى فيها هولاكو على حلب وخربها ، فجاء ابن الخطيب فذيله من سنة ٦٥٨ الى سنة وفاته التي كانت سنة ٨٤٣ قال :

احببت أن اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الاسماء اضدره بفصول:
الفصل الأول في حلب وأسمائها ومن بناها والقايا
= الثاني في ذكر حدودها وأعمالها

القفل الثالث في عظم فضلها وخصائصها

≈ الرابع في فتحها

≈ الخامس في نهرها وقنواتها ومساجدها ومعابدها

وقد ذكر ذلك صاحب كمال الدين عمر بن العديم في ذيله مستوفى ، الا ان تاريخه تفرق شذر مذر ولا يوجد الا القليل منه ، وكنت وقفت على بعض اجزاء منه من المبيضة قبل الفتنة التيمرية ثم اذكر منها او من بلادها ومن اجتاز بها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزلها او اجتاز بها او بمعاملاتها من أهل الشعر والانشاء ومن دخلها او ملكها من السلاطين او وليها من الامراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها والى معاملاتها من فضلاء غيرها من البلاد ، ومن كان له بها مباشرة من الأعيان او وقعة اشتهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستائة ، وهي السنة التي اخذ بها هولاء كوحلب وخربها ، ثم انشئت عمارتها من ذلك الحين وهلم جرا الى زماني ، ورتبتهم على حروف المعجم في الاسم واسم الأب والجد وان علامها أمكن وكذلك في حروف الاسم واسم الأب وان علا ليكون اسهل للكشف ، ولم ادع الاستيعاب بل ما وقفت عليه او علمت او غلب على ظني انه دخل حلب او معاملتها او كان من اهلها او ولد بها ، وكذلك النوازل والنوادر اذكرها في ترجمة من توفي في السنة التي اتفقت فيها .

والمؤلف قد وفى ما التزم به كما تبين لي ذلك من تتبعه ، فعلى هذا لا يكون هذا التاريخ خاصاً بحلب بل هو تاريخ عام للبلاد السورية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية ، فجد فيه من تراجم اعيان هذه البلاد كلها من توفي سنة ٦٥٨ الى سنة ٨٤٣ التي هي سنة وفاته مالا يتحده في غيره ، وتري فيه تراجم السلاطين والامراء الذين تولوا البلاد المصرية والسورية بصورة مبسطة بحيث يصلح ان يجمع منها كتاب واسع في اخبار هؤلاء في هذه المدة وتنقلاتهم في هذه

البلاد من اماره صغيره في مصر إلى نيابة حماة فمحض فطرابلس فحلب فدمشق إلى اماره كبيره في مصر ، فهو على هذا تاريخ لهذه البلاد كلها ، وهو مشهور بآثارهم في هذه البلاد ، وبالمقارنة مع التاريخين الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للعافظ ابن حجر المطبوع في الهند والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للعافظ السخاوي المطبوع في مصر تبين لي أن الكثير من التراجم جاءت فيها وجيزة ودنا مطولة ، كما أنه في بعض الاحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين . وهي عند ابن الخطيب مختصرة فلا يستغنى اذا بهذين التاريخين عن هذا . وقد تكلمت على هذا التاريخ في مقدمة تاريخي (اعلام النبلاء) (ص ٢١) ، ومما قلته نقلاً عن الرضي الحنبلي مؤلف در الحب في تاريخ حلب انه لما وصل إلى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العقلائي المصري سنة ست وثلاثين وثمانمائة طالع هذا التاريخ من الميضة ثم من المسودة والحق فيه أشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بانباء الغمر بانباء العمر واثني على صاحبه وأفاد أن كلاماً منهما سمع من صاحبه .

ماوقفت عليه من نسخ هذا التاريخ

- (١) نسخة حلب في المكتبة الأحمديّة
- (٢) = في برلين رقماً ٩٧٩١
- (٣) = في مدينة غوطا ٩٧٩٣ .
- (٤) = في لوندرة ٤٣٦٠
- (٥) الجزء الثالث منه في مكتبة الأمة بباريس رقماً ٢١٣٩ هذا الجزء من نسخة في أربعة أجزاء ابتدئ فيه بترجمة عبد الكريم بن أحمد المصري واختتم بترجمة محمد بن تمام الحميدي وهو في ١٥٠٠ ورقة . .
- (٦) نسخة في مكتبة لالهلي في استانبول في مجلدين رقماً ٢٠٣٦ و٢٠٣٧ .

(٧) نسخة في مكتبة خالص بك مستشار الخاصة في الآستانة وهي مكتبة
 خصوصية .

هذا ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ في مكاتب العالم .
 ومنذ سنتين زار حلب المستشرق الفاضل رايخ فاخبر أن العلامة المستشرق
 بروكنر الألماني مؤلف آداب اللغة العربية وقف على ٢٢ نسخة من هذا التاريخ .
 واستبعد أن تكون هذه الثنتان والعشرون نسخة هي الدر المنتخب لابن خطيب
 الناصرية ، ويغلب على ظني أن بعض هذه النسخ هي الدر المنتخب الصغير المنسوب
 لابن الشحنة وهو على التحقيق للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالملأ الحلبي وقد تخلله
 زيادات من الشيخ إلى اليمن البتروني . وهذا طبع في المطبعة اليسوعية في بيروت
 سنة ١٩٠٩ ، والفرق بينهما أن ذاك في مجلدين ضخمين وبعض النسخ في أربعة أجزاء ،
 وهذا في جزء صغير تكلم فيه على حلب خاصة في ٢٥ باباً .

ونحن ندع تحقيق هذه الناحية إلى العلامة بروكنر الموما إليه .
 والجزءان الموجودان في مكتبة الأحمديّة الأولى منها تام وهو ٦٧١ صفحة بخط
 مقروء ، لكن فيه تحريف كثير ، وذلك يفيد أن النسخ من العوام وكل صفحة
 ٢٥ سطراً ولا تاريخ في آخره .

والثاني أحسن خطاً وضبطاً ؛ لكن فيه النقص الذي قدمناه وبعض أسطر من
 بعض الصفحات محوّة وهو في ٤٦٠ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً ولا تاريخ في آخره
 بل منقط من آخره ثلاث أو أربع أوراق ، وذلك عدا عما سقط منه قبل ذلك بما
 يكمل عشر أوراق ، وهو أقدم خطاً من ذلك وحاله يدل أنه قد كتب في القرن
 العاشر الهجري .

محمد راغب الطباخ

شرح الشعمقية

للسيد عبد الله كنون الحنفي (صفحة ١٢١)

مطبعة مصطفى محمد بمصر

والشعمقية هذه اسم ارجوزة قافية لابي العباس احمد بن محمد بن الوزان الحميري ، وعدة اياتها ٢٧٥ بيتاً في النيب والحماسة ، والحدود والحكم والامثال ومدح الشعر والسلطان ، وقد اعجب بهذه الارجوزة ادباء المغرب كثيراً فعارضها ابو عمرو الرباطي من ادباء القرن الثالث عشر ، وشرحها كثيرون منهم ابو عبد الله الجريري وصاحب الاستقصاء ، وهذا الشرح المطبوع بمصر ، وكانت هذه الارجوزة قد طبعت على الحجر ضمن مجموعة من المتون العلمية في مدينة فاس ١٣١٥ هـ .
والشعمقية نسبة الى ابي الشعمق الاصغر الذي لقب به ناظم هذه الارجوزة ، اما الاكبر فهو ذلك الشاعر الكوفي الماجن الذي تقرأ اخباره الظريفة في الاغانى والكامل والعقد الفريد ، وكان ناظم الشعمقية نديماً لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله فكناه بابي الشعمق لظرفه وملحه . ومطلع هذه الارجوزة :
مهلاً على رسلك حادي الايتى . ولا تكلفها بما لم تطق .
ويقول في خاتمتها :

اليكها ارجوزة حسنة	مثلها ذو ادب لم يسبق
ما لجرير وجميل مثلها	في غزل وفي نسيب موقى
فلو رآها الاصمعي خطها	كي يستفيد بسواد الحدق

وقد سما الناظم في بعض ايات ارجوزته الى درجة المطبوعين ، وأسف احياناً الى دركة المتكلفين ، واكثر فيها من الغريب في وصف اليد والقنار والحيوان والاطيار والأشجار ، كما اكثر من اسماء الاعلام والوقائع التاريخية محتدياً في ارجوزته حذو ابن دريد في مقصورته ، وقد اوضح الشارح لغة الارجوزة واخبارها ايضاحاً كافياً صحيحاً ، ولولا ما فيها من اغلاط الطبع والسهو لكنت فائدتها ، والاضبط في مطابع الشرق ما زال معروفاً .

الترغى

الادباء العشر

للاستاذين اسعد طلس و ابراهيم الكيلاني

من منشورات المكتبة السورية بدمشق ، صفحاته ٢٩٦

يسأل طالب الشهادة التحضيرية (البكالورية) في خاتمة كل سنة مدرسية عن عشرة ادباء تختارهم لدراسته وزارة المعارف ؛ وهؤلاء العشرة عرضة للتبديل من سنة الى اخرى ، وقد اعتاد مدرسو الأدب في التحضيريات ، ان يساعدوا طلابهم تأليف رسائل عن كل من هؤلاء العشرة ، كما فعل الاستاذان السيد خليل مردم بك والسيد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي ، فقد وضع الأول رسائله (اثمة الادب) في الفرزدق والجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن عباد ، وانشأ الثاني رسائله في امرئ القيس وابن المقفع والامام علي .

وغير هذين المؤلفين قد نحا منحى آخر بتأليف كتاب يجمع الادباء العشرة كما فعل الاستاذ ممدوح حقي في كتابه (ادباء البكلوريا) والاستاذ خلدون الكناني والاستاذ حنا نمر في كتابيهما والاستاذان اسعد طلس و ابراهيم الكيلاني في (الادباء العشر) الذي كتبنا عنه هذه الكلمة ؛ بغير ان مثل هذا المنحى لا يتسع لاتمام البحث عن العشرة ، ويضطر معه المؤلف الى جمع المتفرق او الإيجاز المخل أحياناً ، فيجيب كتابه بعيداً عن البحث الذاتي المستقل ، مما لا يكشف حقيقة او ينير غامضاً ، ولا يهتدي به الطالب الى مواقع الحسن او القبح من التعبير ، والى مواطن الضحة او الخطأ من التفكير ، فلا يتبين لذلك حقيقة الشاعر او الناثر لتلك الأحكام التي تنطبق على كثير من الادباء ولا تزيه منه الا صورة مبهمه سريعة الانطاس والدثور ، لا حياة فيها ولا نور . وقد حاول المؤلفان لكتاب (الادباء العشر) ان يفيدا في هذه السنة طلاب الشهادة التحضيرية ، وان ينجحنا في زمن قصير عن العشرة الادباء ، فكانا يكتبان الابحاث ليلاً ، ويقدمانها للطبعة نهائياً لنتسكنا من انجاز كتابهما قبل انتهاء السنة

المدرسية ، فوق فيه لهذه العجلة الاضطرابية اغلاط في النصوص وفي العروض والرسم ، وبعض آراء لم ينسجها البحث المحتاج الى اطالة النظر ، وكثرة التوقف ومراجعة المظان وتمحيصها .

وقد اغفل المؤلفان بهذه العجلة ان يحللا لكل ادب قطعة من شعره او ثرد ليقع الطالب على مواطن الحسن او القبح كما ذكرناه آنفاً ، وليندرج على طريقة التحليل العلمي ، ولعلها قد تركا هذا العمل الخطير للأستاذ المدرس ، وما كل مدرس بقادر على ان يوفي ذلك حقه .

ومن العجلة احتجاج المؤلفين لصحة امم الكتاب (الادباء العشر) لا العشرة ، بقولها في آخر صفحة منه مانصه : (ولا بد لنا في الختام من ارشاد الذين انتقدوا عنوان كتابنا الى مراجعة بحث العدد في حاشية ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب أوضح المسالك للشيخ المراغي فان فيها نصاً عزيز النقل فليحفظوه !) مع ان ابن عقيل لا حاشية له ، فهو شارح الالفية ، والمحشي هو الخصري ، وكتاب اوضح المسالك أو التوضيح هو لابن هشام ، والمراغي قد نشره نشرة جديدة باسم تهذيب التوضيح ؛ هذا وان ما نقله الامام النووي في حاشية الخصري عن شرح الكافية للسيد الصفوي في تجويز تذكير العدد وتأنيثه بعد المعدود موضع نظر ، لان الناقل والمنقول عند لسان أئمة النحو ، وما وزد من الكلام الذي يصح الاستشهاد به لا يقبل مثل هذا التجويز .

أما تراجم الكتاب لادبائه العشرة فكافية للطالب ، ومختفة من عناء بحثه عن اخبارهم واخلاقهم مما يعينه على فهم آثارهم الادبية ، وفي خاتمة كل بحث بيان مفيد للمصادر التي تعين الدارس على التبع والاستقصاء ، ففسي ان يتلاني المؤلفان هذه النواقص في الطبعة الثانية .

التنوي

باكورة في تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية

تأليف السيد هنري لاوست

H. Laoust: Essai sur les doctrines sociales et politiques
de Taki - d - din Ahmad B. Taimya,
Le Caire. 1939

نقد مؤلف هذا الكتاب الى روح شيخ الاسلام ابن تيمية ، وغاص كما بغوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام ، وهي كثيرة جداً واكثرها عمالم تسط عليه غير الدهور ، فاستخرج لآلي بديعة في منازع ابن تيمية في الاجتماع والسياسة تمثلها وكتبها بأسلوب عال باللغة الفرنسية ، ومعلوم أن تقي الدين كان يجمع الى العلم ، الديني السياسة ، ويعرف زمنه كما يقال في وصف العارفين ، يعرفه معرفة اعظم رجال الدولة ، فدرس آرائه ومذهبه في الحقيقة درس لما حوت الشريعة الاسلامية في أجمل صورها واصدق مصادرها .

ان الكلام على ما خاض المؤلف عبابه يحتاج إلى بحث طويل ، ومن امتع ما قرأنا فيه نلطفه في التعليق على آراء شيخ الاسلام تعليقا معاً خالف رأي المؤلف ، فهو لا يخرج عن حدود أرقى المؤلفين في تأليفهم .

ولو كتب لكل من يكتب اطروحته أث يمن في درسها كما امن الاستاذ لاوست في بحث ابن تيمية خلفوا لنا مجموعة من الابحاث يعتمد عليها في الموضوعات التي عاجلها ، ولكن غابة معظم من كتبوا اطروحاتهم من ابنائنا كانوا يقصدون بها خدمة انفسهم بنيل شهادة العالمية لا خدمة العلم كما وقع لصديقنا لاوست ، وانا لنشكر المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يطرد صدور تأليفه على هذا المنهج خدمة لعلم لا تكاد تعرف أكثر حقائقه في بلاد الغرب وينشره بهذا الاسلوب الممتع قطع لألسن من يهرفون عن الاسلام بما لا يعرفون ، ولا غضاضة عليهم في ذلك وما القصور

الا منا نحن ورثة هذا التراث العظيم ، وبإسمائنا وتركنا المجال خالياً لمن يقولون فينا
وفي تعاليمنا ما يقولون ، وقد نعترض على من يتوفر على الدرس فيخرج ما يهديه إليه
بحسب للناس ، وليس لنا من يرهان الا ما يعرض خاطرنا باديء بدء من رأي فطير
غير نضيج .

محمد كرد علي



مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هـ الموافق لسنة ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في اشهر

أيار وحزيران سنة ١٩٤١ م
جمادى الأولى وجمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

•••••

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ " " }

المطبوعات العربية

البدء بالطبع وعبث الطابعين

سبقت مصر سائر الأقطار العربية في الأخذ بأسباب الحياة العلمية ومنها طبع الكتب . ولئن بدأت الاستانة بطبع الحرف (١١٣٩ هـ) بعد أن طبعت الكتب العربية في الغرب بزمان طويل ، إن الطبع بالحروف لم يعمد في مصر الا في سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وكانت على ضعف حتى سنة ١٨٢٢ م وهي السنة التي أسست فيها مطبعة بولاق الأميرية وطبعت الأمهات القديمة وكتب العلوم الحديثة . وأنشئت في بيروت مطبعة المرسلين الاميركان البرتستان سنة ١٨٣٤ م ثم مطبعة المرسلين اليسوعيين الكاثوليك في سنة ١٨٤٨ م ، وفي نحو ذلك الزمن دخلت الطباعة بالحروف الى تونس ، وانشأت الحكومات مطابع لها في بعض أنحاء الشرق . وما بدأ الأفراد بتأسيس المطابع في أرض الشرق العربي الا بعد انقضاء زمن على المطابع الحكومية ، وكانت عنايتهم بما يطبعون دون عناية الحكومات ، ذلك لأن القائمين بأمرها توخوا الربح قبل كل شيء ، وتوهموا الأرباح تأتي من طريق الاقتصاد في النفقة من كل باب ، وكان معظم من عانوا الطباعة لا شأن لهم في العلم والأدب ، فأساء بعضهم الطبع بالطبع ، وأخذت الشناعة ببعض ما طبعوا : لادقة في التصحيح ، ولا ذوق في وضع الصفحات والحواشي ، وقد يخلطون في الكتاب كتاباً آخر لا علاقة له بالكتاب الأصلي ، فتستغرق الصفحات بالأصول والزوائد ، ويختارون للطبع أسقم الحروف ويتخيرون أدنى الورق ، ويتطلبون الرخص في كل شيء ، وبذلك خلت مطبوعاتهم من كل بهجة وروعة . ولما كانت أكثر من عانوا طبع الكتب من طبقة العامة ، لم يهتموا لجهلهم بغير كتب الخرافات والغراميات على الأغلب ، بدعوى أنها اروج من كتب

العلم ، ظانين أن طبع الكتب من جملة ضرور التجارات لا تحتاج الا لما تحتاجه التجارة عامة من رأس مال ، ومعرفة بطرق التوفير ، واقتناص الربح ، والتجارة منحولهم أن يطبعوا ما شاؤوا ، ويعملوا بالكتب ما شاؤوا ، على أن تكون الغاية من كل ذلك الكسب المضمون ، لذلك ما تعفف بعض الوراقين عن طبع كتب المنامات والتخريفات وأشياء سموها كتبها الروحانيات ، وأشياء هي من الاسرائيليات ، وكتب أسرار الحرف ، والجفر ، وكتب الكيمياء وعمل الذهب ، وكتب السخف والمجون ، وطبعوا واكثروا من طبع كتب ابي معشر والنيربي واضرابها ، وكل الكتب المنسوبة لأمثالها تعبت بالعقول وتزيد قارئها جهلاً الى جهل

طبع كتب العلم

قويت العزيمة على الاستكثار من طبع كتب العلم لما كثر تبرم الناس بتلك الكتب المضرّة وزاد عدد المتعلمين على الطرق الحديثة ، فأدرك العارفون قصورهم عن احياء كتب السلف ، فطبعوا في مصر أسفار مالك والشافعي وابن حنبل وابي سنيّة والغزالي وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وابن قتيبة والجاحظ وثابت بن قرة وحنين بن اسحق والآمدي والشاطبي والقرافي وابن رشد والباقلاني وابن عبد البر والسرخسي واخوان الصفا وابن جني وابن منظور وابن سيده الى عشرات امثالهم من علماء الأمة وحكائها وأدبائها ومؤرخيها ولغوييها . واختصت الهند بطبع كتب الحديث ورجالها وما شاكل ذلك من علم الكلام واللغة ، كما تفردت ايران بطبع كتب الامامية بالعربية وغيرها ، وزنجبار بطبع كتب الخوارج والاباضية ، ودمشق وبيروت بطبع الكتب المنوعة ، وخصت أوروبا بطبع كتب العلوم كالطب والكيمياء والأقرباذين وجرّ الأثقال والزيجات والأرصاد والفلك والرياضيات والطبيعات والنبات والتاريخ والجغرافيا والرحلات واللغة والأدب والشرع وغير ذلك من العلوم التي نقلتها العرب عن أهل الحضارات

القديمة وزادت فيها ، او كانت وقفاً عليهم كعلوم القرآن والسنة واللغة والشعر . شرعت أوروبا من نحو أربعة قرون بطبع ما عثرت عليه من كتب الرازي والبيروني والبتاني والكندي (الفيلسوف والمؤرخ) وجنين بن اسحق والحوارزمي ونصير الدين الطوسي وعبد الرحمن الصوفي وابن النديم والفارابي وابن سينا ويوحنا ابن ماسويه والطبري واليعقوبي والديلميني والمسعودي وابن خلكان وابن الاثير وأبي الفدا والقزويني وحمزة الأصفهاني والشريف الادريسي والمقدمي والاصطخري وابن حوقل وابن خرداذبة والهمداني والبلاذري والبكري وابن عذاري وابن سعد وابن سعيد ومسكويه وابن جبير وابن هشام والبيضاوي وعشرات من اضرايهم مما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، وكلها كتب مختارة بذلوا الوسع لمعارضتها على نسخ متعددة ووشحوها باختلاف الروايات وحلّ عويص مشكلاتها ، وزينوها بالفهارس ، وقربوا منال الانتفاع بها على المطالعين ، عملوا كل ذلك بأمانة وتدقيق وتحقيق ، وكانت الغاية من طبعها واحيائها خدمة العلم ، وما قصر الهولنديون والألمان والطيلائ والفرنسيون والبريطانيون والروسيون والاسبانيون والبولونيون والاميركان وغيرهم في احياء كتب العلوم وطبع كتب اللغة والتفسير والحديث أيضاً

طالع القرن الرابع عشر من الهجرة ، وأهم مواطن طبع الكتب العربية في الشرق القاهرة وبيروت وتونس والاسطانة وحيدر آباد الدكن وطهران وفاس ، وجهلة الوراقين قابضون على قياد الطبع لا يهتمون بغير الكسب ، وقل من الكتب ما تولى تصحيحه العارفون ، ومنها ما نشرته الحكومة المصرية وبعض الجمعيات العلمية والدينية . وكانت المؤلفون في بلاد من أكثر الوراقين يتحكمون فيهم ، ويستثرون جهودهم ، واذا أرادوهم على عمل فهارس للكتب تسهل على المطالعين تجهموا لهم ، واذا اقترحوا عليهم أن يختاروا الجيد من أصناف الورق هزؤوا بهم .

جمعيات طبع الكتب

وهذا مادعا الى تأليف عدة جمعيات من الغير على العلم ، ومن أعضائها الشيوخ الأجلاء ومنهم بعض أرباب المكانة في المجتمع المصري فلم يوفقوا في عملهم ، لما كانت ينقصهم من بعد الهمة والمشاكلة في الثقافة ، والتجرد عن التعصب ما امكن في اختيار ما يطبعون ، وتألقت منذ أواخر القرن الماضي في مصر عدة جمعيات لهذا الغرض ، ومنها ما طبع بضعة كتب وانهمزم من الميذات ، ومنها ما قصد طبع كتاب بعينه فلما أتمه لم يحاول طبع غيره . وقد انحلت هذه الجمعيات لأنها لم تسر على نظام ثابت يضمن لها البقاء ، ولأن القائمين بها أرادوا حلها عجزاً عن المضي فيها ، ولأن الفردية تغلب على الشرقي فلا ينجح مجتمعاً وكثيراً ما يفلح منفرداً .
الفلاح كله .

وأنشأ بعض النابهين من المتعلمين على الأسلوب الحديث لجنة في القاهرة في سنة ١٩١٢ سموها «لجنة التأليف والترجمة والنشر» وما زالت تزيد رقياً سنة عن أخرى ، تطبع الكتب الجديدة والقديمة ، وتعنى بالآ تخرج مطبوعاتها قبل عرضها على جماعة من الاختصاصيين من أعضاء هذه اللجنة أو من غيرهم ، وأكثرهم معلون وأساتذة وموظفون ، وقد طبعوا الى الآن أكثر من مائة وثلاثين كتاباً في الطبيعة والرياضة والفلسفة والتاريخ والأدب والاجتماع وغيرها ومنها ما يدخل في مجلدات ، ومنها ما هو من القطع الكامل ، ومن كتبهم ما نقلوه عن اللغات الاجنبية ومنها ما ألفه الأعضاء أو غيرهم . فأثبتت اللجنة أن الشرقي اذا أحب العمل وأتقنه لا يقل عن الغربي .

يتنافس الناس اليوم في اقتناء المطبوعات الجيدة ، وكان المأمول أن يكتب لها الرواج أكثر مما قدّر لكتب المحبون ، ومن هذه ما يطبع عشرات الألوف كالقصص والروايات ، ومنها ما لا يشبع الجمهور منه لأول نشره بأقل من عشرة آلاف نسخة ، وما يقال في الكتب يقال في المجلات — والمجلات أيضاً كتب

دورية — فان أرقى المجلات العلمية الأدبية باللغة العربية تطبع بضعة الوف ، ومجلات العامة تطبع العشرين والثلاثين ألفاً وربما أكثر من ذلك ، وما يروق الخاصة لا يروق العامة ، وخواص كل أمة أقل من عوامها . وكان لارتقاء فن الطباعة في الغرب دخل كبير في رقي المجلات العربية وما صارت اليه من التفنن في الطبع والتصوير . ولم يدخل على الكتب من هذا التحسين شيء كثير يناسب فائدة الكتب ، وتناسى السواد الأعظم ان الكتب تجلد وتورث وتتناقلها الأيدي أكثر من المجلات والصحف ، وهذه ما خرجت عن كونها ابنة يومها بل ساعتها .

أصناف الكتب

تقسم الكتب في مصر الى قسمين صفراء وبياض ، فالكتب الصفراء هي ما طبع على ورق اصفر من الجنس الردي ، وهذه يسمونها الكتب الأزهرية ، والبيضاء هي التي تطبع على ورق ابيض ، وهي كتب الجمهور على أنواعها وكتب المدارس النظامية ، والكتب الصفراء رديئة الطبع ، رديئة الوضع ، تشوش القارئ وتبغض اليه المطالعة ، بما تحمل من هوامش وهنات ينبو عنها النظر ، والعكس في الكتب البيضاء المشرقة فانه تستجاد لها الحروف والورق وهي خالية من الهوامش الا ما كان منها داخلاً في الموضوع ، وقد تبذل العناية بتصحيحها أكثر من الكتب الصفراء .

دب الكساد في الكتب الصفراء قليلاً ، وكتب الرواج مع الزمن للكتب البيضاء ، بقاعدة بقاء الأنسب ، وبما دخل من التحسين على أذواق الأمة ، وما برح مع هذا بعض الطابعين بمصر يجوزون لأنفسهم طبعها كما يطبعون كتب التضييل والتدجيل ، يصدرونها الى بلاد الزنوج في أواسط افريقية والى بلاد المالايو ، يطبعون منها مقادير يرسم التصدير الى الخارج غالباً ، ولو كان لي من الأمر شيء لجرمت كل من يجرؤ على طبع مثل هذه الأسفار المضرة بالعقل والدين ، ومضرتها لا تقل عن كتب المجون والسفاهة ، وكتب الالحاد والاباحة ، ذلك لأنها تباع على انها كتب دين ، والدين لا يعرفها وليست منه بسيل .

مضار الكتب الساقطة

لا جرم ان من يبيع من الجهلاء كتباً تزيدهم جهلاً وغباوة كمن يحمل المخدرات الى السذج ويزين لهم استعمالها ، او كساقٍ يسقي السم الزُّعاف لمن يطلب اليه ان يسقيه ماءً قراحاً ، وليست كتب الجهالات في تخريب العقول بأقل من تخريب المخدرات والمسكرات في الأجسام . الحكومات تخاف من كتب فيها ما لا ترضاه سياساتها ، ولا ترى واجباً عليها أيضاً أن تحظر على الطابعين طبع البضرة من الكتب ، لئلا يحملوا الى القراء كتباً غير محرزة ولا معتبرة ، فان هذه بالنسبة لجمهرة الأمة لا تقل مضارها عن تلك

ربما يقول بعضهم ان هذا مما يفتح للحكومة باب التدخل في حرية النشر وسلب حق الناس في الحرية . وما كان لأمة لا تعرف مالها وما عليها ، وما يصلحها وما يفسدها ، وليس لها من نفسها مراقب ولا محاسب ان تتمتع من الحرية بالمقياس الواسع ، وخير أن يرجع في النشر الى قاعدة من ان تطفى هذه الفوضى على ما يطبع ، وترجع الأفكار الى عصور الظلمات ، وينقطع الأمل من تأليف أمة منورة متجانسة حتى بعد قرون .

مظاهر الكتب وترويجها

وبعد فقد كان في الامكان الاستعاضة عن هذه التجارة المحرمة في الكتب بتجارة مجللة فيها بطبع الكتب المفيدة ، فان ما يطبع في مصر من الجيد تروجه شهرتها في الأقطار ، وتزيد الكتب رواجاً بين مختلف الطبقات بقدر ما يتقن الطابعون طبع ما يطبعون من الكتب وينتقون أسفارهم ، ويبذلون العناية بالتصحيح والتهذيب . وقد رأينا بأخرة بعض الطابعين تنصرف همهم الى الخروج عن الطريق القديمة بعض الشيء كأن يقلدوا الطابعين في ديار الغرب بعنايتهم واتقانهم ، ويجعلوا فهارس للكتب ، ويتوقوا الأغلاط المطبعية في الجملة ، فزادت بذلك كتبهم حرمة وقبولاً .

جمال الكتاب وطبعه مما يزيد الرغبة فيه ويزينه في الأعين ، وفي العادة أن كل بضاعة تبرز في قالب مقبول صنماً ووضعاً تحتل من النفوس أحسن موقع ، فما الحال بالكتب التي هي أكثر البضائع اعتباراً وخلوداً ، ولقد بلغ حب الائقان من أهل الغرب ، وحب الاعلان عن كل شيء أن عهدوا الى مفتنين عرفوا بسلامة الذوق وسعة الحيلة ، ليصفوا بضائعهم صفاً يلفت الأنظار ، ويملنوا عنها في الصحف وغيرها بما يبعث العزائم على اقتنائها ، وان لم ترغب في ذلك كثيراً ، فهل علينا نحن بكتبنا وقدرنا أنها على الأقل بضاعة من البضائع تحتاج لمن يروجها ؟ ان الكتب العربية تحتاج الى ان تأخذ حظاً من الائقان اللازم وتبها لها من طرق الدعاية والنشر مثل ما يهيئه الطابعون والوراقون في البلاد المتقدمة لنشر مطبوعاتهم . ولو كانت كتبنا اسقاط جواهر مخبوءة في مستودعات الطابعين ما تنبه الناس لها بدون اعلان ولا دعاية .

بعض طرق الغريين في نشر الكتب

في يوم واحد ينشر الوراق الانكليزي^(١) الكتاب الجديد في كل بلد تقرأ فيه اللغة الانكليزية من أصقاع الغرب والشرق ، وفي يوم واحد تكتب الصحف والمجلات نقد الكتاب وتقرظه وتلفت الأنظار اليه ، وفي يوم واحد يقرأ هذا الكتاب ابن بريطانيا العظمى وابن اليابان وابن كندا وابن استراليا وابن زيلاندة الجديدة وابن الولايات المتحدة وابن الهند وتزيل جنوبي افريقية ومصر والسودان . والوراق الانكليزي لا يضن لترويج كتبه بين القراء بكل ما في وسعه ، ينشرها بكل حيلة ، وكذلك سائر الوراقين من جميع الأمم المتمدنة ، فعلى أن ندرس طرائقهم ، وعلى الوراقين عندنا ألا يضنوا بخمسة أو عشرة في المئة يضمونها على نفقات

(١) ان مما قرأناه في هذا الشأن كتاباً قل الى الفرنسية من الانكليزية في حقيقة الطبع لمؤلفه ستانلي اونون واسمه Stanley Unwin : La vérité sur l'édition و « الكتاب » لالبرسيم

الطبع للاعلان عن مطبوعاتهم ، فيخدمون بذلك أنفسهم ويخدمون المؤلف ، ويخدمون المدنية والمعارف .

· قصور وراقينا في النشر

وإنا لنجد الكتاب الذي يصدر في مصر لكثرة تدنيق بعض الوراقين في النفقات قد لا يصل الى البلاد العربية في أقل من سنة . يعتمد الكتيبي في ترويج كتابه على الطبيعة والمصادفات أكثر من اعتماده على التذرع بذرائع النشر الكثيرة ، وربما طبع الكتاب الجيد وما عرف به من بهمهم اقتناؤه الا عرضاً وبعد سنين تمضي على نشره ، فهل يحق بعد هذا لوراق أن يشكو من قلة الرواج ؟ والرواج بيده ، ولو بذل القليل لربح الكثير . ولو صرفت العناية بالاعلان عن الكتب وترغيب الناس فيها وعرضها في المدن والقرى وتحبيب اقتنائها للرجال والنساء والأطفال ل زاد عدد المطبوع والمبيع من كل كتاب قديم او حديث ، ولقل بهذا العمل عدد العاميين في البلاد العربية جمعاء ، ولا يمضي عشرون عاماً حتى تتغير تصورات الناس وأخلاقهم وآدابهم ومناهجهم في الحياة . بيد الطابع ويبد المؤلف نشر حضارة أمة فلينظر الوراقون ماذا يعملون ، ولتعمل الحكومات الواجب عليها نحو الطابعين ، ولتراقبهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة الجماعة .

نحن في أشد الحاجة الى التجدد في مطبوعاتنا ، وان نجدد في مظاهر الطبع من حروف واشكال وصور ، وقطع ووضع وورق وتجليد ، ونجدد في المبالغة بتصحيح الكتب والتعليق القليل بما يبين غامضها ، فليس كل الناس يفهمون ما يقرؤون ، فعلينا أن نسهل عليهم فهمها ، كأن نشكل دائماً محال الاشكال من الألفاظ ولا نترك غامضاً ولا مبهماً ، ونجن إذا فعلنا هذا لا نقش المطالع بل نستمله الى الاكثار من المطالعة . واذا صنا كتبنا عن تلقين المبتدئين أغلاطاً تنأصل في عقولهم فتؤذيها نصون الدين والآداب والمدنية ، ولا تقل التبعة الملقاة على عواتق الطابعين عن التبعات اللاحقة بالحاكمين والمسيطرين .

نقابات طبع الكتب

نحتاج الى التجديد في طرق النشر ، ولا يتم ذلك الا بانشاء نقابة او نقابات تفكر في اقرب السبل الى الاتقان والنشر والربح ، وتصدر مجلة توزعها مجاناً على دور العلم ورجاله وطلابه ، تفيض في الكلام على ما صدر ويصدر من الكتب ، وعلى ما في القديم منها من الحسنات وغيرها فتكون خير اعلان لما طبع ويطبع ، وأصدق مرشد لمن اراد ان يقتني الاطايب من الاسفار ، ولا ينفق فيها اكثر مما تمكنه حالته من اتقائه ، ويبعث على ان يكون له منها مع الزمن خزانة خاصة يستفيد منها هو وأولاده وأحفاده .

العصر عصر الشركات ، وقد رأينا الطابعين او الوراقين الذين ضعفت رؤوس أموالهم لا يأتون شيئاً يعتد به في هذه التجارة ، ورأينا المطابع الكبرى او الشركات الممولة المنظمة في عملها ترجح كثيراً وتفيد اكثر من غيرها . فاذا اجتمع الوراقون في مصر مثلاً ، وألفوا شركة او شركات يدخل فيها فقراء الوراقين وغيرهم تغير أشكال الطبع وأشكال الاسفار ، وتجنف شكوى التجرير بالكتب من قلة الرواج ، وشكوى المؤلفين والمترجمين والمصححين ، وشكوى القراء من سخافة المطبوع والمنشور ، وشكوى الكتب من الكساد ، وتدخل في طور اتقان وعناية على النحو الذي نراها عليه عند اصغر أم الحضارة لهدنا .

سبيل رواج الكتب

يتوهم بعض الوراقين عندنا ان الاشتطاط في الربح يوصل الى الغرض من هذه التجارة ، ونسوا ان الربح القليل من شيء كثير أعود عليهم من ربح كثير من شيء قليل ، ولو ادركوا ذلك ما توقفوا عن تغيير أساليبهم في الطبع والنشر وتقدير الربح ، ولا يقنوا أن من مصلحتهم المهادنة في الأسعار والعناية بتجويد بضاعتهم . ولكتاب يطبعه طابعه ويبيعه في مدة قصيرة أنفع له من كتاب يبيعه في المدد الطويلة

ليرج منه ما يقدره لنفسه من الأرباح ، وهذا من أيسر قواعد التجارة التي يعرفها الأطفال في الغرب فعلى الرجال أن يتعلموها عندنا .

من جملة طرق الرواج في الكتب جودة طبعها وحسن خدمتها ، ونقصد بخدمتها المبالغة بتصحيح أصولها وتجاربها ، وحل المشكلات من متونها وشروحها ، فقد كان الطابعون فيما مضى يتوهمون أن كل مخطوط صحيح صالح للطبع لا يحتاج الى أكثر من أن يدفع الى المنضد لتنضيد حروفه وترتيب صفحاته ، ويجعل على الآلة الطابعة تخرجه ملازم ملازم . والكتب التي تطبع لأول مرة والتي يتكرر طبعها تدفع الى رجل أزهرى اذا كان على شيء من العلم فيكون من الطبقة التي تعرف الاعراب فقط ، وليس النحو والصرف كل شيء في عالم العلم .

الفرق بين الغربيين وبيننا في الطبع

رأينا كتباً طبعها أعاجم من الغربيين وهم علماء فخرت صحيحة سالمة من الشوائب ، على ضعف ناشرها أحياناً في القواعد وبعدمهم عن حفظ الدساتير ، ورأينا أسفاراً طبعت في اتقن المطابع بعناية أقدر المصححين تفيض بالأغلاط ، مثال ذلك تاريخ ابن خلدون المطبوع في المطبعة الأميرية ، لو تصفحته لتعوزت بالله مما فيه من تحريف الأعلام ، وسقطاته كثيرة قد تكون كلمة أو اسطراً أو صفحات ، ولا يتخلو صفحة منه من بضع غلطات شائنة تحرف النص وتحيل المعنى ، وظن مصححوه أن ما يعرفونه من قواعد الاعراب كافٍ في تصحيح مثل هذا الكتاب . وإلى اليوم تقع لأعظم المطابع خطراً اغلاط من هذا القيل تحمر لها الوجوه ، والواجب على من يعرف صنفاً من العلوم ألا يظن نفسه أنه يحسن الاضطلاع بجميع الأصناف . ولعل احد الباحثين يضع لنا كتاباً فيه متاع وعبرة ، يلم فيه بأغلاط المطابع ، ويدون لنا ما يكتبه المصححون في اول الكتب وآخرها من مدح الطابع ومدح من طبعت في أيامه ، كأن طبع كتاب عدل لفتح قلعة أو ثغر ، أو اعمار بلد أو قطر .

تصحيح الكتب المطبوعة مسألة المسائل في فن الكتب ، وكمن كتاب قديم

طبع على نسخة واحدة في بلادنا وزاده جهل الطابع والمصحح أغلاطاً الى اغلاطه ، وقالوا لقارئه انت وشأنك في هذا الكتاب ، ذلك لأنه قل أن يُعنى أرباب المطابع باختيار مصححيهم ، يختارون أكثرهم من المرتزقة ، من الصنف الذي يصحح المزمة ببضعة قروش ، ولو أعطى الطابع مصححاً يكون على شيء من العلم المئات لما كان مغبوناً ، ولهان على من يتناولون الكتاب ان يقتلوا ما أتقن طبعه وعُني بتصحيحه ، وان أعطوا زيادة عشرة في المئة تضاف على قيمة الكتاب

كان تحريف جهلة الناسخين للكتب وتحريفها بصنع جهلة الطابعين مما أضع على طلاب العلم اوقاتهم لينوفروا على اصلاح ما كان واجباً على غيرهم أن يصححه ، وينعبون وهم مئات ، وكان الأولى ان ينبع واحد او اثنان ولا يشغل الناس بالبحث ولا تباع منهم مجموعة اغلاط . اي كتاب لأجدادنا طبعته مطبعة من مطابعنا التي نعدّها راقية قبل هذا العهد الجديد ، ولم تحص عليه الاغلاط الكثيرة حتى الأمهات من كتب الشرع واللسان ؟ وأي كتاب طبع فأنفق الطابع على تصحيحه مالاً ، وهو يعتقد ان واجبه ان يعمل هكذا بكتابه ؟ ليت كل وراق يعرف ان ما يصرفه في تقويم الكتاب لا يعدّ مالاً ضائعاً بل لابد منه لرواج كتابه ، والامانة تتقاضاه ذلك .

عبث الطابعين الجهلة بالكتب

ان من اعظم البلاء ان تتقدم العامة فتتولى طبع الكتب ، وما كان اجدر بالخواص ان يعمدوا وحدهم لمعاينة هذه الصناعة ويرقوها بكل ما عند من سبقهم الى الحضارة بأنواع الترقى ، ويغاروا على تجديداتها كما يغار المرء على حرمانه ومقدماته . نعم ان بعض الوراقين اليوم في مصر هم من الأميين حقيقة لا يعرفون ما يطبعون وما يطبع لهم . وما ينتظر من أمي ان يقوم به في باب العلم ؟ ومنهم نصف أميين وهؤلاء بلاؤهم أشد ، هم جاهلون ويدعون المعرفة . ولو كانت حكوماتنا تفكر أبداً في نهوضنا العلمي لما سمحت لرجل ان يطبع كتاباً وينشره الا اذا كان حاملاً

شهادة من المدارس الوسطى على الأقل ، فضرر الكتيبي الجاهل لا يقل عن الضرر الذي يأتي على يد الصنيدلي الجاهل .

ومما تألم له النفس ألا يكون عمال المطابع على شيء من المعرفة وألا يتخيروا من الشباب الدارسين . وقد شهدت اعظم المطابع الراقية في هذا الشرق القريب تختار صبياناً نصف أميين لتنفيذ الحروف وعمل سائر ما يتعلق بالطبع ، ارادة الاقتصاد من أجورهم ، فيتعب بذلك المصحح كثيراً بتقويم التجارب ، ولا يخلو المطبوع مما صحح من غلطات تبقى بعد معاودة الاصلاح مرات ؛ ولو كان المنضدون يحسنون فهم الكلام لاكتفى الطابع بتجربة واحدة .

واشهد أني أفضل ان ابتاع كتاباً عربياً طبع في الغرب من كتبنا القديمة بعشرين أو ثلاثين ضعفاً عما يباع به مثله من الكتب المطبوعة في الشرق ؛ لأنني اجد في ذاك من المحسنات وكل ضروب الاستفادة والتيسير ما لا اجد في طبعاتنا ، ولا اجد في الكتاب المطبوع في ربوعنا على الأكثر الا بشاعة ورقاكة ، وأغلاطاً لا تجد لها اولاً ولا آخرأ . وقد اقدم بعض طابعي الكتب الصفراء في العهد الأخير على تحسين نوع الورق والحروف وجادوا بعض الشيء على المصححين فنشروا كتباً خرجوا بها بعض الشيء عن مألوف ما كانوا طبعوه وطبعه آباؤهم ، وأهم ما عملوا أنهم وسدوا النظر في الكتاب الى عالم فخرجت كتبهم عن أسلوب الكتب التجارية ، وصارت تعد في كتب العلم ، واظنهم ما خسروا بما عملوا بل نفعا وانتفعوا ، فاذا خطوا خطوة أخرى الى الأمام وعدلوا عن صيغهم القديمة في الطبع سيمجدون ولا شك غب عنايتهم ، يبدؤون في الطباعة عهداً جديداً فيه الخير لهم وكل الخير للمدرسين والدارسين .

لجان علماء للنظر في الكتب

حبذا يوم نرى فيه كل مطبعة كبيرة تعهد الى لجنة من الخبراء والعلماء النظر

في كل ما تطبع ، وتراقب الكتاب من وضعه وتأليفه الى صف حروفه الى وضع صفحاته الى تصحيح ملازمه الى طبعها الى طيها الى جمعها وضمها كتاباً برأسه .
هذا اليوم الذي تقضي به هذه اللجنة على صاحب المطبعة ان يعمل بقرارها لرواج مطبوعاته ، واختيار ما يعم الناس تفعة ، هو اليوم الذي يكون في تاريخ الطباعة بدء عهد جديد ، بل عهد حضارة ما سبق لنا نظيره منذ أخذنا نطبع الكتب ونقلد الغرب .

نعم ان طبع الكتب يحتاج الى مراقبة شديدة أهونها ألا يطبع شيء قبل أن تنظر فيه لجنة تقرر تفعة ، فان المكررات من الكتب التي لدينا من نوعها الأهميات المعتبرة ، وكتب التخريف والنافيات ، وكتب المحجون والغراميات وغير ذلك لا ينبغي من آفاتها الا سلطان المراقبة الشديدة في كل كتاب للقدمات والمحدثين فلا يطبع برأي طابع لا رأي له الا النفع المتوخى من الكتاب ، وغايته الوحيدة الاكتساب المرجى منه ، ولو بالقضاء على العلوم والآداب ، والاتياف على الفضائل واحياء الرذائل ، وشغل الناس بالسخف والهراء ، وما كنت أؤثر التوسع في هذا الموضوع لولا أن ايراد الأمثلة ضربية لازب لتجلية المراد .

مثال من سخف الكتب المطبوعة

لو عرض طابعا كتاب «حلية الأولياء» للعائظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا يقع في عشرة مجلدات وتبلغ صفحاته اربعة آلاف صفحة - لقال لها انت هذا الأصل الذي طبعتم عنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما انزل الله بها من سلطان ، وما كانت من كلام المؤلف ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف ، وقرأها من شهد للكتاب بالاجادة . وهاكم مثالا من مثاب الأمثلة من

هذه الزيادات التي شوهت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات .

من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مراعاة حقارة الدنيا بعين الاعتذار ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨-١) بدأنا بذكر من اشتهر من الضحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحبال ، ولم يقطعه سامة ولا ملال . ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انها من اسخف ما دونته الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجال لا يخاف الله بحال .

(٣١-١) وقد قيل ان التصوف السكون الى اللهب في الحنين الى الحبيب (كذا) (٣٣-١) ان التصوف استنفاذ الطوق ، في معاناة الشوق ، وترجية الأمور ، على تصفية الصدور (٣٩-١) وما عهد منه (سيدنا عمر) سيف ملازمته للتفريد ، ومحاماته على معارضة التوحيد ، وات لا ينهيه عن مصادلتهم العدة والعديد .

(٤٨-١) وكان (عمر) عن فناء الملاذ منتهياً ، ولباقي المعاد متتفياً ، يلزم المشقات ويفارق الشهوات وقد قيل ان التصوف حمل النفس على الشدائد الذي هو اشرف الموارد (٦٢-١) التصوف مراعاة المودود ومصارمة المحدود (٦٨-١) التصوف اسلام الغيوب الى مقلب القلوب (٧٠-) التصوف الارتقاء في الأسباب الى المقدرات من الابواب (٧٢-١) التصوف البروز من الحجاب الى رفع الحجاب (٨٧-١) التصوف النزوح بالأحوال والتخلف من الاثقال (٨٩-) التصوف الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . في ترجمة مصعب بن عمير الداري (١٠٦) ورغب عن التبريف والتسويق ، وغلب عليه الحنين والتخويف وقد قيل ان التصوف طلب التأنيس في رياض التقديس (كلام لا معنى له) وأيضاً (ص ١١٠-١) التصوف المفرق البيذونة الى مقر الكينونة ! (١١٢-١) التصوف اقامة الدنف المذهب على حفاظ السكف المذهب ! (١١٨-١) التصوف الوطى على جمر الغضا الى منازل الأنس

والرضا (١٢١-١) التصوف استنشاق النسيم والاشتياق الى التسليم ! (١٢٤-١)
التصوف مشاهدة المشهود ومراعاة العهود ومحاماة الصدود ! (١٢٩) تصحيح المعاملة
تصحيح المنازلة ! (١٣٩-١) التصوف تسور السور الى التحلل بالخور ! (١٤٧)
التصوف قطع العلائق ، والأخذ بالوثائق (١٥٧) التصوف التأله والتدله من
غلبات التوله .

يا سيدي القاري الكريم بربك اعذرني على ثقل هذا الهراء ، ولو أردت لنقلت
من هذه السخافات المضحكة المبكية مئات ، دسها الداسون في كتاب حاول مؤلفه
أن يترجم لنسك الأمة فاختلط سمينه بغث ذاك العابث . وربما تسأل القاري
وكيف لم يمتد الطابعان الى ما شات الكتاب ؟ فالجواب هذا من عمل العلماء
لا من عمل الطابعين ، ولو وقع الأصل لعارف ما تلكأ لحظة عن القول بما قلناه
في هذه النقول ، وانت لو فتحت أي ترجمة لا رأيتها على الأغلب تخلو في
مقدمتها من مثل هذا الهذيان . وبالله بعد ان عرفت درجة الحافظ ابي نعيم في
العلم هل تجوز عليه أن يقول : ومنهم الذاكر الفكري ، خليف بن عبد الله المصري ،
كان لمحجوبه ذاكرآ ، والى مشاهدته ساهراً ، وان تقول ان هذا تصوف . والله
لا يقول هذا الا من اختل ذهنه باجماع اطباء الامراض العقلية . الا يستحق ان يأوي
الى مستشفى المجاذيب من يقول (ص ٢٥٨ ج ٢) التصوف عويل حتى الرحيل وحويل
الى المقيل (٢٩٠ ج ٢) التصوف التمتع بالحضور والتبتع للخطور (١٨٣- ج ٢)
التصوف الصفو للزيق والرقو للفيق !

واي هذيان اعظم من هذا الهذيان ينشر في هذا الزمان منسوباً الى رجل
من رجال الحديث المشهورين . ألا يوافق العقلاء بعد ذلك على تأليف لجان علمية
تنظر فيما يطبع قبل أن يضيعوا وقت الناس ويؤذوا عقول ناشئتهم واذهان القراء
ولا أحب أن اختتم هذه العجالة قبل ان أشير الى كتاب آخر ارتكبت
في طبعه فقط مثل هذه السخافات ، عنيت به « البداية والنهاية » لابن كثير . فقد

طبع منه حتى الآن اثنا عشر مجلداً بالقطع الكبير لا تقل عن ثلاثة آلاف صفحة وبقي منه أربع مجلدات ووقع على ما يظهر في أيدي مصحح لا يعرف التاريخ ولا يعرف الأدب ، حتى ليخيل إلينا أن مصححه منضد حروف أو فراش في المطبعة يرزق كل يوم خمسة قروش . هناك أسماء الأعلام محرفة تحريفاً مخجلاً حتى أنك تقرأ العلم على صورة في صفحة من الصفحات فإذا قطعت صفحتين أو ثلاثاً تقرأه على شكل آخر وهو هو ، وكذلك الآيات الشعرية ، اجارك الله من تحريفها فانك اذا تلوتها تعاف الشعر وتنكر الأدب ، فان كثيراً منها لا يفهم ، وبعضها لا وزن له مطلقاً ، كأن الناظر فيه من طبقة العوام لا يحسن الوزن ولا يعرف المعنى . الا يجدر بمثل هذا الكتاب الذي يكلف طبعه المئات من الجنيهات أن يصرف على تصحيحه عشرات من الدنانير ويعهد بتصحيحه الى أناس يحسنون فن الأدب وفن التاريخ ، ولا يكتفى منهم ان يعربوا جملة صحيحة ، وبقروا عدة مقاطع بلا غلط ؟ ان طبع هذا الكتاب على هذا النحو بعد جنابة على الأدب وتجنياً على العلم والمعارف ، وبه ثبت ان كل شيء يقبل في العالم الا عقول أكثر الطابعين في مصر فانها جامدة لا تتحرك ولا تحاول ان تتحرك .

الأمثلة كثيرة في هذا الباب وقد مثلنا لذلك بما حضرنا من امثلة ، ويرى القارئ النقاد ان هذا الموضوع جليل في ذاته يجب أن يعاينه الدارسون والمدرسون والعالمون والمتعلمون وكل من يهتمون للحياة العلمية في الأمة العربية ، ونحن الآن اذا قصدنا الطابعين فقد تقدنا من قبل المؤلفين ، وكل ذلك بسائق الغيرة على اوضاعنا وحضارتنا وحجاً بالتجدد وبعداً عن الجمود .

هذا وقد رأينا بعض النفوس تزهد في الكتب بعض الزهد وتستغني بعض الاستغناء عن القراءة ، ومن ارتقى عقله يستميل عليك ان تضطره الى قراءة مثل حلية الأولياء بهذه الزيادات عليه . الناس مأخوذون بما هم محكومون له من التفتن في طرق النشر الحديثة من صحف ومجلات ومذيع ، وهذا ما يدعو الى التفكير :

كثيراً في مصير الكتاب والعقبات التي ستقوم في مستقبل الأيام أمامه من أجل رواجه ، وانا ليؤسفنا ان نرى الكتب وما يطبع منها لا يزيد مقدار المطبوع منه كثيراً بالقياس الى ما وصلنا اليه من الحضارة ، فالكتب لم ترج الرواج المطلوب بل وقفت عند حد لم نتقدم فيه الى الأمام كثيراً ، ذلك لأن ما كان يرجى أن يزيد عدد المطبوع منها بكثرة قارئها قد اخذته الجرائد والمجلات ولا سيما المجلات التي لا تعني كثيراً بمسائل الجد ، فكان من ذلك ان شغل جمهور كبير من محبي المطالعة بالتافهات والهزليات ، وكان آباؤهم بالأمس يصرفون كل وكدهم في اقتناء كتب الجد المخطوطة ، ويفاخر حتى العوام بما اقتنوا أو ورثوا من كتب يحتفظون بها كما يحتفظ غواة العاديات اليوم بعادياتهم ولا ينزلون عنها لغيرهم ولو افتقروا .

محمد كرد علي

ما ألف عن النساء

سمرنا ليلة عند صاحب لنا أديب ، فنفضنا الأحاديث نفضاً ، ثم ملنا الى ذكر النساء وأخبارهن والعرب وآرائها فيهن ، وكان في مجلسنا متأدب أخذ اللغة عن الأعاجم فنهج نهجهم في آرائه ، ونحنا نحوم في تفكيره ، فوهم أن العرب والمسلمين قد استخفوا بالنساء فلم يحفلوهن أو يعنوا بهن ، ولم يخصوهن بالتأليف أو ي فردوا لمن التصانيف ، وأيد وهم هذا بأقوال بعض المستشرقين .

وقد أردتُ تتبع هذا الزعم بالرد لبيان وهنه ووهيه ، واستقرأت ما استطعتُ استقراءه من تراث الإسلام والعرب ، فإذا فيه تأليف حسان وتصانيف ملاح ؛ خصوصاً بالمرأة وجنسها ، وجلوا فيها عن أسرار وأخبار ، ولم يدعوا امرأاً أدر كوا صلتها بهن الا تكلموا عليه وبحثوا فيه .

ولو أن هذا التراث العظيم كان قد سلم ، لرأينا من لطائفه وطرائفه كل معجب مطرب ، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن وشذوذهن كل رقيق جميل .

١ - فقد ألف عنهن في الجاهلية كتب كثيرة منها :

١ - كتاب « الموءودات »^(١) لهشام بن محمد الكلبي النسابة الأخباري (٢٠٦)

٢ - كتاب « المعروفات من النساء في قريش »^(٢) لابن الكلبي أيضاً

٣ - كتاب « مناكح أزواج العرب »^(٣) له أيضاً

٤ - كتاب « المردفات من قريش »^(٤) لعلبي بن محمد المدائني المحدث

المتكلم (٢٢٥)

(١) معجم الادباء ١٩/٢٨٨ - ٢٩٢ (طبعة دار الآمون) . والنهرست ص ٩٦

(٢) المصدر السابق (٣) النهرست ص ٩٧ (٤) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣ .

- ٥ - كتاب «الكليات» ^(١) له أيضاً
- ٦ - كتاب «بغايا قريش في الجاهلية» ^(٢) للهيثم بن عدي الراوية الأخباري (٢٠٩)
- ٢ - ثم خصوا نساء النبي وأمهاته بالرضاع وبناته بعدد من الكتب لا يحصى منها:
 - ١ - كتاب «أمهات النبي» ^(٣) للدائني الذي مر ذكره
 - ٢ - كتاب «أمهات النبي» ^(٤) لابن الكلبي
 - ٣ - كتاب «أزواج النبي» ^(٥) لمحمد بن عمر الواقدي (٢٠٧)
 - ٤ - كتاب «بنات النبي وأزواجه» ^(٦) لأحمد الرقي الراوية الحافظ الثقة .
 - ٥ - كتاب «أزواج النبي» ^(٧) لمحمد بن عمر المعروف بابن القوطية وكان نحويًا لغويًا أديبًا شاعرًا (٣٦٧) .
 - ٦ - كتاب «أزواج النبي» ^(٨) لابن الكلبي .
- ٣ - وتكلموا على نساء المسلمين من أوتي الشهرة والملك في كتب شتى منها:
 - ١ - كتاب «أمهات السبعة من قريش» ^(٩) لمحمد بن حبيب وكان من علماء بغداد ومهرة مؤديها . (٢٤٥)
 - ٢ - كتاب «أمهات الخلفاء» ^(١٠) لابن الكلبي
 - ٣ - كتاب «من تزوج من نساء الخلفاء» ^(١١) للدائني وغيرها .
 - ٤ - ثم ألفوا في أخبار النساء كتبًا كثيرة بينوا فيها أحوالهن وطبائعن وطرق معاشتهن . وأوصافهن وما يعجبهن به أو يعرضن عنه وما قيل فيهن أو روي عنهن منها :

(١) الفهرست ١٠٢ . ومعجم الادباء ١٢ - ١٣٤ (٢) معجم الادباء ١٩ - ٣١٠ .
 الفهرست ص ١٠٠ ، وانظر وفیات الأعيان ج ٢ . (٣) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣ .
 (٤) الفهرست ص ٩٨ . (٥) الفهرست ص ٩٩ (٦) معجم الادباء ٢ - ١٣٣ . وانظر الصندي
 في الوافي ج ٢ ق ٣ ص ٢١٩ . (٧) معجم الادباء ١٨ - ٢٧٥ (٨) الفهرست ص ٩٢ .
 (٩) معجم الادباء ١٨/١١٥ - ١١٧ . الفهرست ص ١٠٦ . (١٠) الفهرست ص ٩٨ .
 (١١) الفهرست ص ١٠١ .

- ١ — كتاب « النساء » ^(١) للجاحظ (٢٥٥)
- ٢ — كتاب « النساء » ^(٢) للهيثم بن عدي (٢٠٩)
- ٣ — كتاب « النساء » ^(٣) لحنص بن عمرو العنبري ذكره ابن النديم
- ٤ — كتاب « اخبار النساء » ^(٤) لهارون بن علي المنجم وكان أديباً شاعراً رواية نديماً
- ٥ — كتاب « أخبار النساء » ^(٥) للمدائني
- ٦ — كتاب « أخبار النساء » ^(٦) للرقبي
- ٧ — كتاب « النساء » ^(٧) لابراهيم بن القاسم القيرواني ، وكان شاعراً رقيقاً (٤٠٠) قال ياقوت « إن كتابه عن النساء كبير »
- ٨ — كتاب « اخبار النساء » ^(٨) لابن حاجب النعمان ، عبد العزيز بن ابراهيم ، وكان يملك خزانة لم ير مثلاً لأنها كانت تحوي على كل كتاب عين .
- ٩ — كتاب « النساء والفرز » ^(٩) لمحمد بن خلف بن المرزبان
- ١٠ — كتاب « النساء والفرز » ^(١٠) لابن قتيبة العالم الاديب المؤرخ (٢٧٦)
- ١١ — كتاب « اخبار النساء » ^(١١) لعلي بن محمد بن الشاه الظاهري .
- ١٢ — كتاب « من وصف امرأة فأحسن » ^(١٢) للمدائني
- ١٣ — كتاب « اخبار النساء » لابن قيم الجوزية (مطبوع)
- ١٤ — كتاب « اخبار النساء » لابن الجوزي (مخطوط في الظاهرية)

٥ — ثم أخذوا يؤلفون في الموضوعات الدقيقة الخاصة بهن . فبينوا

احوالهن الدينية في كتب شتى منها :

- ١ — كتاب « الحيض » ^(١٣) للقاسم بن سلام امام اهل عصره في كل فن من العلم (٢٢٤)

- (١) معجم الادباء ١٦ — ١٠٧ . (٢) معجم الادباء ١٩ — ٣١٠ . والفهرست ص ١٠٠
- (٣) الفهرست ص ١٠٠ . (٤) معجم الادباء ١٩ — ٢٦٢ . (٥) معجم الادباء ١٢ — ١٣٣
- (٦) معجم الادباء ٤ — ١٣٣ . (٧) معجم الادباء ١ — ٢١٦ . (٨) الفهرست ص ١٣٤
- (٩) الفهرست ص ١٥٠ . (١٠) الفهرست ص ٧٧ . (١١) الفهرست ص ١٥٣ .
- (١٢) معجم الادباء ١٢ — ١٣٣ . (١٣) معجم الادباء ١٦ — ٢٦٠ .

٢ - كتاب « العدة » ^(١) لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٠٤)

٣ - كتاب « الرضاع » ^(٢) له أيضاً

٤ - كتاب (الطلاق) ^(٣) له أيضاً

٥ - كتاب (الشغار) ^(٤) له أيضاً

٦ - كتاب (الصداق) ^(٥) للبدائي

وهذه الكتب وافرة اكثر من ان تحصى فلتلتمس في فهرست .

٦ - وقد افردوا للتزين والتجمل والتحلي كتباً كثيرة ذلك لأنها أمور

ذات شأن عند النساء ، ومن هذه الكتب :

١ - كتاب (الثياب والحلي) ^(٦) لأحمد بن سعد ابو الحسين الكاتب الشاعر

٢ - كتاب (الحلي) ^(٧) لأحمد بن فارس اللغوي (٣٦٩)

٣ - كتاب (الزينة) ^(٨) للرقى

٤ - كتاب (التزين) ^(٩) له أيضاً .

٥ - كتاب (نحر المشط على المرأة) ^(١٠) لعلي بن محمد الظاهري الميكالي

الأديب المفاكه

٧ - ورأوا أن الظرف احلى خصائص المرأة ، فألف فيه كتب شتى منها :

١ - كتاب (المتظرفات) ^(١١) لاحمد بن ابي طاهر احد البلغاء الشعراء

الرواة (٢٨٠)

٢ - كتاب (المتظرفين والمتظرفات) ^(١٢) لعبيد الله بن احمد بن ابي طاهر

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : معجم الادباء ١٧ / ٣٢٢ - ٣٢٧ . وانظر طبقات المفسرين

ص ٢٢٧ ، وطبقات القراء ٢ - ٩٥ . ووفيات الاعيان ٢ - ٢٢٧ . (٥) معجم الادباء ١٢ - ١٣٣

(٦) معجم الادباء ج ٣ - ٣٩ . (٧) معجم الادباء ٢ - ٨٢ . (٨) معجم الادباء ٢٠ - ١٣٣

(٩) المصدر السابق . (١٠) معجم الادباء ١٢ - ١٥٦ . (١١) الفهرست ص ١٢٦ .

(١٢) الفهرست ص ١٢٧ .

- ٣ - كتاب (المتظرفات)^(١) لمحمد بن احمد الوشاء ابي الطيب النحوي (٣٢٥)
- ٤ - كتاب (عرائس المجالس)^(٢) لمحمد بن احمد بن عبد الله الكاتب المعروف
بالمفجع الشيعي (٣٢٧)
- ٥ - كتاب (المحبوبات والمكروهات)^(٣) للراقي
- ٨ - ولم يغفلوا عن حياة النساء الخاصة في دورهن وصلتهن بأزواجهن ،
فألفوا في ذلك كتباً كثيرة منها
- ١ - كتاب (اختلاف الزوجين)^(٤) للشافعي
- ٢ - كتاب (من هجاها زوجها)^(٥) للدائني
- ٣ - كتاب (من شكت زوجها)^(٦) له أيضاً
- ٤ - كتاب من (ميل عنها زوجها)^(٧) له أيضاً
- ٥ - كتاب (من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته)^(٨) له أيضاً
- ٦ - كتاب (النواكح والنواشر)^(٩) له أيضاً
- ٧ - كتاب (المتزوجات)^(١٠) لخالد بن طليق الراوية النسابة
- ٨ - كتاب (من وافقت كنيته كنية زوجته)^(١١) لمحمد بن عبد الله بن حيويه
- ٩ - ثم تطرقوا فألفوا في علاقات الرجل بزوجته مما يكون بينهما ،
وهذه التأليف كثيرة لا جدوى في سردها .
- ١٠ - ولقد ذهبوا الى أبعد من ذلك ، فخصصوا الشذوذ الجنسي بكتب
وتأليف منها :

(١) الفهرست ص ٨٥ . (٢) معجم الادباء ١٧-١٩٢ . (٣) معجم الادباء ٤-١٣٤ .
(٤) معجم الادباء ١٩/٣٢٢-٣٢٧ . (٥) و (٦) و (٧) و (٨) : معجم الادباء ١٢-١٣٣ .
(٩) الفهرست ص ١٠٢ . (١٠) الفهرست ص ٩٥ . (١١) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية
بدمشق . قم المجموعات : أدب ١١٦ .

- ١ - كتاب (السحق)^(١) لمحمد بن حسان النعماني أحد الكتاب الادباء في عهد المقتدر .
- ٢ - كتاب (البقاء)^(٢) له ايضاً
- ٣ - كتاب (السحاقات والبغائين)^(٣) لمحمد بن اسحاق الصيمري (٢٧٥)
وكان أديباً مليحاً هجاءاً وندماً للمتوكل
- ٤ - ولقد خصّ ابن النديم مسرداً باسماء الكتب التي الفّت في (الحباب المتطرفات) ولم يذكر مؤلفيها منها :
- ٥ - كتاب (ربحانة وقرنفل)
- ٦ - كتاب (رقية وخديجة)
- ٧ - كتاب (سكينه والرباب)
- ٨ - كتاب (سلى وسعاد) وغيرها^(٤) .
- ١١ - وكما ألفوا في أخبار السواقط فقد ألفوا في أخبار الشواعر
والعواقل والصالحات . ومن ذلك :
- ١ - كتاب (أشعار النساء)^(٥) لمحمد بن عمران المرزباني الراوية الأخباري (٣٨٤)
- ٢ - كتاب (العواقل)^(٦) لابن الكلابي
- ٣ - كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن أبي طاهر (٢٨٠) ذكر فيه
طرائف كلامهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام
(طبع سنة ١٩٠٨)
- ٤ - كتاب (الرسا للصالحات من النساء)^(٧) لعالم الشام في القرن العاشر يوسف
ابن عبد الهادي

(١) الفهرست ص ١٥٢ . ومعجم الادباء ١٨ - ١١٩ . (٢) المصدر السابق .
(٣) الفهرست ص ١٥٢ . (٤) الفهرست ص ٢٠٧ . (٥) معجم الادباء ١٨ - ٢٦٩ .
(٦) الفهرست ص ٩٨ . (٧) هذا مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقه ٤١ ادب .
جمع فيه طائفة من أخبار النساء وما ورد في الصالحات منهن ومنه ذلك . بحديث « هوّجوا نساءكم
المنزل فانه أزين لمن وأرزن » .

١٢ — وقد عتروا أيضاً بأخبار القيان والجواري والمسوعات والمغنيات والنوائح وأمهات الأولاد ، وهذه الكتب وافرة جداً نذكر منها :

- ١ — كتاب (القيان) ^(١) للجاحظ
- ٢ — كتاب (القينات) ^(٢) لاسحق بن ابراهيم الموصلي
- ٣ — كتاب (اخبار عنزة الملاء) ^(٣) له ايضاً
- ٤ — كتاب (قيان الحجاز) ^(٤) له ايضاً
- ٥ — كتاب (قيان مكة) ^(٥) للدائني
- ٦ — كتاب (المغنيات) ^(٦) له ايضاً
- ٧ — كتاب (القينات) ^(٧) له ايضاً
- ٨ — كتاب (الاماء والشواعر) ^(٨) لأبي الفرج الأصفهاني
- ٩ — كتاب (القيان) ^(٩) ليونس بن سليمان المعروف بالمغني
- ١٠ — كتاب (اشعار الجواري) ^(١٠) للمفجع الشاعر الشيعي
- ١١ — كتاب (النوائح) ^(١١) لأحمد بن مطرف القاضي المصري
- ١٢ — كتاب (امهات الأولاد) ^(١٢) للطبري المحدث الفقيه
- ١٣ — كتاب (عنق امهات الأولاد) ^(١٣) للشافعي

* * *

تلك هي الكتب التي استطعت ان اعثر عليها في تضاعيف الامهات وثناياها ، ولعل هناك كتباً كثيرة غفلت عنها ولم اعلم بها

-
- (١) معجم الادباء ١٦ - ١٠٧ • (٢) الفهرست ص ١٤١ • (٣) المصدر السابق •
 (٤) المصدر السابق • (٥) الفهرست ص ١٠٢ • (٦) المصدر السابق • (٧) معجم الادباء •
 ١٢ - ١٣٣ • (٨) الاغانى - المقدمة - ج ١ طبعة دار الكتب المصرية • (٩) الفهرست ص ١٤٥ •
 (١٠) معجم الادباء ١٦ - ١٩٤ • (١١) معجم الادباء ٥ - ٦٣ • (١٢) معجم الادباء ١٨ / ٦١ - ٨١ •
 (١٣) معجم الادباء ١٦ - ٣٢٤ - ٣٢٧ •

١٣ - على أن الى جانب هذه الكتب فصولاً كثيرة مبعثرة هنا وهناك
 'خصت بالنساء وأخبارهن وصفاتهن وأحوالهن وتراجهن' ، كالتى
 كتبها ابن عبد ربه فى العقد، والنويرى فى نهاية الأرب ، والزمخشري
 فى ربيع الأبرار (مخطوط) وابن قتيبة فى عيون الأخبار، والقالى فى
 الأمالى والجاحظ فى البيان والتبيين والسخاوى فى الضوء اللامع
 وغيرها .

* * *

افبعد ذلك كله - وإن قل - نقولون ان العرب والمسلمين لم يحفلوا بالنساء
 ولم يؤلفوا فى أخبارهن ؟

دمشق :

صلاح الدين المنجد



الغوطة

- ٢ -

مدينة الغوطة

أجمع من وصفوا الغوطة على اختلاف العصور أن فيها قرى كالمدين ، وأن أهلها كأهل الحاضرة أي دمشق ، ومنذ القرن الثامن قال ابن بطوطة ان في اكثر قرى الغوطة الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم ، ولولا أن تبدلت معالم الغوطة مرات لشهدنا عمرانا قديما ، وما زلنا كلما حفرنا في الحقول البعيدة عن مراكز القرى نعثر على دمن تدل على عمران قديم نفهم ، وعلى ثروة وحضارة . وكان بناؤهم بالحجر الصلب على 'بعد المقالع عن الغوطة ، ومعظم بنيانها الآن باللبن ويقل فيها البناء بالحجر .

وحدثتنا الكتب أنه كان في بعض قرى الغوطة جوامع منقنة ، وكان فيها قصور صبرت على الأيام مثل قصر بيت لهما في طريق الواصل من مدينة السلام بغداد والراحل اليها ، كانت لغني اسمه السكسكي ، وكان له في اقليم بيت لهما عدة قصور مبنية بالحجر والخشب الصنوبر والعصر ، في كل قصر منها بستان ونهر يسقيه ، وكان هذا القصر في ارض حرستا . وروي المؤرخون ان القصر الذي بُني للمتوكل كان في طريق داريا ، وان البانين اخناروا هذا المكان لبعده عن ضباب الغوطة ورطوبتها ، قال المسعودي : ان المتوكل لما نزل بدمشق أجبى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها ، وما يرتفع من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على شاعة من المدينة في أعالي الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة واكثر الغوطة ، وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ، وفي عيون التواريخ للكتبي ان المتوكل أقام بدمشق سنة ٢٤٤

وبنى بها القصور ، وهي التي بطريق داريا ، ثم انه استوخمها ورأى أن هوائها بارد ردي ، وماءها ثقيل بالنسبة الى هواء العراق ومائه ، ورأى أن الهواء يتحرك بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد يثير الغبار الى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلت الأسعار وانقطعت الأجلاب ، فضجر منها بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، ومعلوم أن المتوكل كان غريب الأطوار ضجرت منه أمته فقتله ، ولا عجب أن أضجره هواء دمشق وماؤها

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به المساء الزلالا

وكان في الغوطة في القرون الوسطى والقرون الأخيرة قصور مشهورة ، منها ما بناء الملوك ، ومنها ما بنته الرعية او الأغنياء . ولما انقطع عيش البادية في الغوطة أوائل هذا القرن الهجري صحت نية اغنياء دمشق ممن يملك أرضين في ضاحيتها او قراها على اقامة القصور الجميلة ، وخربت هذه القصور والدور البديعة في الثورة السورية (١٩٣٥ - ١٩٣٦) . وأهم ما أصابه الحريق والتدمير قصور برزة والقابون والغنابة وجرمانا والمنبجة والحديثة وزبددين وحمورية والافقرس وجوبر والميزة ، ومن القرى ما دثر برمته مثل جسرين والمنبجة وبرزة كما خربت في دمشق أجمل دورها وقصورها الأثرية .

كانت الأرض الموقوفة في الغوطة كثيرة جداً ، وقد قلت في العهد الأخير واستبدل بعضها ، وكان من السلاطين من يقفون سحاً من ضيعة أو ضيعة بوميتها أو ضياعاً على اعمال الخير كما فعل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام فانه بنى قصرًا للفقراء في الربوة ووقف عليه قرية داريا اعظم قرى الغوطة واغناها ، لتكون قصورهم الى جانب قصور الأغنياء فقال الشاعر الكندي :

إن نور الدين لما أن رأى في البساتين قصور الأغنياء

عمر الربوة قصرًا شامخًا نزهة مطلقة للفقراء

وبقيت قصور الأغنياء في الربوة الى القرن العاشر، وما من اثر اليوم لا تقاض قصر الفقراء ولا لقصور الاغنياء ولا لقصر المأمون والمتوكل ولا للقصور الدارسة في الربوة والشرف الأعلى والشرف الأدنى من غربي دمشق، كل أولئك خرب على عهد العثمانيين، بما لاقته البلاد في القرن الذي قبل القرن الماضي من تعدي عسكر الانكشارية وسوء ادارة القائمين بالأمر.

روى البدرى انه كان في كل شرف من ذينك الشرفين عدة من المدارس والمساجد ولكل واحد ما يكفيه من الأوقاف استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فأظهروا فيها انواع المفسد، قال النواجي :

ألا إن وادي الشام أصبح آية محاسنه ما بين اهل النهر تتلى

وإن شرفت بالنيل مصر فلم يزل دمشق لها بالغوظة الشرف الأعلى

وفي الشرف الأعلى اليوم قامت حديقة الأمة والمشتل الزراعي ومدرسة التجهيز للذكور، وهي من المباني المحدثه البديعة، وفي الشرف الأدنى أقيمت السكنة الحميدية والجامعة السورية والمستشفى الوطني ودار الأثر والتكية السليمانية.

ذكر ابن عبد الهادي من اهل القرن التاسع في تاريخ الصالحية من المحاسن محلات الشرفين المطلين على الميدان أي الميدان الأخضر الذي نطلق عليه اسم مزج الحشيش اليوم، وكان عامراً من الطرفين، وفيه خطب ومدارس ودور الأمراء وتندق نوباتهم في كل ليلة، وفيه حوانيت وخانات حتى يوصل منه الى النيرب ثم منه الى الدهشة ومنها الى الربوة، قال وكان جميع ما تقدم في تاريخ السبعائة عامراً أهلاً، وتعدي عليه في عصر الثمانائة وبطلت منه الخطب والى الآن، قال : وبقيّة الأماكن من الربوة الى السهم والنيرب والشبلية ومحلة طاحون الشنان ومحلة الميطور وقصر اللبان والشرفين فكلها تبدلت بعد الأماكن بالجنان.

ومع شدة اختلاط الغوطين بأهل الحاضرة لا تزال الأمية غالبية عليهم، ولا تزيد المدارس الابتدائية التي أنشأتها الحكومة فيها عن ثنتين وعشرين مدرسة

للذكور والانات ، والواجب أن تكون ثمانين نصفها للذكور والنصف الآخر للانات ، ولم ترسل الحكومة اليها الوعاظ والخطباء من طبقة جيدة فأصبح المجال رجبا للمخرفين ، يؤذون العقول بخرافاتهم ويستلبون مافي الجيوب ، ويقل الذكاء في الغوطة ويكثر النشاط .

خرج من الغوطة أجلة المحدثين والفقهاء والأدباء والحفاظ ومنهم الحفاظ الزملكاني والحافظ اليلداني ، وخرج من حرستا محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة ، ذكر بعض من أخرجتهم أرضها ممن كتبوا في خطط هذه المدينة وخطوطها ، وعنوا بالرجال من أهلها فترجموا لهم ولا سيما لحفاظ الحديث .

نعم كانت معظم قرى الغوطة أشبه بمراكز علم ورواية ، ومن جملة تأليف الحفاظ ابن عساكر من أهل القرن السادس كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء ، وكتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد ، وكتاب أحاديث كفرسوسية جزء واحد ، وكتاب أحاديث صنعاء الشام جزءان ، وكتاب فضل الربوة والتيرب ومن حدث بها . وكتاب حديث الحميريين وقبيبة جزء واحد ، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء واحد ، وكتاب حديث أهل قرية البلاط جزء ، ومن حديث أهل زبددين وجسرين جزء واحد ، ومن حديث سلمة بن علي البلاطي جزءان ، ومن حديث أهل بيت سوى جزء واحد ، ومن حديث دومة ومسرابا والقصير جزء ، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء ، ومن حديث أهل كفربطنا جزء ، ومن حديث أهل دقانية ^(١) وحجيرة وعين ثرماء وجدايا وطر ميس جزء ومن حديث جماعة من أهل بيت لها جزء واحد . ومن حديث يحيى بن حمزة البتلي جزءان . ومن حديث أهل بزرة جزء . اهـ وجميع هذه القرى من قرى الغوطة والذي ذكر منها صنعاء الشام أو صنعاء دمشق ، وكانت في منتصف الطريق بين دمشق والمزة خرج منها محدثون كثار ، ومنها التيرب والحميريون وفذايا وبيت أرانس وبيت قوفا والقصير

(١) ذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة والثالب انها دثرت بعد القرن الحادي عشر

ولاقانية وجديا وطرميس وبيت ليا وقيية . وبعض قرى الغوطة كانت الى القرن الثامن والتاسع تزدان ببعض العلماء والأدباء ، وبكفي ان مثل الحافظ الذهبي في القرن الثامن كان يدرس في كفرنبطنا ، وزعم ابن طولون الصالح ان الذهبي من جماعة من الأئمة المحدثين الذين خرجوا من كفرنبطنا أي انه من أهل هذه القرية .

وبعد فانت الغوطة اليوم ينقصها كثير من مرافق المدنية ، اذ أتت عليها قرون كانت الحكومة تأخذ خيرها وأموالها ولا تنفق عليها واحداً في المئة مما تأخذ ، فتأخرت بمعارفها وتعطلت طرقها وجسورها ومدارسها وجوامعها ، وليس فيها غير بضع طرق معبدة في الجملة ، وهذا مما تم في العهد الأخير ، وطرقها القديمة عريضة جداً فاستصفي أكثرها بعض من يستحلون كل شيء في جمع ثروتهم

هذا وليس في الغوطة من آثار المدنية سوى خط ترام كهربائي يربط دمشق بحاضرة الغوطة الشمالية اي دومة ، وطوله أربعة عشر كيلومتراً يمر ببساتين العنابة وأرض جوبر وزملكا وعمريل وحرستا ودومة ، واذا امتد هذا الخط الكهربائي فوصل بين دومة وداريا فدمشق ماراً بأهات قرى الغوطة الوسطى والجنوبية مثل حمورية وسقبا وكفرنبطنا وجسرين والحديثة وزبدین والشيخة وجرمانا وعقربا وبلدا وبيلا والقدم وكفرسوسية والمزة ، اي. ربطت الغوطتان القبلية بالشمالية ، ومدت قساطل ماء عين الغيبة الى القرى كافة (والقوم يشربون الى اليوم من آبار لم ترشح من الأنهار القذرة) تصبح قرى الغوطة محيطة بدمشق احاطة الهالة بالقمر ، وتغدو هذه المزارع والقرى كأنها بعض أحياء الفيحاء ومحلاتها ، وتنقلب بعض تلك الدساكر مصايف ومشاتي ، وكلما زاد عدد الجادات العظمى فيها وبنيت الفنادق والمقاهي تغدو الغوطة قبلة المتزهين ، وكلما زاد عدد البيوت والقصور استحالت الغوطة من أرض زراعية الى منازل. تتسع بها دمشق حتى تصبح عاصمة كبرى كالقاهرة .

إذا تم هذا يتحقق في الغوطة ما ادعاه بعض المفسرين في قوله تعالى « إزِم ذاتِ العمارِ التي لم يُخلَقْ مثلها في البلاد » من أن ذات العمار هي دمشق حاضرة

الغوطة وكانت فيها فيما قيل أربعمائة الف عمود ، وفي قوله تعالى (وآتيناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) من انها أيضاً مدينة دمشق بأرض يقال لها الغوطة .
طرائقها الزراعية

قال أحد العارفين ان لمدينة دمشق طابعاً خاصاً في مرافقها ومصانعها وأوضاعها ومناحيها ، قد لا ترى ما يماثله في البلدان الأخرى ، وهذا الطابع يتناول غوطتها أيضاً ، فان الناظر في أرجائها لا يزال الى اليوم يرى الزراعة فيها على الطرق القديمة ، لم تتسرب اليها الأساليب الحديثة الا قليلاً ، ثم ان ما أدخلته من التحسن في زراعتها وصناعاتها الزراعية قد تلاحظ أنها تمثلته وتبنته ، فهي تسير في معظم حالاتها على أصول الأجداد ، ولكن مع الاتقان والاحتفاظ أبداً بطابع القرون الغائرة ، ومعظم ما عملته فيها الأيدي والعقول لا يبدو عليه التجدد الا بقدر الخال في الوجه الجميل ، ذلك لأن من عادة الغوطين الا يبادروا الى اقتباس الجديد الا اذا قامت لهم البراهين على عظيم فائدته ، وبمعصون على ما لم يألفوا ، لا يخرجون عن طبيعة أرضهم ، وقد عرفوا بالصبر على استثمار الشجر واستنبات النبات :

يستخرج الغوطينون الزيت من زيتونهم ، والدبس من عنبرهم ، والعصير (القمر الدين) من مشمشهم ، والورد والمطور من زهرهم وورودهم ، والصابون من زيتهم ، والأجبان والسمون والزبد والقشدة من الباتهم ، والطحينة والشيرج من سمسمهم ، والنشاء من برهم . ويقطفون الزيتون والجوز بعصيتهم ، وينقعون القنب في حفرة ، ويستخرجون أليافه على أسلوبهم ، ومنها يفتلون جبالهم وخيوطهم ، ويدبغون من جلود حيواناتهم سخيائهم ، ويحيكون من صوفهم قماشهم وثيابهم ، ويتخذون من أخشابهم أدوات زراعتهم وصناديق فاكهتهم ومنجور بيوتهم ، ووقودهم من حطبهم وبنائهم من تراهم وما يروحوا يعلقون دوابهم بالقديم من طرائقهم ، ويحراثون الأرض ويزرعونها ويستقونها على نحو ما كان يفعل آبائهم .

وما جلب بعض الغوطين الآلات الرافعة واعتمدوا عليها لا يروا صعيدهم إلا :

لما أعوزتهم امالة المياه من أنهارهم ، وشحت الجداول في بعض السنين تخافوا أن تصوتح ادواحهم ، وما عرفوا الأسمدة الكيماوية الا عندما قلت الأسمدة الطبيعية ، وما عادت تكفي لما طمحت نفوسهم الى تسميده وتجيديده من الأرضين ، وما ألفوا تذرية الحبوب بالآلة التي اوجدها احد مواطنهم الا لما ثبت لهم ان تذريتها بالمذرة وتجنين هبوب الريح ، مما يطيل امد استخراجها من تربتها ، وتضيع عليهم بعض حباتها .

وكان الغوطة السمحة التربة ، المعتدله الهواء ، الصافية الأديم تعطف على الفقير أيضاً ، فلا ترى أن تقطع رزقه ، وتحرم الصانع والعامل من أبنائها أجور سواعدهم ، فلا تعتمد الى الآلات والأدوات الحديثة الا في أحوال شاذة . الغوطة لتوقى الغلطة التي وقع فيها الغرب لما استعاض عن الأيدي العاملة بما اخترع من الآلات ، فهي لا تريد أن ترتكب هذه السقطة لئلا يكثر فيها الناقمون والموتورون ، ثم تعم الاشتراكية ، وتنتشر الفوضى ، ويفسد الأمن ، ويتقلقل الحكم .

ورث الغوطيون عن آبائهم معرفة تأثير الهواء في الزروع والأشجار ، وأخذوا عنهم أصول زراعة الارض واستثمارها ، ومعرفة تربتها واروائها ، وما يصلحها وما يضرها ، لا يخلون بشيء مما تقلوه عنهم ، وأساليبيهم في ذلك سليمة في الجملة ، وقد تكون أقرب الى العمل من كثير مما اهتدى اليه العلم الحديث ، وصعب عليهم تطبيقه ، والانتفاع به حق المنفعة . رسمت في نفوسهم طرائقهم القديمة ، فمن الصعب ان تزين لهم طرقاً جديدة يتبعونها ، ونادر من تعلم الزراعة من آبائهم على الأصول الحديثة ، اكتفاءً بالذي ثقفوه عن أجدادهم .

فعلى عاتق الحكومة ، والحالة هذه ، واجب تعليم الغوطيين فيما تربو به مكاسبهم ، وتعتقد فيه هناءتهم وناعم غيشتهم . وعليها ان تقيم لهم المخابر والمشاتل والمناحل وخطائر الدواجن الى ما شاكل ذلك على ما يقضي به العلم العصري ، ويفرض على حكومة ترى من الواجب عليها انماء الثروة العامة ، أن توجد للمواطنين أشهراً من كل عام ، عملاً

يقتاتون به . ولو صرفت العناية بالصناعات الزراعية ، ولا سيما تربية المواشي والنحل وتربية الدواجن والطيور اكثر مما عليه الحال الآن ، لكان للغوطة من وراء ذلك أرباح ثابتة لا يستهان بها ، تضاف الى ريع أرضها وغاباتها ، فان البقر البلدي والماعز البلدي في الغوطة هما من عرق أصيل لا يكاد يكون له مثيل في سائر أقاليم الشام ، لكثرة ما بدر من الألبان الجيدة . وهذه الأنواع من الضرع لا تعيش في غير ظلال الغوطة ، ولا تستمرى غير مراعيها ومياهاها ، ويسقط النحل بما في الغوطة من أشجار مثمرة وأزهار عطرة على غذاء شهى لا مثيل له في الأقاليم الأخرى .

كان في الغوطة صناعات زراعية رابحة نازعتها صناعات أرقى ظهرت في اقطار أخرى ، فعطلت تلك الصناعات او ضعفت ضعفاً محسوساً لقلة الصادر منها الى الاقطار المجاورة على الأقل ، كما حدث للصابون لما نازعه الصابون الغربي الذي هو هناك وليد الكيمياء الحديثة ، وكما حدث للعطور والطيوب لما اخترعت الطيوب الاوربية نتيجة لازمة ايضاً لانتشار الكيمياء ، وكما توقفت منسوجات القطن والكتان والحريز فبارت . وقد أبقى لنا شيخ الربوة من أهل القرن الثامن في كتابه (نخبه الدهر في عجائب البر والبحر) صورة استخراج العطر من ازهار الغوطة وورودها ، قال : ان حراقة تلقى على طرقات المزة وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير ، ويكون ألذ من المسك الى مدة انقضاء الورد . وذكر صنعة اخراجه بالكركات والانايق ، ورسم صورها وطرق استعمالها ، وما هنالك من كركات أخرى يستخرج منها ماء الورد وغيره من المياه بلاماء بل بوقود الحطب ، وذلك بعد حشو القرع بالورد وبلسان الثور وبزهر النيلوفر أو البان وزهر التارنج والشقشقيق والمندباء او بورق القرنفل .

قال ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك ، وكذلك يحمل زهر الورد المزي الى الهند والسند والصين والى ما وراء ذلك ، ويسمى هناك الزهر . وبما أرخوه انه كان لقاضي القضاة الحنفية ولأخيه قطعة بأرض تسمى شوز الزهر طولها مائة وعشر خطوات ، وعرضها خمسين وسبعون خطوة ،

باع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين ألف درهم ، وذلك سنة خمس وستين
وسمائة ، وهذا لم يسمع بمثله .

وفي العهد القديم أيضاً كانت بعض القرى تختص بأشياء قد لا توجد في
غيرها ، فقد ذكر القرماني أن في «عقربا» العنب الزيني الذي لا نظير له ، واليوم
ليست كذلك ، ولا يوجد هذا الصنف من العنب في غير قرية داريا ، ويجود في مدينة
دمشق وحدائقها انواع العنب الكبير الحجم كالبلدي والبيتموني وغيرهما ، وكان
ينسب القماش الي عقربا ايضاً فبطل عمله فيها من قرنين على الأظب

ردي البدرى في محاسن الشام انه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها
اربع فواكه كالشمش والخرخ والتفاح والكثير ، وبها ما يحمل الثلاث واقلمن
اللوان من الفاكهة قال : وهذا موجود الى يومنا هذا (القرن التاسع) فاني رأيت
بها الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض والاسود والاحمر ، رأيت بوادي النيربين
شجرة توت تطرح التوت الايض والاسود قال : وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى
التطعيم ، وذكر صورته كما هي معروفة الى اليوم .

ورأينا لهذا العهد قرية جرمانا تصنع أعبثة من الحرير والمرعز وغيرهما تليق
ان تكون كسوة الملوك والملكات لجمال صنعها وتقويتها ، وقد نازعتها الألبسة
الجديدة حتى كاد يقضى على انفع لباس اخترعته العرب في الدهر السالف ، وهو
صالح لكل زمن لأنه لباس وغطاء ووظاء ، يقي البرد والحر ويحمي به الرجال والنساء .

متنزهات الغوطة

في الغوطة عدة متنزهات هام بها الشعراء وذكروها ، وحنوا اليها حنو الحبيب
لحييه ، منها (سطر) و (مقرا) وفيها يقول عبد الرحمن ابن خطيب داريا وقد
أحسن التورية :

خليلى ان واقبتا الشام بكرة وعابنتا (الشقراء) والغوطة الخضراء

فقا واقراا عني كتاباً كتبه بدمعي لكم (مقرا) ولا تنسيا (سطر)

و (الشقراء) مطلة على المرج الأخضر وعندها اليوم طاحون يقال لها طاحونة الشقراء ، و (مقرا) المكان المعروف عند طاحون الشنان في شمالي شرقي البلد . و (سطرا) عند جامع منجك قرب برج الرؤوس من ناحية الشرق ، وكان (البلكي) متزهة حسنة بين سطرا ومقرا . روى البدرى ان الناس يجتمعون فيه أيام زهر السفرجل ويطلقون الماء تحت أشجارها ، ويوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ، ويملقون قشور النارج موقدة في الأشجار ، ويضربون الخيام في بستان الحجاب ، ويقطعون فيه أياما وأوقاتا من اللذة والانشراح بعجز الوصف عنها .

قال ابن طولون الصالحى : أعظم متزهات دمشق (الربوة) كان بها أربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها (التخوت) وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به ، وكان بها خمسة مقاصف^(١) اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه ، وكان بها (العاشق) و (المعشوق) وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى (العذول) . وقال : انها خربت ثم عمرت وهكذا مرارا ، وفي عهده بقيت مأوى للوحوش قال بعضهم :

شوقي (يزيد) وقلب الصب ما بردا (وبان يامى) من (المعشوق) حين غدا
ومدمعي (قنوات) والعذول حكي (ثورا) يلوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية (بالجنك) جاوبها شبابة كم بها من (عاشق) سهدا
فالبدر (جبهتها) والدف (ربوتها) وغلها مات في (خالخالها) كدا
و (الخلخال) و (العاشق) و (المعشوق) و (الجنك) و (الجبهة) و (الدف)
كلها من متزهات دمشق في غربي المدينة .

(١) التصف : الهم والهم على الطعام والشراب ، والتصف محله وكانت التماصف قبل ان تكون المتماضي وكلاهما يشايران .

يقول ابن طولون : وفي شرقي الربوة (قطية) وهو مكان كان فيه سمان وشرائح
ومقاصني وقد خربت ، وشرقها في الطريق المذكور (الجبهة) على حافة نهر بردى له
مسجد ودكاكين ومقصف ، وظل الدف والجنك معروفين الى القرون الأخيرة
فقد ذكر الرحالة الخياري في القرن الحادي عشر (الباسطية^(١)) من متنزهات الصالحية
وقال انه مرَّ أيضاً في طريقه الى الربوة بالنيربين والجنك والدف والميطور وهي
أسماء متنزهات . وقد مدح الأمير منجك قصر والده في غربي المدينة بقوله :

قصر الأمير بوادي النيربين سقى رباك عني من الوسمي مدرار
كم مرّ لي فيك أيام هواجرها أصائل ولياليهن أسمار
حيث الشبية بكر في تضارثها وللصباة احلاف وأنصار
حيث الرياض تغني حائمها (بالدف) و (الجنك) و (الميطور) لي جار
حيث الخائل أفلاك بها طلعت زهر من الزهر والندمان أقمار
وتشوق ابو المحاسن الشواء الحلبي الى متنزهات دمشق ، ومنها ما دثر اسمه
اليوم بقوله :

عاطياني حديث (سطر) و (مقرا) وابسطالي في هجري الكأس عذرا
أنا مالي وشرب كاسات خمر شغلني عنهن كاسات ذكرى
كم نعمنا في (بيت ليا) بلهو وعلونا (بالقصر) و (السهم) قصرا
ومردنا (بدير مران) نشدو فيه نظماً وتسجع الورق نثرا
تفيا ما بين (الارزة^(٢)) والقا بون دوحاً يبدل القيط 'قرا
إن عندي يا (بيت آيات) و (السيه) لون^(٣) شوقاً اليكما مستمرا

(١) لم يذكر اسمها فيما أماننا من الأسفار .

(٢) أرزة كانت الى القرن العاشر موجودة كما قال ابن طولون .

(٣) بيت آيات حارة كانت غربي الصالحية - قاله ابن طولون الصالحى - ولم يذكر في المراجع اسم
(سيلون) وسيلون اليوم بستان مطلق على الربوة من أرض اللزة وهو ملك سمو الأمير يوسف كمال .

بأبي (برزة) فكم قد برزنا نتهادي فيها الى القصف جهرا
يا خليلي ساعداني واني كنت بالحب قبل ذا اليوم غمرا
خبراني عن (القصير ^(١)) و (حرنا) بخير وددت لو كانت خبرا
(مربا) و (الدريج ^(٢)) و (التل) جنا ت بعدنا عنها ولم تأت وزرا
و (منين) بها مناي فمن لي أن أقضي فيها من العمر شطرا
فتنايا على (الثنية) قصا وابسطا لي عذرا بأكناف (عذرا)
عللاني (بكفربطنا) و (جدبا) وذرائي من ذكر لبني وعفرا
واسألا لي عن (جوهر) ثم (جر فلي فيها مأرب أخرى
ولكم بين (دومة) و (حرستا) غرف توقف النواظر حسرى
ودّ جفني ان لو غدا بين (يروى) و (كثار ^(٣)) يكاثرا المزل قطرا
(فلقبين) بات قلبي مشوقا و (لعربين) ظلت العين عبرى
(بزمكا) و (عين ثرما) و (سقبا) و (بجسرين) ظلت اربع شهرا
لي رياض كأنهن السما ت تضاهي زهر الكواكب زهرا
ثم قصا علي أخبار (أشفا نية ^(٤)) تغنما بذلك اجرا
فلنا حولها مطارح هو مس كف الحيا تراها فأثرى
(حلفياتا) و (بيت قوفا) و (بيه لا) و (بلدا) قرى بها أنا مغرى
انتهي حيثما توجهت ظلّا وأرى حيثما تلفت نهرا
ولنا تحت دوحها حرم نأ وي اليه اذا الهجير استمرا
(بحجيرا) و (تلفياتا) و (دير البا لسي ^(٥)) انهمكت في اللهو سرا

(١) في ضرب الحوطة ان القصير غربي كفرنسية

(٢) مربا والدريج وحرنة ومنين والثنية تلة العقاب من قرى جبل سنير أي قلمون، شمالي النوبة.

(٣) ان كلمة كثار ويروى اسم قريتين أو متزهين من متزهات النوبة على ما يظن.

(٤) أشفاية لم تتحققها ولها شفوية أو اشفوية من قرى المرج.

(٥) من القرى التي لم تعرف لها ذكراً فيها لدينا من الكتب.

دمن لو أقيس حسن دماها بسواها لجئت شيئاً نكراً
 واذكرا (عقربا) و (دير العصاف) ير^(١) لسمي لن شتاً أن تسرا
 فالى (بيت رانس) والى (دير النوا) طير^(٢) هزني الشوق سكرا
 ولنا (بالبلط) أوقات أنس فجلها مجلات غرا
 كم فتكنا بالهم فيها وأوسه ناصروف الزمان هجراً وهجراً
 وشمنا من روض «راوية» ته حة ريج أذكي من المسك نشرنا
 باليالي «بكفر ضوسية» كانت وهي «بالمزة» الأنيقة زهرا
 وبك عودي لا اخضر عودي ان ره ت مدى الدهر عن جنابك صبرا
 فشتى واكف الحيا زبوة ذا ت قرار يهي ليالي عشرا
 جاء في نهمك الكتاب لها وص ف فماذا يقول من قال شعرا
 ومن متنزهات الغوطة [السهم] وهو متصل بأرض الصالحية قال البدرى في
 محاسن الشام: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري بهدير
 كالبحور ، وفيه يقول القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر بها ينجلي عن قلب ناظرها المم
 على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها [نصيب] [ولاسهم]^(٣)

قلنا : ان من متنزهاتها الخلل ، وكان هو والمنبيع محلتين ، وفي محلة الخلل
 سوقة وحوانيت وفرف وحمام وهي مسكن الأتراك (في القرن التاسع) وكذلك
 المنبيع والشرفان وبه تدق طبلخاناتهم وبها زاويتان ، وفي المنبيع محلة وسوقة وحمام
 وافران وبها مدرسة الخاتونية وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس ونهر
 القنوات على بابها ويجوارها دار الأمير ابن منجك [قاله البدرى] يتبع

(١) من قرى المرج (٢) قرية أو متنزه لم نر له ذكراً في الكتب .

(٣) السهم من متنزهات دمشق والغالب أن اسم نصيب هو متنزه أيضاً ولكن ليس له ذكر فيما
 رجنا اليه من المصادر ، ونصيب قرية من قرى حوران .

مخطوطات ومطبوعات

ديوان الشبيبي

أذكر ان السيد محمداً رضا الشبيبي هبط دمشق الشام سنة ١٩٢٠ ، وأقام
بغرفة 'تطل على شجرات شارع جمال باشا الذي سمي بعد انزعاج الترك عن الشام :
شارع النصر ، وقد كنت أزوره في تلك الغرفة وأتمتع بسهولة خلقه ، وهدوء
طبعه ، واني لني زيارته في يوم من الايام اذ مررت بالشارع صرمة من الابل
يحدوها فتى أعرابي ، فوقعت عين السيد الشبيبي على تلك الابل فانحدرت دموعه
على خديه ، فبلغ مني العجب كل مبلغ ، ولكني لم أسأله عن بكائه ، ولم يستطع
ان يكتفم سبب البكاء ، فقال : أتعرف لماذا أبكي ؟ اني لما رأيت هذه الابل ،
ذكرت العراق وابل العراق وصحراوات العراق ، فاشتد بي الحنين الى الوطن
فبكيت .

اذا شاء القارئ ان لا يجد في هذا الخبر شيئاً ذا بال فله رأيه ، غير اني
لا استطيع ان امرأ بمثل هذا الخبر من دون ان اجعل له صلة قوية بشاعرية
السيد محمد رضا الشبيبي ، فان تلك الدموع المضطربة على خديه كانت لي عنوان
شعره ، ولم اعجب بعد ما رأيت من فرط رفته من ان يكون ديوانه مرآة صادقة
تعرض علينا ما تعاقب على العراق في خلال ثلاثين سنة من احداث ، وما تقلب
فيه من آلام .

وسواء اكانت هذه المرآة تعرض علينا صورة الحماسة ام الاجتماع ام الاخلاق
ام الوجدان ام الوصف او الرثاء فانها مرآة من العصر الذي عاش فيه البيهقي
وأمثاله ، على صورها رقة ذلك العصر ، وعذوبة تلك الأيام ، والذين يرون في
زمتنا هذا ان الشعر العربي قد مات او كاد يموت فاني اقول لم : طالما ديوان

الشبيبي ، فان الشعر العربي النقي الديباجة ، الطاهر الغرض ، لا يزال حياً ، ولا تخلو هذه النقاوة وهذه الطهارة من كثير من البساطة ، والبساطة انما هي عنوان العظمة في كل شيء ، وقد فطن السيد الشبيبي الى فضلها فقال :

متى خيروني في الكلام ونسجه رضىتُ بسيط القول لم أنأق
ولماذا لا اذكر نموذجاً من هذا الشعر :

ياراكبين الى دمشق تزودوا	منا السلام ، لكل ركب زاد
الملك مضطرب النظام ، كأنه	جسد ، دمشق الشام منه فؤاد
هل في مروج الغوطتين لأهلها	ولرائديها مربع وسمراد
وهل الربأُ حال ضواف طر زب	وطرازها الازهار والأوراد
وشيت من الروض الاريض مطارف	خضر الأديم ، وفوت أبراد
بين الغصون ومن مشين تشابه	في الحال ، كل موزق مباد
تلك القصور كأنهن قلائد	فوق الشطوط كأنها اجياد
أوما تزال على معاهد جلق	ترد الضيوف وتصدر الورداد

* * *

هذا هو الشعر الذي اذا قرأته فانك تشعر بأنك تقرأ شعراً عربياً عليه آثار
بيان العرب وأسلوب العرب وتصوير العرب ، فلا عجمة في هذا البيان ، ولا غرابة
في هذا الأسلوب ولا زطانة في هذا التصوير .

شفيق جبري

كتاب الذخيرة أيضاً

في مثل هذه الايام من العام الماضي علق البصر بهذا السفر النفيس لابن بسام فسرحت الطرف في فهرسه ألتهم بموضوعاته وانا لا اكاد اصدق من فرط السرور ان الزمان سيسمح بنشر هذا الكتاب . وقفت عند رقم يتعلق بالامام ابن حزم الذي كنت انتهيت من اصدار كتابي عنه قبيل ذلك ، فقرأت مثبّتاً ما ذكر عنه ابن بسام ، فوقفت عند بعض التصحيف ولما طالعت ما كتب في التعريف بالكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي احببت ان ارفع ما عن لي من ملاحظة الى الأساتيد الأجلاء الذين فرغوا انفسهم لخدمة هذا الأثر الجليل ولحضراتهم الفضل :

١ - في ص ١٤٤ هذا البيت :

كأنك بالزوار لي قد تنادروا وقيل لم اودي علي بن احمد
ولا معنى فيه لـ [تنادروا] والصواب : [تبادروا] بالباء كما في ارشاد الأريب
ونفع الطيب [ترجمة ابن حزم]

٢ - في ص ١٤٥ :

هنالك تدري ان للعبد غصة وأن كساد العلم آفته الغرب
والصواب كما يتمتضيه السياق وكما في المصدر السابق :

هنالك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب

٣ - أرجح ان [تشوقوا] في قوله ص ١٤٥ :

فوا عجباً من غاب عنهم تشوقوا له ودنو المرء من دارهم ذنب

محرفة عن [تشوفوا] بالفاء بمعنى اشربوا ، وهو اجود .

٤ - لم اجد معنى مناسباً لكلمة [سغب] الواردة في قوله ص ١٤٦ :

: وان رجالاً ضيعوني لضيع وان زماناً لم ائل خصبه بهغب

والصحيح ما في ارشاد الأريب : وان زماناً لم ائل خصبه بجذب

٥ — وكذلك كلمة (ميقعة) في قوله ص ١٤٦ :

ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميقة وتارة في ذرى تاج على ملك
والميقعة — كما في القاموس — خشبة القصار يدق عليها ؛ والمطرقة ؛ والموضع
الذي يألفه البازي والمسن الطويل . وليس لأخذ هذه المعاني مناسبة في البيت .
وانما الصواب : « تحت مترية » كما في نفع الطيب

٦ — في ص ١٤٢ : « جهله بسياسة العلم التي هي اعرض من ايمابه » والذي احفظه :
« اعوص من اثقانه »

٧ — في ص ١٤٢ : « ابوه الوزير المعقل في زمانه » ولم ارمسوغاً للتشديد لأن
[المعقل] بالتخفيف اسوغ .

٨ — في ص ١٤٢ : « فما من شرف الا مسوق عن خارجية » ولعل صوابها :
فما من شرف الا مسوق عن خارجيته : كما في ارشاد الأريب [ترجمة ابن حزم] .
٩ — لعل الأولى في كلمة [رحم معقومة] المذكورة في ص ١٤٢ ان يقال :
« رحم معقوفة » بالقاف لا بالميم

١٠ — ضبطوا في ص ١٤٤ [تحرقوا] بفتح فسكون ؛ وانما الفعل بالمعنى المذكور
رباعي لا ثلاثي ؛ فالصواب : [تحرقوا] بالضم فالفسكون .

١١ — في ص ١٤٣ : « الفصل بين اهل الآراء والنحل » والمعروف من المصادر :
« الفصل في الملل والأهواء والنحل » والكتاب مطبوع متداول . وكذلك كتاب
« كشف الالتباس ما بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » صواب [ما] ان
تكون [لما] .

هذا ما لفت نظري في الصفحات الخمس المتعلقة بابن حزم . وقد اعجبني الاعجاب
كله كلمة الدكتور طه حسين في ختام مقدمته :

هناك نصوص لم تستقم لنا ولم نوفق الى اقامتها ، ومن الجائز بل من الراجح
ان تكون هناك اغلاط قد صرت بنا أو مررنا بها فلم ترد ان تكشف لنا عن

نفسها ولم نستطع نحن ان نكشف لاتقشنا عنها . ولكن الانتاج العلمي مشاركة كله ، بل أخص صفاته انه تعاون بين المنتجين والمستهلكين كما يقول اصحاب الاقتصاد . فليصلح القراء ما فات الناشرين ومن يدري لعلمهم ان يضطروا في كثير من الاحيان الى ان يصلحوا ما فات المؤلف نفسه . والمهم ان تعمل وان تسعى جهدنا الى الخير وعلى الله قصد السبيل»

ان هذا الكلام لا يقوله الا الاثبات الثقات من العلماء الذين كثرت معاناتهم لآثارنا ونصحيجها ، والذين استطال تجرهم وتدقيقهم . واني بعد لشاكر لكل من ساهم في هذا العمل المجيد أخلص الشكر ، مكبر لم غابة الاكابر .

سعيد الافغاني



الآداب الاسلامية

تأليف السيد علي فكري في ٢٥٥ صفحة

طبع في مطبعة عيسى الباي بمر سنة ١٩٣٧ م

كتاب لطيف الحجم حسن الطبع ضمنه مؤلفه الفاضل أم ما يحتاج اليه المرء في دينه ودنياه من الآداب الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة . وقد جعل الاستشهاد فيه مقصوراً على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة : فكان اول ابوابه ادب المرء مع الله تعالى ثم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور والوالدين والأقارب والجار والصاحب وضائر الناس : كيف يزورهم ، ويجالسهم ، ويحادثهم ويؤاكلهم : فهو يذكر الآيات والاحاديث الواردة في ادب من الآداب ثم يفسرها موجزاً تارةً ومسهباً أخرى . ويعلق عليها من عنده احياناً تعليقات فيه سهولة وفيه لين في التعبير بحيث يفهمه حتى عامة الناس . مثال ذلك تعليقه في موضوع الصدق قوله [فالتزم

أيها الإنسان نهج الصدق لتكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس ، والدرجة الرفيعة عند الله ، ولا تغش الكذب حتى لا تكون الفاجر الاثيم ، والكذاب المبهين . واجعل صفحتك بيضاء تقية ، ومكانتك في المقربين عليّة ، ولقد صدق الشاعر في قوله :

واكرم الآداب صدق المنطق اكرم به اكرم به من خلق
اعدل شاهد على الصلاح اقرب منهاج الى الفلاح

ولم يستشهد المؤلف في كتابه الا بقليل من الشعر على نمط ما سمعت من هذين البيتين . ومن الشعر الذي استشهد به قصيدة ابتهاية في الحث على عبادة الله للشاعر اللبناني المشهور [الشيخ ناصيف اليازجي] وقد جاء في هذه القصيدة قول الشاعر [واطلب رضا فانه لا يحقد] والقول ان الله تعالى لا يحقد على عبده المذنب تعبير مسيحي كان ينبغي للمؤلف ان يذبه اليه في ذيل الصفحة : لان وصف الله بالحق وتقيه عنه لم يردا في الشرع الاسلامي كما لم يرد وصفه سبحانه بالحسد . بخلاف ما ورد مثل الغضب والانتقام مثلاً فان الله يوصف بهما ولكن لا يقاس عليهما غيرهما مما لم يرد .

وفي الكتاب اغلاط لغوية قليلة : من ذلك ما في ص ١٢ [دين الملة الخفية السعداء] وصوابه السعة وفي ص ٤٥ [ان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم رنجل يجب احترامه وتهذيبه وتوقيره] فقوله وتهذيبه صوابه ان يقال مكانه [وتغزيه] بالراء وبالزاي وكلاهما بمعنى التعظيم والتوقير ، وفي ص ٤٧ قوله [ومكالمكم معه] صوابه ومكالمكم اياه او له على ان التكليم هنا افصح من المكالمه وغير ذلك مما تجعلنا قلناه على شكر المؤلف الفاضل واكبار عنايته في ابراز هذا الأثر المفيد ، فنلفت انظار الآباء والمربين اليه .

الحضارة الاسلامية

في القرن الرابع الهجري

تأليف آدم متز وتمريب محمد عبد الهادي أبو ريدة طبع على نفقة بيت المغرب

الجزء الأول في ٢٥٢ الجزء الثاني والجزء الثالث في ٣٨١ صفحة

مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

كان مؤلف هذا الكتاب من أساتذة جامعة بال في سويسرا كتب كتابه بالالمانية ونشر بعد وفاته « ١٩١٧ » ثم نقل الى الانكليزية والاسبانية وتقدم احد مدرسي كلية الآداب بالقاهرة الاستاذ بوريدة ونقله الى العربية بلغة راقية راداً فيه نصوص المؤلف الى الاصول العربية التي اخذ عنها من الكتب العربية القديمة ومعتمداً على نحو اربعين تأليفاً عربياً حفظت في خزائن الكتب في باريز وليدن ولندن وبرلين وليبسيك ومونيخ وفيينا مما لم يكتب له ان ينشر بالطبع ، وهو عمل شاق قام به الاستاذ الناقل احسن قيام .

وموضوع الكتاب من اجل الموضوعات المفيدة للباحثين من ابناء الشرق والغرب في هذه الحضارة الاسلامية العجيبة ، تناول المؤلف كل ما رآه مهماً في جلاء حقائقها فتكلم على المملكة وعلى الخلفاء والامراء وابناء النعمة من النصارى واليهود وعلى الشيعة ، وعرض للإدارة والوزارة والوزراء والمسائل المالية ورسوم دار الخلافة والاشراف والرفيق والعلماء وعلوم الدين والمذاهب الفقهية والقضاة واللغة والادب . وافاض في الجزء الثاني في خدمة العرب لفن الجغرافيا وما حدث من التطورات في الدين والأخلاق والعادات ومستوى المعيشة واحوال المدن والاعباد والحاصلات والصناعات والملاحة النهرية والبحرية والمواصلات البرية .

كل ذلك بأسلوب الافرنج الراقى في التأليف ، بأتيك بالنصوص وقد سلكها في سلك بديع ، وما رأى ان يدخل شخصه ويبين رأيه الا عند الضرورة ، ولئن

كان المؤلف لم يوانه الاجل لاعادة النظر في كتابه ونشر بعده قبل ان ينقعه
 ويزيد وينقص فيه، إنه من خير ما كتبه الغربيون في هذه الحضارة تشهد فيه مسحة
 جميلة من الانصاف ومعرفة ثاقبة في ايراد الحقائق من دون عصبية ولا عنجبية،
 وهذا قل ان يشاهد فيمن يكتبون في غيرهم من ام الحضارة الحديثة . قل
 في الناس من ينصف غيره من نفسه، ولذلك كان معظم من كتبوا فينا من اهل
 الغرب كانوا اما مفرطين في كيل المديح لنا كيلاً وإما مفرضين في محاسبتنا على
 النقيير والقطمير بدون انصاف ولا قسط، اما آدم متز فتمط جديد فهو الهدوء والكمال
 والخلق والعلم .

ان هذا الكتاب من ابداع ما يقتنيه العربي ليقف على اقوال الباحثين في
 مدنية اجداده، والشكر للمعهد الخليفي وللجنة التأليف على اختيارهما هذا الكتاب
 لنفع الناس . ومعظم الشناء يتوجه الى الاستاذ الناشر ولا يبعد ان يكون عانى
 من التعب في نقل هذا السفر البديع اكثر مما تعب المؤلف في جمع مواد كتابه،
 أناهم الله كلهم عن العلم .

محمد كرد علي



مجلد الجمع للشيخ العربي

الجزء السادس حزيران سنة ١٩٤١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠

صفحات مطوية

عنيت منذ سبع سنين بوضع تاريخ مدينة صفد عاصمة إحدى الممالك الثمانية في دولتي المماليك المصرية واستمعت على ذلك بالعالم المصري أحمد تيمور باشا الذي توفاه الله في سنة ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م فأعاني بكتبه وخزائنه الغنية وقيد لي بيده الكريمة شتى الفوائد مما سأذكره له في مقدمة التاريخ عند تنيله بالطبع . أما ما أريد نشره من الصفحات المطوية فهي أيضاً من فضل الاستاذ تيمور باشا رحمه الله وقد كان يثبني بعضها الي في عداد مواد تاريخ صفد والبعض الآخر في سياق الاخبار التي تلت فتح عكا الاخير واجلاء الصليبيين عنها لأنني أخذت بالعمل على اعداد المواد اللازمة لتاريخ عكا أيضاً . ولما كانت تلك الاخبار والتراجم المنقولة عن كتب مخطوطة تتلقى بدمشق وما إليها رأيت أن في نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي فائدة لتاريخ البلاد لأن بعض هذه الاخبار لم يدون في التواريخ المطبوعة

عبد الله محلي

من كتاب تاريخ الاسلام^(١) للحافظ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م نسخة دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

من حوادث سنة ٦٩١ هـ ١٢٩٢ م

وفي جمادى الاولى دخل دمشق الملك الاشرف ثم ضلى بجامع دمشق يوم الجمعة بالمقصورة ، وأسرجت له شموع كثيرة وخلع على الخطيب عز الدين الفاروقي ، واقام السلطان بدمشق عشرة أيام وسار الى حلب فدخلها في اواخر الشهر بالجيش (١) تاريخ الاسلام للإمام الذهبي من أجل كتب التاريخ الاسلامي وقد أثار كثيراً من غوامض تاريخ دمشق خاصة ، مما أوجز الكلام عنه في التواريخ الاخرى ، وسنشر في جزء خاص من أجزاء المجمع ما جاء فيه من تخريب المغول لدمشق سنة ٦٩٩ - ٧٠٠ للهجرة بتحقيق المشرق المجري الاستاذ يوسف صومتي مع مقدمة له ممتعة .

وضيفه صاحب حماة وبالغ في الاحتفال وادخله الحمام . الى ان قال : وفي ثامن جمادى الآخرة نازل السلطان وجيوشه قلعة الروم وحاصرها شهراً وثلاثة أيام . وفي حادي عشر رجب فتحت قلعة الروم بالسيف عنوة ودقت البشائر وزينت البلاد وترحل السلطان وبقي عليها عسكر الشام والشجاعي لعمارتها وترميم ما تشعث بالمجانيق . وقدم السلطان حلب وعزل عنها قراسنقر المنصوري وأمر عليها سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري متولي الساحل وأمر على السواحل طغريل الابغاني وأمر على قلعة الروم الأمير عز الدين الموصلی . وفيه فتح الشجاعي الذاكات ، وهي معقل الارمن على الفرات ، واخذ منها نحواً من الف نفس . وفيه بدت من الجمال المحقق معيد القيسرية هفوة في الدرس ، فقام مدرس القيسرية صدر الدين بن رزين وشكاه ، وجرت امور اوجبت ان المحقق اسلم عند القاضي شرف الدين الحنبلي وحكم باسلامه وحقن دمه ، وترك اعادة القيسرية وقايض نجم الدين الدمشقي الى اعادة الرواحية . وفي تاسع شعبان دخل السلطان دمشق مؤيداً منصوراً والأمرى بين يديه منهم خليفة الارمن ، واما نائب السلطنة بيدرا وسنقر الأشقر وقراسنقر وبكتوت العلاني وكثير من الجيش فسار الى بعلبك ثم الى جبل الجرديين (كذا) ووافاهم من جهة الساحل ركن الدين طقصور وعز الدين أيبك الحموي فنزلوا على الجبل فحضر الى بيدرا من قتر همته عنهم ، وتمكنوا من اطراف الجيش في تلك الجبال الوعرة وقالوا منهم ، فرجع الجيش شبه المتهورين ، وحصل للجبلين الطمع والقوة ثم هادنتهم الدولة وخلق على جماعة منهم وحصل بذلك للعسكروهن . ثم قدم بيدرا دمشق فعاتبه السلطان فتألم ومرض وزاره السلطان ثم عوفي وعمل السلطان ختمة بجامع دمشق لعافيته . وليلة نصف رمضان توفي صدران كبيران موقعان عديماً النظير فتح الدين محمد بن محيي الدين بن عبد الظاهر ، ومن الغد توفي سعد الدين سعد الله الفارقي . وفي رمضان احضر الأمير علم الدين الدواداري من حبس الديار المصرية الى دمشق وانعم عليه السلطان وأعادته الى الامرة وافرج عن امواله

وحواصله ثم سار صحبة الركاب الشريف . وفيه ولي الخطابة دمشق^(١) موفق الدين محمد بن محمد بن جيش الحموي عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروقي فباشر يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان وحضر السلطان يومئذ بالمقصورة . وهرب الأمير حسام الدين لاجين بسبب مسك الأمير ركن الدين طقصور وخرج السلطان الى المرج في طلبه ونادت المنادية بدمشق علي الأمير لاجين . وفي سابع شوال دخل الشجاعى بعسكر دمشق اترا من ناحية قلعة الروم وقد فرغوا من اشتغالهم . ويومئذ قيد الأمير شمس الدين الاعسر وبعث الى مصر وعزل الشجاعى من نيابة دمشق بعز الدين الحموي، وتوجه السلطان الى مصر في عاشر شوال بسحر ، وبات اهل الاسواق بظاهر البلد مرتين بالشمع الى ميدان الحصى . الى ان قال : وفي ذي الحجة قدم الشام نحو ثلثمائة فارس من التتار مفقزين وتوجهوا الى القاهرة . وفي أوائلها وقيل في اول سنة اثنتين احضر السلطان بين يديه سنقر الاشقر وطقصور فعاقبهما فأقرآ انهما عزما على قتله وان حسام الدين لاجين لم يكن معها فأمر بهما فخنقا بوتر وافرج عن لاجين بعد ان كان الوتر في حلقه ، وقيل خنق وترك بآخر رمق فشفع فيه ييدرا والشجاعى فأطلقه وانزل الآخرا الى البلد فسلا الى اهلها واهلك معها امراء منهم جرمك وسنقران والهاروقى .

سنة ٦٩٢

في المحرم حكم بدمشق القاضي حسام الدين الحنفى للضاكينين بصحة نسبهم الى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه بعد ان سعوا وتعبوا . وفي المحرم جاءت ريح عظيمة على الركب بيمان ويرد ومشقة . وفيه نزل لصدر الدين بن الوكيل حموة شيخنا تاج الدين بن ابي عصرون عن تدريس الشامية الجوانية .

وفيه طلب السلطان من صاحب سيس قلعة بهسنا ومرعش وتل حمدون ؛ اما

(١) لها سقطت كلمة يجامع بين الخطابة ودمشق عند النسخ

بهسنا فكانت للناصر صاحب حلب وبها 'نوابه' فلما اخذ هولاكو البلاد كان في بهسنا الامير سيف الدين العقرب فباعها لصاحب سيس بمائة الف درهم وسلمها اليه فبقي على المسلمين منها ضرر فأذعن صاحب سيس بتسليمها واضعف الحمل مع ذلك وتسلمها نواب السلطان في رجب ودقت البشائر . وفي المحرم قدم الدواداري وجماعة من امراء الديار المصرية وعز الدين ايبك الخزنदार متولياً نيابة طرابلس عوضاً عن سيف الدين طغريل الايفاني . ومرح الى حلب ابن ملي فولى بعده تدريس الرواحية الشيخ كمال الدين بن الزملكاني . وفيها طهر السلطان أخاه الملك الناصر دام بقاءه وابن اخيه موسى بن الملك الصالح واحتفلوا لذلك بالقاهرة احتفالاً زائداً . وفيها عمل للسلطان دهلز جليل اطلس منركش بطراز و'غريم' عليه اموالا عظيمة . وفيها ولي ولاية البريد بدمشق سيف الدين اسندمر في رجب . وحج بالناس الامير بكتاش الطيار . وفي صفر جاءت زلزلة هدمت وانكت في غزاة والرملة والكرك . وسار من دمشق اميران وعدد من الحجارين والصناع لاصلاح ما تهدم من ابرجة الكرك . وفيها مسك الامير عز الدين ازدمر العلائي وقيد بدمشق وبعث الى مصر وتوجه من دمشق شمس الدين سنقر المساح بطلب الى مصر وجاء على خبزه بدمشق بلبات الجلي الخزنदार . وفي ربيع الآخر توجه على البريد الى مصر صاحب حماة وعمه الملك الأفضل علي وجاء مملوك لسيف الدين طعجي بمرسوم بالحوطة على ابن جرادة فمسك ونفذ الى مصر واخذ ماله ونكب . وفيه تردد عيارة الفرنج في البحر الى الساحل وشعثوا بانطرسوس وطلعوا الى صيدا . وفي جمادى الاولى عزم السلطان على البيكار وتقدمه الاغسر فياً اقامات ومؤنة من الناحية القبلية ، وقدم صاحب ابن السلعوس في جمادى الآخرة ثم قدم بعده بيدرا نائب السلطنة ثم السلطان فنزل بالقصر . وفيه تسلم نواب السلطان حصنين للأرمن وهما كديربرت وايرما ثم تسلموا حصن بكازر وقد كان السلطان في مجيئه مرة بقلعة الشوبك وبالكرك ثم بعث جماعة لخراب قلعة الشوبك ثم خرج الى المرج .

وفي رجب دخل دمشق الأمير حسام الدين لاجين وصحبته الأمير مهنا بن عيسى واخوته محتاطاً عليهم وذكر ان السلطان أمر بالقبض عليهم عند سمية لأمر تقعه عليهم . وفي اثناء رجب رجع السلطان الى الديار المصرية ، ودرس بعد الشيخ نقي الدين بن الواسطي بمدرسة الشيخ ابي عمر الفقيه شمس الدين بن التاج ثم عزل بعد ثمانية اشهر . وفي رجب سافر طوغان نائباً عن قلعة الروم . وفي آخر رجب انكسفت الشمس وصلى بجامع دمشق خطيبه موفق الدين الحموي وخطب . وفي رمضان جاء الى دمشق مرسوم بالزام الدواوين^(١) بالاسلام ومن امتنع يؤخذ منه الف دينار فأسلم اربعة في ثامن رمضان . وفي شوال بلغنا ان السلطان صادر الأمير عز الدين الافرم ابيك وضيق عليه واخذ منه اموالاً كثيرة واعطى خبزه للأمير حسام الدين لاجين المنصوري .

سنة ٦٩٣

في ثاني عشر المحرم قتل السلطان الملك الاشرف بتروجه اقدم عليه نائبه بيدرا وعطف عليه بالسيف لاجين ، ثم قُتل بيدرا من الغد وحلفوا للسلطان الملك الناصر محمود بن المنصور ، وهو يومئذ ابن تسع سنين ، وهلك صاحب ابن السلعوس تحت العقوبة المفرطة الخ .

من كتاب تاريخ الدول والملوك لمحمد بن عبد الرحيم

المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الامبراطورية في وينا بالنمسة »

في حوادث سنة ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م

ورحل السلطان « الظاهر يبرس » من صفد متوجهاً الى دمشق فقتل بالجسور وأمر بأن العساكر لا تدخل دمشق بل تبقى على حالها لتتوجه الى سيس ، ودخل

(١) لها سقطت كلمة عمال قبل الدواوين والمفهوم العمال غير المسلمين

دمشق جريدة ورسم بجوجه الملك المنصور صاحب حماة مقدماً على العساكر الى
سيس ووصاه بما يعتمده وجهزه ، وفي ثالث ذي القعدة من هذه السنة توفي كرمون
آغا ، وفي ثامن انعم السلطان على امراء دمشق وقضاتها وارباب المناصب بالتشريف
ولما استقر السلطان بدمشق نظر في امر جامعها ومنع من مبيت الفقراء به وازال
صناديقهم التي كانت ضيقت الجامع ووسعه للمصلين قال الله تعالى « في بيوت اذن
الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه » قال العلماء تغلق فلا تفتح الا اوقات الصلاة ،
وفي عاشر ذي القعدة الشهر المذكور جلس الاتابك مع الامير جمال الدين لكشف
ظلمات الناس والتوقيع على القصص بدار السعادة وتوجه السلطان الى عذراء
وضمير متصيداً وما أحضر احد صيداً الا مطلع عليه السلطان حتى الغلمان والسوقية
وفرغت الخلع فاطلق السلطان لهم دراهم .

من كتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين

خليل ابن ابيك الصفي المتوفى سنة ٥٧٧٤ هـ ١٣٧٢ م « نسخة الخزانة التيمورية في القاهرة »

ترجمة علاء الدين طبرس الوزيري

طبرس الامير الكبير الحاج علاء الدين الوزيري صهر السلطان الملك الظاهر
توفي بمصر سنة تسع وثمانين وستائة ، وكان كثير الصدقات قليل الأذية أوصى
بثلاثمائة الف درهم تنفق في الجند الضعفاء ، ووصفه الشيخ شهاب الدين ابو شامة بكل
قيح فقال وفي ثالث القعدة سنة ستين وستائة وصل من مصر الى دمشق
عسكر مقدمة الامير عز الدين الدمياطي وبكر الدخول الى دمشق فخرج الناس
بتلقونهم ومعهم الحاج علاء الدين طبرس الوزيري نائب السلطنة بدمشق فلما وصل
اليه ليكارشه على ما جرت به عادة الملتقين قبض الدمياطي بيده الواحدة على عضد
طبرس الوزيري ويده الأخرى سيفه وانزله عن فرسه واركبه بغلاً وشده عليه
ثم قيده وتركه بمصلى العيد فلما دخل الليل عليه وكل به وسيره الى مصر وهرب

أصحابه ثم استخرجت امواله التي بدمشق بعد ما سير منها ما كانت سير مع العرب وقبضت حواصله وكان الحاج طبرس قد اهلك اهل دمشق باخراجهم من بلادهم والترسيم على اكبرهم باخراجهم عيالهم واتقسهم وأهانهم وضيق على الناس بتمكين العرب من شراء الغلال من دمشق وتخويف الناس من التار فكان البدوي يجلب الجمل ويبيعه بأضعاف قيمته ويشترى به الغلة رخيصة لأن الناس يحتاجون الى السفر الى مصر .

وله ترجمة بالمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م لا تختلف عن هذه الا بأن وفاته ذكرت بآخرها بدل ذكرها بالأول .

من كتاب الاعلام بتاريخ الاسلام

لأحمد بن محمد قاضي شعبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ ١٤٤٧ م

« نسخة الخزانة التيمورية المنقولة عن نسخة المكتبة الاهلية في باريز بفرنسة »

ترجمة القونوي

سليمان بن علي بن امين القونوي الحنفي قال ابن رافع سمع متأخراً من قاضي القضاة علاء الدين القونوي ودرس بالاقبالية ، توفي في ذي القعدة سنة ٧٦٨ ودفن بمقابر الصوفية وخلف ثروة .

عبدالله مخلص

القسم في القرآن

القسم : ضرب من ضروب التوكيد والتوثيق يؤتى به لتقوية الخبر وتحقيقه ،
ومعلوم ان القرآن الكريم جاء على اسلوب كلام العرب ومناحي خطابهم ، ولذلك
جاء فيه اقسام متنوعة في مواضع شتى ، لتوكيد ما تقضي الحال بتوكيده من
الأخبار ، لتقريرها في النفوس ، وثبوتها في الأذهان . وقد جاء القسم فيه على
ضروب شتى : فمن القسم بذاته تعالى وصفاته الى القسم بأظهر ما يقع عليه الحس ،
او يدركه العقل ، من نماذج البدائع الكونية ، الدالة على عظمة المبدع ، وبالنسبة
حكيمه ، فأقسم بالسماء وما بناها ، وبالشمس والقمر ، وسائر السيارات ، والثوابت ،
وبالليل والفجر ، والصبح والضحى والنهار ، وبالعصر ، والليالي العشر ، والشفع والوتر
وبالارض وبحارها وجبالها ، والتين والزيتون والبلد الامين ، والبيت المعمور ، وبالرياح
المرسلات والنداريات الناشرات والسحب والأمطار وبالنفس وما سواها ، وبالوالد
وما ولد ، وبجينة الرسول الكريم ، وبالقرآن العظيم ، وباليوم الموعود ، وبالقوى
الروحانية الصالحة ، وبالقلم وما يسطرون ، وبما يبصرون وما لا يبصرون . اما الامور
المقسم عليها فلا تكاد يخرج عن اصول اربعة :

- ١ - تثبيت اساس التوحيد وترصينه .
 - ٢ - تقرير أمر الرسالة والاشارة بصدق صاحبها .
 - ٣ - البرهنة على الحياة الأخرى وما يتصل بها من حساب فتواب او عقاب .
 - ٤ - ايضاح بعض التصرفات البشرية في هذه الحياة .
- وهذه كما نراها اسس الدين واراكيته ، وقد تكلفت التفاسير بايضاح المقاصد
المختلفة في هذا الباب : كما ان بعض الاعلام افردوه بالتأليف . وقد كنت - ابان
قيامي بتدريس التفسير في جامعة آل البيت - رأيت ان الفحص زبدة ما وقفت

عليه من كلام الاولين ، في رسالة خاصة . مع اضافة ما عن لي من النقد والتجليل لبعض تلك الآراء .

وابرز ما عنت به في رسالتي تلك البحث عن المناسبات بين المقسم به والمقسم عليه ، مما لم اوفق للوقوف على الكثير منه في كلام الأسلاف عليهم الرحمة .

ولا يخفى ان هذا النوع من التناسب يرفع من قدر الكلام ، ويزيد في روائه وبهائه . ولما كانت الانظار تتفاوت فيه والافكار تختلف ، رأيت ان اتقل للقراء الكرام نماذج مما جاء في تلك الرسالة على سبيل الایجاز ، فمن ذلك قوله : (والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . . .) اقسم بالكوكب المنير الذي لا يضل السبيل ، وبه يهتدي السارون في ظلمات البر والبحر . ان النبي الكريم على اهدى السبل واقصدها . ومعلوم ان العرب تضرب الامثال بهداية النجم والاهتداء به . يقولون : فلان اهدى من النجم . ولا يضل حتى يضل النجم (وبالنجم هم يهتدون) فالمناسبة بين المقسم به وهو النجم عند انحداره في سيره على محيط دائرته ، والمقسم عليه وهو كون الرسول على انهج الطرق واقومها — ظاهرة جليلة .

وقريب من هذا قوله : (فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم . . .) .

فالنجم من اعلام الاهتداء في الماديات ، والقرآن علم الهداية في المعنويات ، كما ان النجم يضرب به المثل في الرفعة وعلو المنزلة ، وكذلك القرآن فانه في المكانة التي لا تسامى ، ومواقع النجوم : مجاريها في دوائرها ، او ما بينها من الابعاد المتناسبة . ويقرب من هذا قوله : (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس . والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم) فانه اقسم بالدراري التي نراها ونفخ على الارض ، تجري مع الشمس ، ثم نراها كأنها راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ، واردف ذلك بالليل عند إدباره ، والصبح عند اقباله — على ان القرآن وحي ينقل بواسطة ملك شريف والوحي الالهي بمثابة النور يستضاء به لمعرفة مالا

تستقل العقول بادراكه (واتزلنا اليكم نوراً مبيناً) فالقسم بالنيرات ، على اثبات النور ، من المناسبة بمكان . ومعلوم ان الوحي يأتي حيناً دون حين ، وعند ظهوره تنجذب امامه دياجير الضلالة في المعنويات ، وكذلك النيرات في الماديات . والواقع ان ما يتلقاه الرسل من الوحي يتداوله اتباعهم على حقيقته حيناً من الدهر ، ثم يأخذون بالانحراف عنه شيئاً فشيئاً ، حتى تترامى الشقة بينهم وبين الاصل ، فيرسل الله رسولاً يوحي اليه مابه صلاح الفاسد وتقويم المائل ، وتجديد الدائر ، فيتلقيه أتباعه عنه على حقيقته . ثم — مع الزمن — يأخذون بالابتعاد عنه الى ان نقضي الارادة الالهية بارسال رسول يعيد امر الاصلاح الى نصابه ، مع زيادة ما يقضي الزمان بزيادته ! وهكذا . وبهذا تتجلى المناسبة بأجلى مظاهرها بين الوحي والنيرات التي تظهر حيناً فيهتدي بها المهتدون ، ثم تختفي حيناً ، ثم تظهر وهكذا كما توضح المناسبة بين الوحي واقبال النهار ، لأن هذا للابصار ، وذلك للبصائر (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) .

فان قلت : اذا كان من ديدن اتباع الرسل — اذا طال عليهم الامد — الانحراف عن الجادة وسلوك بنيات الطرق ؟ فمن الضروري الاستمرار على ارسال الرسل ، فكيف نوفق هذا مع القول بأن محمداً (ص) خاتم النبيين ، وآخر المرسلين ؟ قلنا : ان ما أشرنا اليه كان والبشرية لم تبلغ من الرشد مكاناً عالياً ، أما البعثة المحمدية فقد جاءت على حين ارتفعت مكانة العقل الانساني ، واصبح قادراً على القبض على زمام كثير من شؤون الحياة ، ولذلك عقد له القرآن الحكيم راية الزعامة ليسير في نوره الى حيث الكمال الانساني (والعلماء ورثة الأنبياء) —

وقال : (ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربك بمجنون . . .) كان المشركون يقولون للرسول الامين : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فجاء الجواب بالسلب المؤكد ، فأقسم بأبسط عناصر القول ، وبأخص أدوات العلم ،

وبالعلم نفسه ، على تنزيه النبي الكريم عما رموه به زوراً وبهتاناً ، فحروف الهجاء أبسط عناصر القول ، والقلم من أوائل أدوات العلم ، ثم العلم نفسه . كل ذلك من خصائص الانسان العاقل ، فالمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه اجلي من ان تحتاج الى جلاء .

وقال : (والضحي والليل اذا سجدى . ما ودعك ربك وما قلى . . .) اقسم بالضوء في شباب النهار ، وبالظلام عندما يضرب على الارض يجرائه انه لم يهمل أمرك أيها الرسول ولم يبغضك . جاء هذا القسم على اثر تخلف الوحي عن الرسول الكريم ، بضعة عشر يوماً ، فاشتد حزنه (عليه السلام) واندفع اعداؤه بأراجيفهم فقالوا : « ان ربه ودعه وقلاه » ومن هنا نتضح المناسبه بين المقسم به والمقسم عليه ، فالصلة بين الضياء والوحي وثيقة ، بقدر وثوق الصلة بين الظلام وانقطاع الوحي ، وفيه اشارة الى ان الوحي وعدمه يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار ، فمن كان في الليل لا يأس من قدوم النهار ، ومن كان في النهار لا يتردد في مجيئ الليل . وفي هذا تسلية للرسول (ص) وتبكي للرجفين من اعدائه .

وقال : (والداريات ذرواً ، فالحاملات وقرأ ، فالمقسمات امرأ ، ان ما توعدون لصادق ، وان الدين لواقع . . .) اقسم بالريح التي تذر البخار فينعد سحاباً ، ثم تحمله فتجري به في اجواز الفضاء ، وتوزعه على مختلف البقاع — على صدق الموعود من البعث والنشور والحساب فالثواب او العقاب .

وفي هذا تمثيل للبدء والعود ، فقطرة الماء بعد ان تفرق ذرات دقيقة ، وتبعثر في متايه الفضاء ، ترجع الى سيرتها الاولى من جديد فتتحد الى انهارها ، فبحارها ، وان طال عليها الزمن ، وكذلك حال الانسان (كما بدأكم تمودون) فالمناسبة ظاهرة .

ومثله قوله (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشرأ ، فالفارقات فرقاً ، فالملقىات ذكراً ، عذراً أو نذراً ، ان ما توعدون لواقع . . .) فالمرسلات

الرياح الطليقة والعرف التابع والعاصفات الشديدة والناشرات الرياح التي
تثير ذرات الماء فتشرها في الفضاء (يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء)
والفارقات : المقسمات . والرياح واسطة يستمد منها الانسان كثيراً من المعلومات
الجوية ، فهي الملقيات ذكرها اي علماً ، فالرياح هي التي تبشر بالمطر قبل نزوله
(وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) ، كما تنذر بكثير من العوارض
الجوية ، فالمعلومات المستمدة من خواص الرياح منها ما يبشر بالخير ومنه ما ينذر
بالشر (عذراً او نذراً) .

وجواب القسم قوله (انما توعدون لواقع) فالمناسبة ظاهرة على ما معناها آتياً .
ومن هنا نعلم ضعف القول المشهور من ان المراد بالمرسلات هنا طوائف الملائكة ،
يرسلهن الله تعالى بأوامره فيعصفن في مشيهم عصف الرياح الشديدة ، وبطوائف
أخرى تنزل بالوحي فتشر الشرائع وتحيي بها النفوس الميتة ، وبذلك تلقى على
المرسلين علماً يكون عذراً للتحقين او نذراً للبطلين . وهذا القول — على شهرته —
يأباه اسلوب العربية ، اذ لو اريد هنا الملائكة لجاءت الصفات بمجموعة جمع المذكور
العقلاء كما هو المعروف في العربية والمعهود في القرآن نفسه . قال : (وترى الملائكة
حافين) ولم يقل حافات . وقال : (الملائكة المقربون) ولم يقل المقربات . وقال :
(والملائكة باسطوا ايديهم) ولم يقل باسطات ايديها ، فلو كان المراد بالمرسلات
الملائكة لجاء بصيغة المرسلين ، وأما التأويل المشهور وهو ان المراد طوائف الملائكة
فتكلف لا داعي له ، زيادة على ما فيه من ضياع للمناسبة التي اشرنا اليها .

طه الراوي

الغوطة

- ٣ -

أدب الغوطة

أعجب العرب بالغوطة منذ كانوا يرتحلون اليها في الجاهلية فردد شعراؤهم اسمها وفي مقدمتهم حسانت بن ثابت شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما زالت الغوطة في الاسلام يتغنى بها الشعراء ، ويعجب بها أهلها والقاصدون اليها حتى قال أبو بكر الخوارزمي : ان جنان الارض اربع : صغد سمرقند ، ونهر الأبله ، وشعب بوات ، وغوطة دمشق . قال انه زارها كلها فكان في رأيه فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن ، وقال : كأنها الجنة وقد زخرت ومُصورت على وجه الأرض . وبالطبع لم يكن يومئذ ذكر لحداثى بلاد الغرب الآخذة بمجامع القلوب لجمعها بين الجمال الطبيعي والصناعي

يتألف من مجموع ما ورد على ألسن الشعراء في وصف الغوطة ديوان لطيف ، ومنه ما كان من الشعر الجيد لأنه صدر عن شعراء مشهورين ، وأدب الغوطة يجمع بين خصائص كثيرة منها الوصف والمأطفة والتاريخ ، وأرض كلها شعر لا يستغرب فيها أن توحى الشعر للشعراء ويتغنوا بما خصها به الفاطر من البدائع ويخلدوها مجمعين على محاسنها .

ولا بأس ان نقتطف بعض باقات من تلك الازهار ونذكر بما طاب من جماع تلك الاشعار ، تقدمها متعة للنفس ، وذكرى لما في بطن الغوطة من خيرات .
أطلق البحترى على الغوطة اسم صحراء دمشق في قصيدته التي مدح بها المتوكل العباسي لما نقل دواوين الملك الى عاصمة الشام وهي التي يقول في مطلعها :
العيش في ليل داريا اذا بردا والراح نمزجها بالماء من بردى .

الى ان قال :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفي لك مطربها بما وعدا
إذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقا ويصبح التبت في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكفا خلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا
كأنما القيظ ولي بعد بيثته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري :

امرؤ (بدير مران) فأجبا واجعل بيت لهوي (بيت لها)
وتبرد غلتي بردي فسقيا لأيامي على بردي ورعيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق يبتن وشيا
فمن تفاحة لم تعد خذا ومن رمانة لم تخط ثديا
ونعم الدار داريا ففيها حلالي العيش حتى صار أريا
ولي في باب جيرون ظباء أعاطيها الهوى ظيّا فظيّا
هي الدنيا دمشق لساكنيها فلست أريد غير دمشق دنيا

قال ابن منير الطرابلسي من أهل القرن السادس

حيّ الديار على علياء جيرون^(١) مهوى الهوى ومغاني الخرد العين
مرآد لهوي اذ كفى مصرفة أعنة العيش في فيح الميادين
(فالنيرين)(فمقري)(فالسرير)(فجـ) رايا) فجو حواشي جسر(جسرين)
(فالقصر)(فالمرج)(فالميدان)(فالة) ريف الاعلى)(فسطرا)(فجرمانا)(فقلبين)
(فالماطرون) (فداريا) فجارتها (فآبل) (فمباني) (دير قانون)

(١) جيرون سقفة مستطيلة على عهد وسقايف وحولها المدينة تعلف بها — قاله في المعجم .
وفيه . أن جيرون حصن قال : والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو باب الشرق
يقال له باب جيرون وفيه فوارة يتزل عليها بدرج كبيرة في حوض من رخام وقبة خشب يلوهاؤها
نحو الرمح ، وقال قوم : جيرون هي دمشق نفسها .

تلك المنازل لا (وادي الأراك) ولا (رمل المصلى) ولا اثلاث (يبرين ^(١))
 واهماً لطيب غديات الريح بها ويرد أنفاس آصال التشارين
 ويطينني ^(٢) لدار الروم ما شهرت (بدير مران) أعيناد الشعانين
 أبدت دمشق ربيعاً جلّ صانعه بأتيك في كل حين غير ممنون
 والماطرون موضع قرب دمشق عدّ من بدائعها ونسب ليزيد بن معاوية قوله :
 ولها بالماطرون اذا أكل التل الذي جمعاً
 'خرقة' ^(٣) حتى اذا ربت ذكرت من جلق يبعسا
 في قباب حول دسكرة بينها الزيتون قد يتعا
 ويستبعد ان يقول أمير المؤمنين يزيد هذا فانهم وضعوا عليه أشياء لم يفعلها ،
 ومنها بيتان قيل انه قالهما لما أصاب المسلمين سباً بأرض الروم وهما :
 وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقونة من حمى ومن موم
 اذا اتكأت على الأنماط مرثعاً بدير مران عندي ام كلثوم ^(٤)
 وقال العماد الكاتب كاتب صلاح الدين يوسف بن أيوب :
 اهدي النسيم لنا ريا الرياحين أم طيب أخلاق جيرانني يميرون
 هبت تنبه أطراي وتبعثها مني وتوجب للتهويم شهويني
 وما درينا أ (داريا) لنا أرجت أم دار في دارنا عطار (دارين ^(٥))
 ورب هم فقدناه (بربوتها) ورب قلب أضغاث (بقلبين)
 لولا جسارة قلبي ما ثبت على الـ عبور من طرب في جسر (جسرين)

(١) وادي الاراك قرب مكة يتصل بنية والمصلى موضع بينه في تحقيق المدينة، ويرين من
 أصقاع البحرين وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج ثلاث مراحل وبينه وبين الاحساء
 وهجر مرحلتان وهو فيما بينهما (ياقوت) (٢) في القاموس : طائفة من صرته وإليه دعوته
 كأطيته (٣) الحرفة بالقسم المحترف والمجتني كالخرفة (٤) الموم البرسام وأم كلثوم امرأته والخذقونة
 أو النذقونة بلد في الروم وهو الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنة وعين زرية
 (٥) دارين فرسة بالبحرين يجلب إليها الملك من الهند (ياقوت)

يُصِيبُكَ (مِظُورُهَا) طُوراً (وَنِيرُوبِهَا) طُوراً وَيُولِيكَ إِحْسَاناً (بِتَحْسِينٍ^(١))
 نَعِيمِهَا غَيْرَ مَمْنُوعٍ لَسَاكِنِهَا كَالْخُلْدِ وَالْمَنِّ فِيهَا غَيْرَ مَمْنُونٍ
 أَهْوَى مَقْرِي (بِمَقْرَى) وَالرِّيَاضُ بِهَا لِلزَّهْرِ مَا بَيْنَ تَفْوِيفٍ وَتَرْبِيعٍ
 هَاجَتْ بِلَابِلُ قَلْبِي الْمُسْتَهَامُ بِهَا بِلَابِلُ الْأَيْكَ غَنَّتْنَا بِتَلْحِينِ
 تَنَلُّو (بَسْطَرَا) أَسَاطِيرَ الْغَرَامِ عَلَى صَوَامِعِ الدُّوْحِ وَرُقٍ كَالرَّهَابِينِ
 قَمَرِيهَا مَقْرِيٌّ يَشْدُو بِنَغْمَتِهِ آيَا يَعْلَمُهَا مِنْ غَيْرِ تَلْحِينِ
 وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ :

حَرَسْتُمَا فِي (حَرَسْتَا) الْعَيْشَ مِنْ شَغْفٍ دُومَا (بِدُومَا) عَلَى حِفْظِ الْقَوَانِينِ
 وَلَا بِنِ مَنْقَذِ الْكِنَانِي فِي وَصْفِ دِمَشْقٍ حَاضِرَةِ الْغَزْوَةِ الْكُبْرَى وَمَا إِلَيْهَا قَصِيدَةُ
 مَطْوَلَةٍ جَمَعَ بِهَا كُلَّ الْحَاسِنِ وَمِمَّا قَالَ فِيهَا :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الْمَنَازِلِ مَعْرُضاً عَنْهَا قَضَى لَكَ حَسَنُهَا إِنْ تَقْبَلَا
 إِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ أَنْ تَتَمَثَّلَ إِلَّا فَرْدُوسٍ فَانْظُرْهَا تَكُنْ مِثْلَا
 وَإِذَا عَنَّانُ اللَّحْظِ أَطْلَقَهُ الْفَتَى لَمْ يَلْقَ إِلَّا جَنَّةً أَوْ جَدُولَا
 أَوْ رَوْضَةً أَوْ غَيْضَةً أَوْ قُبَّةً أَوْ بَرَكَةً أَوْ رِبْوَةً أَوْ هَيْكَلَا
 أَوْ وَادِيّاً أَوْ نَادِيّاً أَوْ مَلْعَبَا أَوْ مَذْنَباً أَوْ مَجْدَلَا أَوْ مَوْثَلَا
 أَوْ شَارِعاً يَزْهُو بِرَبْعٍ قَدْ غَدَا فِيهِ الرِّخَامُ مَجْزَعاً وَمَفْصَلَا
 وَفَوَاصِكَ مَتَخَالِفٍ أَصْنَافُهَا مِمَّا يَشُوقُكَ مَطْعَمًا وَتَأْمَلَا
 مَصْفَرٍ تَفَاحٍ يَدَا بَيْفٍ أَحْمَرٍ يَحْكِي الْمَحَبَّ أَيْ الْحَبِيبِ مَقْبَلَا
 وَالْوَرْدُ مِثْلُ الْخَدِّ يَمْلُوهُ مِنْ أَلْوَانٍ صَدَغَ شَعْرُهُ قَدْ رَجَلَا
 وَبَنَفْسٍ كَنَفَاضَةٍ مِنْ أَثْمَدٍ تَبْدِيهِ أَجْفَانُ الْبُكَاءِ تَذَلَّلَا
 وَتَحَالُ نُورُ الْبَاقِلَاءِ إِذَا بَدَا لِلْوَاحِظِ الْأَبْصَارُ طَرَفًا أَحْوَلَا

(١) لم نعرف قرية أو مئتمنة بهذا الاسم -

نشرت مطارفه وجاءك نشرها فحسبتها وشيئا تارج مندلا
 ويهز مرئ نسيمها أشجارها فخال غادات تشكت إفكلا^(١)
 وعلت غصون خلافة حمرة وهفت بها ريح فضاقت مشعلا
 واذا البلابل اسمعت ترجيعها السالي تراجع وجدده متبللا
 ومتي هوى ورق الغصون وجدته ذهباً وكان زمرداً لما علا
 وكان واديهما قراب اخضر يستل من بردى حساماً منصلا^(٢)
 وقال ابن معنن وهو بالهند يتشوق الى دمشق وغوطتها

حنين الى الأوطان ليس يزول وقلب عن الأشواق ليس يحول
 الى أن قال :

كان الثريا غرة وهواهم له من وميض الشرابين مجول
 ألا ليت شعري هل ايتن ليلة وظلك (يا مقرى) علي ظليل
 وهل أريني بعد ماشطت النوى ولي في ذرى روض هناك مقيل
 دمشق فلي شوق اليها مبرح وإن لجّ واش أو ألح عذول
 بلاد بها الحصباء در وترهها عبير وانقاس الشمال شمول
 تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصح نسيم الروض وهو عليل
 فياحبذا الروض الذي دون (عزنا) سميراً اذا هبت عليه قبول
 ويا حبذا الوادي اذا ما تدفقت جداول (باناس) اليه تسيل
 وفي كبدي من (قاسيون) حرارة تزول رواسبه وليس تزول
 اذا لاح برق من (سنير) تدافعت بسحب جفوتي في الحدود سيول
 فله أياي وغصن الصبا بها وربق واذا وجه الزمان صقيل

وعزنا او عزنة قرية من نواحي وادي بردى ربما كانت قرب الفيحة ، وقد

(١) الرعدة من الخوف أو البرد (٢) حسام متصل يخرج من قرابه . [٥]

أكثر الشاعر من ذكرها في ديوانه ، ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار:
 ان عين الفيحة تخرج من مكان تحت حصن عزتا فلعلها هي التي يتغزل بها الشاعر .
 وقال : في روضة (بالنيربين) أريضة رضعت أفاريق السحاب حَفَلًا
 أنى اتجهت رأيت ماءً ساجحاً متدفقاً او يانعاً متهدلاً
 وكأنما أطيارها وغصونها نغم القيات على عرائس تجلى
 وكأنما الجوزاء ألفت زهرها فيها وأرسلت الهجرة جدولا
 ويمر معتل النسيم بروضها فتخال عطاراً يحرق مندلا
 وقال فتيان الشاغوري يصف أصول أنهار دمشق ويستفتح بـردى ، وهو من
 أهل القرن السابع :

كأن طيور الماء فيه عرائس مجلين على شاطئه خضر الغلائل
 اذا كرعت فيه تيقنت أنها تزق فراخاً وهي زغب الحواصل
 وكم سمك فيه عليه جواشن من التبر صيغت وهو بادي المقاتل
 جريح بأطراف الحصا نحريره أنين له من جس تلك الجنادل
 اذا قابل النهر الدجى بنجومه أرانا بقعر الماء ضوء المشاعل
 تغلغل في الوادي فوافى كقينة منعمة حسناء ليست بعاطل
 فعاتقها حتى انثنت مشملة ثقل على ظهر الصفا بطن حامل

قال ياقوت وكان حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي يذكر (جلق) ويصف
 كثيراً من نواحيها ، وجلق كحصى بكسرتين مشددة اللام وكقنب دمشق او غوطتها .
 ومن أجمل ما ورد فيه اسم جلق من الشعر القديم ايات لأبي فراس طراد بن علي
 السلمي الدمشقي المتوفى سنة اربع وعشرين وخمسمائة وهي :

يانسياً هب مسكاً عبقاً هذه أنفاس رَيا (١) جلقاً

كفّ عني والهوى ما زادني برد أنفاسك إلا مُحرقاً
ليت شعري تقضت أحبابنا يا حبيب النفس ذاك الموثقاً
يا رياح الشوق سوقي نحوهم عارضاً من سحب عيني غدقاً
واثرى عقد دموع طالما كان منظوماً بأيام اللقا

ذكر الصلاح الكتبي ان هذه الايات اشتهرت وغنى بها المغنون ، وروي عن بعضهم انه مرّ يوماً ببعض شوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة محولتها تفاح فتحي من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فأكثر التلفت لها ، وكانت امامه امرأة ، ففطنت لما داخله من الاعجاب بتلك الرائحة فأومأت اليه وقالت : هذه أنفاس ريا جلقا .

ومن قصيدة وازن بها عرقلة قصيدة أبي نواس (أجارة بيتينا أبوك غيور) مدح بها صلاح الدين يوسف بن أيوب وقصده بها الى مصر كما فعل أبو نواس في قصيدة الخصيب جاء فيها .

عسى من ديار الظاعنين بشير ومن جور أيام الفراق مجير
لقد عيل صبري بعدهم وتكاثر همومي ولكن الحب صبور
وكم بين اكناف (الثغور) متيم كتيب غزته أعين وثغور
وكم ليلة (بالمأطرون) قطعتها ويوم الى (الميطور) وهو مطير
سقى الله من (مطرا) و (مقرا) منازلها بها للندامي نضرة وسرور
ولا زال ظل (النيرين) فانه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا (بردى) لا زال مأوك بارداً وماء الحيا من حائك غير
أبى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور
وقال عرقلة أيضاً :

أما دمشق فجنات متخرفة للطلالين بها الولدان والحدود

ما صاح فيها على أوتاره قر
يا حبذا ودروع الماء تنسجها
إلا وغناه قمرى وشحرور
أنامل الريح إلا أنها زور
وقال :

تورق ورق الغوطتين لو احظي
أحبابنا ان كنتم قد عزمتمو
وينحل جسمي حب غزلان (جامس) (١)
على البعد من أطلالكم والمعالم
ولا تبعثوا طيفاً الى غير نائم
وقال :

دمشق حيث من حي ومن نادي
يا رائحاً غادياً عراج على بردى
وحبذا حبذا واديك من وادي
وخلني وحديث الراح الغادي
كم قد شربت به من ماء دالية
في جنب ساقية من كف ساقية
لها بعيني اذ ماست معاطفها
جمال مياسة في عين مقدار

وقال ابن اللحيان الموصلية من قصيدة

نشوى تغنى لها ورق الحمام على
صفى لها الشرب فاخضرت أسافلها
أوراقها ويد الأنواء تسقيها
حتى ضفا الظل وايضت أعاليها
وصفق النهر والاعضان قد رقصت
كأنما رقصها أوهى قلائدها
واعين الماء قد أجرت سواقفها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت
أقارها فأجابتها قماريها
ومنها :

سما دوح ترد الشمس صاغرة
تري البدور بها في كل ناحية
عنا وتبدي نجوماً في نواحيها
ممدودة للنجوم الزهر ايديها

(١) جامس من قري حوران ينسب إليها أبو تمام الشاعر العظيم .

إذا الغصون هنزناها لنيل جنى صارت كواكبها حصباء ارضها

من كل صفراء مثل الماء يانعة تتخالها جمر نار في تلمظها

وقال عين بصل الحراني من قصيدة :

أما ترى الأرض اذ أبكى السحاب بها أذاها ضحكت اذ جاء نيسان^١

والزهر كالزهر حياه الحيا فبدت في الروض منه الى الأبصار ألوان

زمرت قصب فيها مركبة جواهر وبقايت ومرجان

كأنما الورد خد الحب حين غدا له العذار سياجاً وهو ربحان

كأن مشورها اذ لاح مبتسماً جيش من الروم بانت منه صلبان

كأنما البان اهدى المسك حين بدا فطر الكون لما أورق البان

كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى من الرباض فكل الكون نشوان

كأنما حمرة التفاح خد رشا لي في هواه عن السلوان سلوان

كأن نارنجها نار وباطنه ثلج وفيه لجين وهو عقيان

والطير تطرب بالعيدان تغتمها ما ليس يطرب بالأوتار عيدان

أبدت فنوناً فأنت صبر سامعها بالنوح اذ حملتها فيه افنان

بلا بل هيبت منا بلا بلنا وهاج منا صبايات واشجان

وقال محمد الدين الاربلي يتشوق الى دمشق من قصيدة :

مواطن فيها [السهم] سهمي فكلنا نحث مطايا اللهو فيه ونعشق

كلا جانبيه معلم بمجمد من الماء في اطلاله يتدفق

اذا الشمس حلت بينه فهو مذهب وان حجبته دوحه فهو أزرق

وان فزع الأوراق جادت بنورها قرّم^(١) أجادته الاكف منق

أطل عليه قاسيون كأنه غمام على او لغام معلق

(١) الرّم ضرب مخطط من الوشي او الخرز او البرود

تسافر عنه الشمس قبل غروبها وترجف اجلالاً له حين تشرق
وتصفر من قبل الأصيل كأنها محب من البين المشتت مشفق
وفي (النيرب) المرموق للبر سالب من النظر الزاهي وللبر مونق؟
بدائع من صنع القديم ومحدث تألق فيه المحدث المتألق
رياض كوشي البرد تزهر بحسنها جداولها والنور بالماء يشرق
فمن نرجس يخشى فراق فريقه توى الدمع في أجفانه يترقرق
ومن كل ريجات مقيم وزائل تضاعف رياه الرياح فيعقب
كأن قدود السرو فيه موائساً قدود عذارى ميلها يترقرق
إذا ما تداعت للتعانق صدها عيون من النور المفتوح ترمق
وقصر بكل الطرف عنه كأنه الى النسر نسر في السماء محلق
زها يديع الوشي حسناً كأنما مدبج روض في نواحيه ملصق
وكم جدول جار يطارد جدولاً وكم جوسق عال يوازيه جوسق
وكم بركة فيه تضاحك بركة وكم قسطل في الماء الماء يدفق
وكم منزل يغشى العيون كأنما تألق فيه بازق يتألق
وفي (الربوة) السماء للقلب جاذب وللسمع اصمات وللعين مرمق
فهام بها الوادي قفاضت عيونه فكل قرار منه بالدمع يملق
تكفل نمن دون الجداول شربها (يزيد) يصفيه لها ويضفق
إذا أشرف الولدان من شرفاتها رأيت بدوراً في بروج تألق
وفي (يردى) معنى يشوق ومنظر يروق ومأوى للسرور ومطرق
إذا أنت من أعلاه أشرفت ناظراً تحيل عنان الطرف فيه وتطلق
رأيت به فجراً من الدوح مزبدأ وغدرانه خيثانه منه ترمق
تميل مع الأفتاب فيه كأنها تشاوي يوماً دار الرحيق المعتق

وتعطف اعطاف الفصون حمامة اذا ما تغنت والغدير يصفق
وتجتمع فيه كل حسن مفرق وشمل الأسي عن حاضريه مفرق
كأن رياض الفوطتين جنوده يقسم فيها جوده ويفرق
وهكذا اجاد وأطال وذكر المزة وسطرا ومقرا ويبت ايات وجسرين
وتل راهط وبعض شوارع دمشق وجامعها توفي سنة ٦٩٧
وقال ابن الصائغ العروضي (٧٢٢ هـ) يتشوق الى عاصمة الفوطة ايضاً ويذكر
أرياضها ورباضها بدأها بقوله :

لي نحو ربك دائماً باجلق شوق أكاد به جوى أتمرق
الى ان قال مخاطباً دمشق :

ولكم أحدث عنك من لاقيته وجميع من سمع الحديث يصدق
والأرض في عرض وطول دائماً لم يحو مثلك غربتها والمشرق
لله (وادي النيربين) وظله لا (الرقتين او(رامة)و(الأبرق))^(١)
وسقى ديار (الصالحية) وابل يهي على تلك المنازل مغدق
و (السهم) ما اقترت ثغور أفاحه الا ودمع صحابه يترفرق
كم فيه من قصر منيف مشرف يبدو به قمر منير مشرق
(ويبت لها) لا تعداد الحيا طلل عليه من النضارة رونق
هو منزل آثارة مشهورة ولأهله عهد علي وموثق
وحباك يا أطلال (جوهر) واصل غيث مربع مستهل مشفق
لله سرحة^(٢) ذلك الربع الذي قلبي يهيم به وذلك الجولق^(٣)

(١) الأبرق في اللغة والبرقاء حجارة ورمل مختلطة وكذلك البرقة وهي عدة اماكن تصاف الى
امكنة أخرى . ورامة منزل بينه وبين الرامة ليلة في طريق البصرة الى مكة وفيها جاء النمل : تسألني
يرامتين سلجاً . والرقتان ثنية الرقة وهو مجتمع الماء في الوادي والرقتان رومتان احداهما قرية من
البصرة والأخرى بنجد .

(٢) البرج شجر عظام او كل شجر لا شوك فيه او كل شجر طال (الجاموس) . (٣) الشوك

والوادي الشرقي لا يرحت به ديم تسح ووبلها يتدفق
 فغياضه ورياضه كعيونه هذا يعوم به وهذا يفرق
 ولكم قطعت به زماناً لم أزل أشتاقه مادمت حياً أرزق
 في سكر (زبدین) الى (جسرین) كم حيا الحيا حياً عليه رونق
 فالواديان كلاهما الغربي والشرقي تزهة من يرفق يرمق
 أنى اتجهت رأيت دوحاً مأؤه متسلسل يعلو عليه جوسق
 و (القصر) و (الشرفان) و (الشقراء) و (الميدان) عشقاً للذي لا يعشق
 فلكم حوت تلك المنازل صورة فيها الجمال مجمع ومفرق
 فمخضب ومؤزر ومعم ومنزر ومبرقع ومقرطق
 كم من غزال بالنفوس متوج وقضيب بان بالعيون ممنطق
 والريح تكتب والجداول أسطر خط له نسخ الريح محقق
 والطير يقرأ والنسيم مردد والغصن يرقص والغدير مصفق
 ومعاطف الأغصان أثنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مورق
 وكأن زهر اللوز أحداق الى الزوار من خلل النصوص تحديق
 وكأن أشجار الرياض مرادق في ظلها من كل لون ثمرق^(١)
 والورد بالألوان يخلو منظراً ونسيمه عطر كسك يعبق
 فلباب منها تهيج بلابلاً وكذلك أثواب الشقيق تشقق
 وهزاره يصبر الى شحوره ويجاوب القمرى فيه مطوق
 وكأنما في كل عود صادح عود حلا مزموه والمطلق
 والورق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الخلي الموثق
 تتلو على الأغصان اخبار الهوى فيكاد ساكن كل شيء ينطق

(١) الثمرق والتمرقه مثلثة الومادة الصغيرة والتمرقه بالكسر من السحاب ما كان بينه فتوق

ومن أجل ما يروى في ادب الغوطة قصيدة عبد المتعم الجلياني الأندلسي شاعر
صلاح الدين ، وكان نظم فيه عشرة دواوين قال :

عهد ليلي وما ضمت ليلها	أهدت جديد صباباتي بوالها
لا نقدحي في ضنا جسمي معاتبة	فشعل أعضائه الأنفاس توربها
أيام جلق والأهواء مسعدة	ونضرة العيش تنهيا مباديها
في الغوطة الغبطة الممدود نعمة	أرواح جنة عدن في نواحيها
جلنا بأعطافها نرعي نواظرننا :	منادحاً يزغ الأوصاب زاهيها
حتى استقلت بنا وخادة رُمم	مضمرات غايظ قلب حاديها
يفري المهامه مما استصرخت قرناً	أجاب داعيها أو خاب راعيها
بطاويات الفلا ثقلاً حقائبها	وراميات الدجى خفاً هواديها
كان من بمطاهها في ذرى قزح	في كفه النسق الشامي بثنيها
إذا وخن فما تنهاز أرجلها	وان زملن فما تمتاز أيديها
شتى المطالب جمع في مساريها	قصوى المنازل دنيا في مساريها
وردن مصر فأبقت من تذكرها	دمشق ناراً نواربها فنوربها
ويومنا والمنى تعطي أعتيها	طوع القياد وتجنبي حب جانيها
والمرج كالعين والأنهار ادمعها	وظل شجرائها جفن بغشيها
كانه ثبج ^(١) يحوي زمردة	أو طرف زرقاء مكحول مآقيها
للطرف والطرف في ميدانه نزهة	تأتي النفوس له مرضى فيشفيها
ترخي الضحى والعشايا وسطه عذبا	تعلم الظهيرة فوضاها فتزويها
ونحن ترفل في ثني ملاءته	مقلصاً ذيلها طوراً ومضفيها
أنسينا ذات خلخال تجول به	ولا يجول ويجلوه تثنيها
شق الحياة مزاج الروح جائلة	في زووعه فمعانيه معانيها

لو لم يشق حسنهما شأقت جبلتها
تجر للدّل ذيلًا في ترقبها
وما نسيت فلا انسى عشيتنا
للآبنوس على الفيطان راصعة
وساجع غرود في يانع خضل
وقفت بين سماء بن الكواكب من
من كل زاهرة غصراء باهرة
قد فوّف الناجم النامي أسافلها
وأزهرت فبرت حسني ديايجها
وصافح الكرمة التفاح معشوقًا
والورد نجلان من ضحك البهارله
والحمل شهب بأفق القضب طالعة
كم سطرت فيه كف الصنع من حكم
من نظم مشقه في جيد مختلف
السارحون جدام في مناشرها

* * *

وليلة الربوة الشفاء معلمة
مأوى ابن مريم في مسرى سياحتها
تحفها صبعة لو سد مسربها
بكانها الحجر الملقى عصاه به
كانها درة أضفى (يزيد) لها
معينة بجبار يلتطمن بها

* * *

وصخرة المزة الغراء ناطحة قرن الغزالة في مبدا تجليها
 محلة السفح ماشيب السفوح بها بل مثل ما روتق الصبهاء ساقها
 يغذى بها القلب أنفاساً بلا كدر فلن يحل الوبا أطراف ثاويها
 ان الهواء اذا رقت مناسمه في بلدة لطفت أخلاط أهلها
 واذ كرمحى الشرف الاعلى اذا طلعت ذكاء من أفق أشجار توارىها
 ومنظراً يستبي الألباب رائعه ويشغل النفس عن أشهى أمانها
 يرنو الى بردى بنساب في برد في بردتي سندس خضر حواشيها
 تكسر الماء بلوراً وراكده كالفضة الحوق^(١) مصقول عواليها
 وحيث شئت فأشجار تمد على ال أنهار ظلاً يغشي من يوافيها
 فكل صورة أنس في منازلها وكل تزهة نفس في روايها
 لولا أمور وأرزاق مقدرة لم يرتحل عن دمشق حاضر فيها
 وقال في وصف الغوطة امير الشعراء احمد شوقي من المعاصرين من قصيدة :
 آمنت بالله واستنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
 قال الرفاق وقد هبت خمائلها الارض دار لها (الفيحاء) بستان
 جرى وصفق يلقانا بها (بردى) كما تلقاك دون الخلد رضوان
 دخلتها وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان
 والخور في (دمر) او حول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان
 و (ربوة) الواد في جلاب راقصة الساق كاسية والنحر عريان
 والطير تصدح من خلف العيون بها وللعيون كما للطير الحان
 وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوائه فهو اصباغ والوان
 وقد صفا (بردى) للريح فابتدرت لدى ستور حواشيهن افنان
 ثم انثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء أذيال وأردان

(١) الحوق من حاق النبي بمحبة : ذلك وملسه

خلفت (لبنان) جنات النعيم وما نبئت أن طريق الخلد لبنان

سيداقي سادقي

هذا ما امكن التقاطه من ادب الغوة ومن استقصى اكثر مما استقصيت
يسقط على شعر كثير في هذا الباب ربما كان ما كتب لي جناه احط مما يجنيه
الباحث اليقظ . وهذا ما عرفته مما يفيد ترداده في الغوة وخيراتها وحسناتها جعل
الله ايامكم كأيام الربيع في الغوة .

محمد كرد علي



مخطوطات ومطبوعات

تلخيص وتصحيح

رملته الوزير في انظاك الأسير

تأليف

الوزير محمد بن عبد الوهاب الغساني

[٢٨٢ صفحة بقسميه العربي والاسباني والقهارس]

مطابع الفنون المصورة ، بوسكا ١٩٤٠ العرائش (المغرب)

السلطان المظفر مولاي إسماعيل من أعظم سلاطين المغرب وأكثرهم حزمًا وعقلًا ودهاءً وضرباً في الأرض في سبيل التوسع . ببيع سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م) « فنهض بأعباء الملك وضبط الأمور بشدة وحزم فتمهدت له البلاد ودان له قريبا وبعيندها وأخذ ثورة مراکش وثورة فارس . فلما دانت له البلاد المغربية من أقصاها الى أقصاها بعد معارك وحروب طويلة واختب الأمن في الداخل وأجبر الانكناز على الانسحاب من طنجة سنة ١٦٨٤ م واسترجع العرائش من الاسبان سنة ١٦٨٩ م وضرب الحصار على سبتة ، فكر في الفتوحات الخارجية : فاستولى على تخوم السودان وبلغ فيها الى ما وراء النيل ، فانتشرت دولته وامتدت مملكته من جهة الشرق الى قرب بلاد بسكرة ونواحي تلمسان .

فهابته دول أوروبا وتسابق ملوكها وسلاطينها الى خطب وده والتقرب اليه ، فبادلهم الولاء وابرام معاهدات الصداقة وإرسال السفراء .

وكان أقربهم اليه الدولة الاسبانية فبعث الى ملكها كارلوس الثاني وزيره « محمد بن عبد الوهاب الغساني »^(١) سفيراً في أمرين هامين : تخليص الأسرى المسلمين

لدى الاسبان وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية في مختلف المكاتب الخاصة والآثار الاسلامية ، فقام الوزير بهذه الرحلة سنة ١١٠٢ هـ الموافقة سنة (١٦٩٠ - ١٦٩١ م) واستغرقت ثمانية أشهر من المحرم الى رمضان المبارك ، عاين خلالها الجليل والدقيق من أمر اسبانيا وشعبها وعاداتهم وأديانهم وأزيائهم وخيراتهم ووصف كل ذلك وصفا شائقا جذابا ولم يترك أن بنعت لنا الحالة السياسية والدولية لعصره ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي نحن بصدده .

يشعر قارئ الرحلة بلذة فائقة ، اذ استطاع الوزير الغساني ان يجعلنا على كسب مما شاهد بصدق لمحة وأمانة وسداجة فذكر الوزير المؤلف ما عاين « من مرافق الحياة والعمران والحضارة في البلاد الاسبانية وما لاحظته من عادات ذلك الشعب ومدنيته ، وما سمعه واختبره في تلك البلاد من تطور سياسة الأمم وتحويل أنظمة الدول ، وما لقيه من الإكرام والاحترام وحسن الضيافة ، وما عمله لتوطيد الصلات وتبادل المصالح المشتركة وتأمين حسن الجوار بين إسبانيا والمغرب وأبرام المعاهدات بين ملوك الدولتين العظيمتين ، فقد أتحفنا الوزير بملاحظات دقيقة واستنتاجات قيمة ورسم لنا صورة معصرة طبيعية عن اسبانيا في عهد كارلوس الثاني ربما كانت من اقرب الرسوم الى الحقيقة وأفضل ما كتب عن اسبانيا في ذلك الزمن .

وقد بين المؤلف من ناحية أخرى ما كان للمغرب من عظمة ومجد وسؤدد . وما كان لسلطينه العظماء من جلال الملك والأبهة والشهرة الواسعة ، وما كان عليه مولاي اسماعيل من دهاء وحزم وعظمة وبطش وقوة وسعة ملك ، وما كان له من فضل عظيم ونسبي مشكور في اقتكائه ما بقي من أسارى المسلمين بإسبانيا ، وجلب كل الوسائل الفعالة التي تؤدي الى ما فيه عظمة الإمبراطورية المغربية وخيرها » (١)

وقد يعجب القارئ من دقة ملاحظته حين يسجل من التفاصيل كل ما هو

ذومغزى فقد عرفنا منه ان الاسبان على عهده كان لهم سوق عامة خب في فسيح من الأرض يقوم موسمها خمسة عشر يوماً في السنة (ص ٣٥) على مثل ما كان عليه العرب في جاهليتهم وصدر اسلامهم ، وأن من (الاكليريكيين) من يختصي لتحسين الصوت وترقيقه (ص ٣٦) ، وأن القوم كانوا يرتعون في بجوحة من غنى مستفيض عقب استيلائهم على أمريكا فترفعوا عن التجارة والتغرب والمهن وصار اكثر من يقوم بذلك عندهم نزلاء فرنسيين لأن بلادهم كانت ضيقة المعاش (ص ٤٤) ، ونرى (ص ٤٦-٥٦) معلومات طريفة عن أولية البيت المالك في اسبانيا ، ولم ينس أن يفيدنا عن سبب بناء الإسكوريال (ص ٤٨) ، ولا أن يصف لنا نظام تولية البابا ص ٦٧ ولا تصوير الاتزلاق على الجليد تصويراً لاذاً (ص ٥٩) ، كما لم ينس نعت مقابله لملك اسبانيا ووصفه ونعت قصره وحاشيته وطراز حياته ولا الساحة العامة في مدريد ولا مصارعة الثيران ، ولا المشافي (البيمارستانات) وعنايتهم بالمرضى الخ . ثم لم ينهل ان يطلعنا على اهتمام القوم بالأخبار الخارجية فقد عرف من منشوراتهم [جرائدهم] (ص ٧٩) أخبار السلطان سليمان القانوني وحربه مع امبراطور المانيا وازماعة حصار ويانه . كما عرفنا كثيراً عن التاريخ الدولي إذ ذاك وأيقنا بأن الوزير المؤلف خبير بعلاقات الدول دارس لتاريخهم درساً جيداً ، علم بشؤون عصره وتفاصيل الحوادث ، فهو رجل دولة .

ويكاد ما ذكره ص ٨٣-٨٥ عن عاداتهم في الميراث وحوادثهم فيه ودقائق اموره سواء كان الموروث لقباً او مالاً أو عقاراً . . . يكون نظاماً كاملاً في الإرث . . . وما يدل على فطنته وبعد نظره انه تكهن بوراثة امير فرنسي لعرش اسبانيا قبل حرب الوراثة الاسبانية وترشيح فيليب أنجو للعرش (ص ٨٥) وكان دقيقاً جداً حين علل شروع الاسبان بعلم الفرنسية الى آخر ما في الرحلة من فوائد . . . واذيل كتابه بفصل ممتع عن دخول العرب للأندلس وأحداثها الأولى

وعرفنا أنه دخلها رجل واحد فقط من أصغر الصحابة مع موسى بن نصير اسمه المنذر الإفريقي وساق حديثاً عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يبعث على الإعجاب العظيم في هذا الفصل ويشير في العربي بل في كل إنسان أنبل الشعور وأسمى العواطف ما ذكره ص ١١٥ من عادة خلفاء بني أمية بدمشق من أنهم « إذا وردت عليهم الجبايات استقدموا مع جباية كل موضع عشرة رجال من وجوه رجاله وخيارهم فلا يدخل بيت المال من الجباية لا دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا إله إلا هو : ما فيها دينار ولا درهم أخذ إلا بحقه ، وأنه فضل أعطيات أهل البلد من العيال والذرية !! »

الحق أن الحضارة تحتاج إلى قرون كثيرة حتى تسمو إلى فهم الإسلام والمسلمين

* * *

وبعد فهل علي من حرج إذا أنا أثبتت على المؤسسة التي تعنى باخراج مثل هذه الكتب ونبشها من قبورها فتضيف الى تاريخنا صفحات مجيدة ، وإذا خصصت بشكري الأستاذ الفريد البستاني الذي توفر — على قدر طاقته — على نشره كتابنا بهذه الحلة . وأرى من تمام شكري لهذا السيد أن الفقه إلى أمور لا يجهلها في أصول نشر المخطوطات منها :

١ - أننا لم نعرف قيمة المخطوطات الثلاث التي اعتمد عليها ، ولا تاريخ كتابتها ومن الواجب أن ينشر صورة فتوغرافية لأول صفحة وآخر صفحة منها .
٢ - الكتاب يكاد يكون حديثاً واحداً غير متميز الأجزاء ، ومن أول واجب الناشر أن ينبه ليستريح القراء عند أول كل موضوع جديد . والكتاب ١٢٠ صفحة لم يذكر الناشر الواجب عليه إلا في نحو خمس صفحات .

٣ - نعيد هنا ما لاحظنا عليه في كتاب آخر وهو أن الفهارس قليلة العناية لأنها لا تخضع لترتيب ما فلا هي مرتبة على الحروف العربية ولا الألفبائية ولا على ترتيب القدم في الزمن . وتريد هنا أن أهم الفهارس التي على المؤلف إثباتها ولا يستغنى عنه قط وهو فهرست الموضوعات ، قد أهمله الناشر إهمالاً تاماً وصار الذي

يريد ان يرجع الى حادثة في الكتاب مضطر الى اعادة قراءته من أوله حتى يظفر بضالته وهذا عيب في النشر كبير .

٤ - هناك بعض جمل غامضة أو محرفة لم يجتهد الناشر في معرفة صوابها ولم يشر الى استشكاله اياها : كقوله : ص ١ « وتصرفه الكلية بالبيض المحامي » وتقديره ما أنفق على منبر جامع قرطبة بـ (٥٣٥) دينار فإن الصواب فيه ما ذكر في حاشيته ص ٢٢ وهو (١٥٣٥) دينار وللناشر ان يستصوب ٤ وقوله ص ٢٧ « والمتجالات » لم تفهم المقصود منها فاما أن تكون محرفة واما ان يكون لها معنى يحلي على الناشر ان يوضحه . ونرجح ان هناك خروفاً بعد السطر الثامن عشر ص ٩٥ لأن الجملة ناقصة . وقوله ص ٩١ الرجل الى مدجرة الماء متبعوه ، وص ٩٨ (قنايط وحجاب كيبير ؟) مما لم تفهمه

٥ - ملاحظة الناشر ص ٣ أن المؤلف مخط بين طارق بن زياد وطريف بن مالك غير صحيحة ابدأ وكل ما في الأمر ان الناسخ أخطأ فكتب طارقاً وهو يريد طريفاً وذلك في صفحتي ٧٤٥ بدليل ان الكلمة في مخطوطة بني بوزين (رقم ٢) جاءت صواباً (انظر ص ٥) . فلي من يقدم على تخطئة المؤلفين ان يثبت ويتروى طويلاً .

٦ - وجدت في الكتاب هذه الجمل الملحونة : « ص ٢٤ يزعمونه النصاري ، ص ٢٥ يتولونها بقايا ص ٢٧ يحطن به اربعة عجائز ، ٢٩ طلبوا أهل ص ٨٦ لا يقدرين أهل الصليب ، ٩٦ ما يلقونه عليهم معلوم ، فلم يفهموه جميع النصاري ، ٩٩ العشر كلمات ، يسمع لهم (أنيئة التواقيس) صوت ، ١٠٠ خمس طواغي ، مسجد طليطلة وقرطبة وإشبيلية الشهيري الذكر ، ١٠٦ كل ناقوس منها ست وثلاثين شبراً » وظاهر أن جمع الضمير في الجمل الثلاث الأولى لغة ضعيفة وكذلك في (ص ٦٢ ويأتون بهم ويدخل اليهم) يقصد الثيران) و ٦٤ و ٦٦ الخ

وان الصواب في الرابعة : العشر الكلمات ، وان ضمير الذكور العقلاء في الخامسة

خطأ وكذلك الصواب في الشهري : الشهيرة أو المشهورة لأنها صفة مالا يعقل ، والصواب أيضاً ان يقول : خمسة طواغي ، وستة وثلاثون شبراً . هن غلطات ست يستطيع الانسان أن يحملها المؤلف كما يستطيع ان يجعل اكثرها من تحريف الناسخين وهو ما أجزم به ، وكيفما كان فليس من السائع أصلاً ان يقول الناشر : « أما الرحلة فانشاؤها مضطرب وتعابيرها ركيكة تظهر عامية أحياناً » ^(١) والصحيح أن لغة الرحلة سلسة صحيحة لا عامية فيها ولا ركاكة ، بل الإنشاء قوي متين كما احس به المستشرق الفرنسي البحاثه هنري بيرس ^(٢) على أعجميته . وجودة الوصف والإنشاء في الرحلة مما لا ينبغي - كان - أن يخفى على احد .

٧ - حذف الناشر ثلاث صفحات من الرحلة وصف فيها المؤلف « بصورة مشوهة ارتداد (شاوول) بولس الرسول وتكلم عن اعمال الرسل الانجيليين ، وتعرض الى سرتجيد المسيح والى سلطة البابا الروحية وما يسنه من الشرائع والاحكام ، وذكر بعض مناظراته مع الرهبان في مدريد وتكلم عن طريقة الرهبان والكهنة في استعمالهم سر الاعتراف وأورد بعض أخبار ملفقة لا فائدة من ذكرها » ^(٣) واكاد أقول ان هذا الحذف جريمة شنعاء في قانون النشر وتساهل في الأمانة العلمية . هذا وليس على الناشر من اداء الامانة حرج في دينه ، فان أبت عاطفته الا التنفيس فان الاصول المتبعة تبيح له التعليق والرد بعد اثبات النص بحذافيره . وعلى كل فان هذه الرحلة ببراء بسبب فعلة الناشر فقد حرمتنا الاستمتاع برأي مشاهد مخالف . وغريب جداً ان يقول مع ذلك ص 2 : « فقد توخينا الامانة والصدق في النشر والترجمة محافظة على قيمة اصول المخطوط التاريخية » والعلم لا يجد في عمله هذا امانة . ولا محافظة على قيمة الاصول التاريخية

٨ - على الناشر ان يتجنب ما يمكن الجمل المبهلة التي لا طائل تحتها من مثل

قوله ص 7 : «وينما نحن في معترك البحث وميدان الدرس فوق مائدة التشريح في المختبر العقلي نحلل مقاييس ومقادير عقدة هذه القضية الخ»
وأن يعتني بدرس قواعد لغته العربية فإن العمل الذي يمارسه يتطلب ذلك كما ستري .

٩ — قيمة الرحلة ونفاستها وجلال الموضوعات التي عالجتها ، كل ذلك يوجب علينا ان نثبت الاغلاط التي انتبهنا اليها وهي كثيرة جداً وغالبها من البدائء التي لا يجوز جهلها ابداً واني لأرجو ثانية [بكل حرارة] من السيد البستاني ان يتقن لغته ويدرس قواعد ما يعرض أعماله على من هو أخبر منه فيها فإن هذه الجريدة من الأغلاط في [١٢٠] صفحة إحدى الكبر في هذا العصر :

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
5	واستلاء الفرنسيون: واستيلاء الفرنسيين	التي وضعناه	١٠	المقصودين	المقصودات او المقصودة
٢	هاتك	التي وضعناها	١١	الدار الذي	الدار التي
٣	مبدي	هاتيك	١٤	واعنقاداتهم	الجو
	دُعي	مبدأ	١٥	قتشير	واعنقاداتهم
	١١٥ = افزى	دعا	١٨	وسبعة	فتشير
٤	فاطمين	فغزا	٢٠	كسى	وسبع
٥	وقع هذا	فاطآن		شمط	كسا
٦	لملاقنا	ومع هذا	٢١	أيمحوا	شمط
	ثلاث مراكب	لملاقنا		هام	أيمحو
٧	للملاقات	ثلاثة مراكب		المراعات والمحابات	رام
		للملاقاة [١١٤١٠٤٨]		جذبت ضيفي	المراعاة والمحاباة
		١٧٤١٨٤٣٦٤٣٩ الخ]		جذبت ضيفي	جذبت ضيفي
٩	دار	داراً		زاد	زادني

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
٢٢	مصدفين	مصفدين	٤١	بتهي	يتها
	العظيم أثر	عظيم أثر		كملت الاثنى عشر	كل الاثنا عشر
	تزهت المشتاق	تزهة المشتاق	٤٢	ورجلاً	ورجالاً
٢٣	القناطير	القناطر	٤٤	سينين	سنين
٢٥	المنذر	المنذر	٥٢	للاختلاطهم	لاختلاطهم
٢٧	اربعة عجائز	اربع عجائز	٥٤	ألزاموا	ألزمو
٢٨	ذي	ذوي		احسن ومن	احسن من
	ابنة عشرون	ابنة عشرين	٥٥	سنة وعشرين سنة	ست وعشرين سنة
٢٩=٨٤	الغير	غيرهم	٥٦	علم	علام
٣٠	اناس ذو	أناس ذوو		اربعة عشر سنة	اربعة عشرة سنة
٣١	ثلاثة مسافات	ثلاث مسافات	٥٧	ذلك	ذلك
	في كذلك	كذلك	٥٩	الاخيرين	الاخرين
	ونساءهم	ونسائهم		عصى	عصا
٣٢	ليس	فليس	٦٠	بلادنا	في بلادنا
٣٣	آخرأ	آخر	٦٣	حضرت عند	حضرت عيداً
٣٦	منتقات	منتقاء		ليراه الناس ويعرفونه	ويعرفوه
	يستحسنوها	يستحسنونها	٦٤	كنائسا	كنائس
	وله سنين	وله سنون		عجائزاً	=
٣٧	ليعصرونه	ليعصروه	٦٧	آخرأ	آخر
٤٠	يسكونونها	يسكنونها	٦٩	ولم يتولى	ولم يتول
٦٩=٨٦٤٨٢	تزوجها	تزوجها		ابنت	ابنة
			٧٠	فال	فقال
				فأغلقها	فأغلقه

ص	الخطأ	الصواب	ص	الخطأ	الصواب
٧١	ابدلوا	ابدلوه	٩٣	بالسان	باللسان
مبلغه اثني عشر	مبلغ اثني عشر (او مبلغه	٩٤	تجد	تجد	تجد
اثنا عشر)	٩٥	ثلاث ابواب	ثلاثة ابواب	٩٧	الستة واربعين
ونساءهم	ونسائهم	٩٧	الستة واربعين	زنته	زنته
٧٢	والردا	والردى	اربعة عشر مدرسة	اربعة عشر مدرسة	٩٨
٧٣	الشنان	الشان	تسمع اصوات	تسمع اصواتاً	١٠٠
٧٤	بد حرب	من حرب	١٠٠	يمت	يموت
٧٥	تدعوني	تدعونني	إذا	إذا	١٠١
٧٦	مرعمين	مرمعين	١٠١	داره الذي	داره التي
٧٨	ست مائة داراً	ستمائة دار	١٠٣	نرجوا	نرجو
٨١	أخلا	أخلى	١٠٣	نقضوه	نقضيه
٨٣	ولداً ذكر	ولداً ذكراً	١٠٤	في بناءه	في بنائه
يرثه	يرثها	١٠٦	ثلاثة ارباع الذراع	ثلاثة ارباع الذراع	١٠٨
٨٤	يتواعدون	يتواعدون	١٠٨	بالهباء	بالهبات
٨٥	مبالاة	مبالاة	١١٠	بأكثره من	بأكثر من
٨٧	الكذائسي	الكنسي	١١٥	قريث	قرئت
٨٨	ممزجاً	ممزوجاً	١١٦	المعنى ؟	١١٧
٩٠	معد	معداً	١١٧	خجاسة ؟	١١٨
يدعوا	يدعو	١١٨	للسيله	للسيله	١١٩
تناوله	تناوله	١١٩	الشي	الشي	١٢٠
الستة	الستة	١٢٠	تغسل له	تغسل لي	١٢١
٩١	تغسل له	تغسل لي	١٢١	تغسل لي	١٢٢

هذا وقد احسن الناشر بترجمته ترجمة موجزة الأعلام الواردة في مقدمته وفي الكتاب باللغتين العربية والاسبانية . وآسف لجهلي الاسبانية وحرمان القراء من إطلاعهم على قيمة الترجمة ودقتها .

وأتمنى في الختام لهذه المؤسسة اطراد التوفيق وللناشر الفاضل زيادة الاطلاع على مبادئ لغته وترقيه في خدمتها ، وإذا نهته بدقة الاخراج كما هنأناه هنا بالايخراج ، ولا ننكر ان مهمته شاقة ولكن همته الصادقة كفيلة بالتغلب على الصعاب فله منا — إذا فعل الشكر — والتحية والتقدير

سعيد الازغاني

— 3000 —

المواقفة بين اهل البيت والصحابة

هذا سفر جميل لمؤلفه الحافظ ابي سعيد اسماعيل بن علي بن زنجويه الرازي السمان المتوفى سنة ٤٤٥ هـ اختصره العلامة جارا الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وحذف منه الاسانيد والمكررات . ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال ابن زنجويه بقوله انه صدوق لكنه معتزلي جلد . وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان و اشار الى من اخذ العلم عنهم وقال ان له تصانيف وحفظاً وأشعاراً ورحلة كبيرة ومشايخ يجاوزون ثلاثة آلاف . ونقل عنه ابو الحسين المطهر ابن محمد بن علي العلوي بالري قال : سمعت أبا سعيد السمان إمام المعتزلة يقول : «من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بمجلاوة الاسلام» وقال فيه إنه كان من الحفاظ الكبار ، وكان فيه زهد وورع ولم يتأهل ، وله تفسير في عشر مجلدات وسفينة النجاة في الإمامة وغير ذلك .

ذكر صاحب المواقفة كيف أحب الصحابة بعضهم بعضاً ، وما قال بعضهم في

وصف بعض ، وخصوصاً الخلفاء الراشدين ، ورأينا فيه أن علياً يُعلي مقام أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر وعمر يعرفان لعل مقامه ، ومشاهدته وفضله وقرابته ، ويعليان أبدأ قدره . وفي هذا الكتاب مقتل عمر بن الخطاب ومحضر الشورى وما قيل فيها ووصف بكاء الأمة يوم وفاة أبي بكر وموت عثمان ، وفيه خطب بليغة وكلمات بارعة نقل بعضها رجال التاريخ والأدب ، وبعضها مما رواه الباقلاني في اعجاز القرائن مثل خطبة علي في تأيين أبي بكر . وفيه حوار طويل وخطب لعل عن سويد بن غفلة ، وهو من صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً من التابعين ، في الرد على من تنقصوا أبا بكر وعمر ، وقول علي في الشينين انهما أخوا رسول الله ووزيراؤه قائلاً : ما بال أنوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنه متنزه ومما يقولون بري ، وعلى ما يقولون معاقب ، فوالذي خلق الحبة وبرأ النسمة ، لا يحبها إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضها إلا فاجر ردي ، صحب رسول الله بالصدق والوفاء ، يأمران وينهيان ، وبما قربان فما يجاوزان فيما يقضيان ، إلى أن قال : إن أبا بكر سار سيرة رسول الله حتى قبض ثم ولي الأمر من بعده عمر بن الخطاب ، واستأمر في ذلك الناس فمنهم من رضي ومنهم من كره ، وكنت ممن رضي ، فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً ، فأقام الأمر على منهاج النبي وصاحبيه يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه .

أما أخبار الفتنة فتنة عثمان ففيها إشارات مهمة لبراءة علي كرم الله وجهه من الانغماس فيها على ما حقق المؤرخون . ومنها عن ابن ربيعة سمعت علياً يقول : والله لئن شاءت بنو أمية لأنتهمن بخمسين غلاماً من بني هاشم يملفون بالله ما قتلت عثمان ولا ملأت عليه .

وأصل هذا الكتاب في دار الكتب المصرية وهو جدير بالنشر

حول تاريخ الكهرباء

قصص العلماء والمخترعين : أخبارهم ونواديرهم ومسر نجاحهم

للمستاذ محمد عاطف البرقوقي

مفتش العلوم الطبيعية بوزارة المعارف المصرية وخريج جامعة بريستول بانكلترا

الجزء الاول عن الكهريه واللاسلكي من قداماء المصريين الى القرن العشرين

انا لا نوفي هؤلاء العلماء والمخترعين جزءاً مما ندين به لهم مهما عملنا من اجلهم تمجيداً وتخليداً فالمدينة الحاضرة والمقبله صنع أيديهم وبنات افكارهم قضوا الليالي والأيام وراء حقيقتها العلمية ييغونها في تواضع واخلاص لا ييغون في الغالب اجراً ولا شكوراً . وقد طغى تاريخ السياسة بل تاريخ الأدب على ذكر هؤلاء العلماء واخبارهم ومن رأينا ان التاريخ الجدير بالدرس والاعتبار ليس بتاريخ الدم البشري يسيل في المعارك والمجازر للاسباب الدنيا وانما هو تاريخ الفكر البشري يحمل شعلته المباركة هؤلاء العلماء المخترعون يسيرون بها في طريق الخير دوماً الى الامام .

ولهذا نستقبل خير استقبال كتاب السيد البرقوقي عن تاريخ الكهرباء واللاسلكية: وقد وفق المؤلف في سرد تاريخ الكهرباء وهو الحافل بالقيم والطريف فأتى كقصة جذابة لم يكن الشرح العلمي وهو مختصر قليل لينفر منها ، قصة حوادثها كشوف الكهرباء الخطيرة ، وكل منها عنوان عصر في حياته وتفكيره ومبلغ رقيه ، وابطالها جمهرة من اساطين العلم نكبر قدرهم لما بلغوه من شأث في كشوفهم ويزداد اكبارنا حين نطلع على الناحية الانسانية في حياتهم وجهادهم وعلى النوادر المستعجة الماثورة عنهم ، قصة تبدأ بكشوف الاقدمين على تجري المغناطيس والكهرباء وأرادها المؤلف ان تنتهي باللاسلكي المعاصر .

وفي الواقع يشعر المطالع لهذا الكتاب من الصفحات الأولى ان اللاسلكي هو الخاتمة المنتظرة والحلقة الاخيرة لسلسلة الكشف في الكهرباء «حمام الزاجل» الاتجاه الصحيح نحو اللاسلكي ، جرثومة اللاسلكي ، مفتاح اللاسلكي . . . » كأن جهود العلماء

والمخترعين من قدماء ومحدثين رمت كلها الى اللاسلكي في الحين الذي يبعد فيه تعيين ما تقوم اليه الابحاث العلمية وما سينبئ عليها في المستقبل . والكشف العلمي ، على قول فاراداي وكما اورده المؤلف ، كالطفل ساعة ولادته لا يعرف ما ينتظره في مستقبله ، والعالم في مخبره كالرائد في الأرض لا يعلم ما تنجأ له الآفاق البعيدة . لقد كان اللاسلكي نتيجة طبيعية مهمة لتقدم الكهرباء اما ان نرى فيه الهدف الأول والآخر لهذا الفرع من العلوم الذي لما تفرغ جعبته ولن تفرغ ففي ذلك اكبار لللاسلكي واهمال للحلقات اخرى بعده ذر قرنهما ولها شأنها .

ذلك اننا لم نكن لناخذ هذا على المؤلف لولا ان الأبواب الاربعة الاخيرة من الكتاب ضحيت على هامش اللاسلكي - اللاسلكي في البواخر والطائرات وفي الأمن والحروب وفي مصر مما لا علاقة كبيرة له بصلب الموضوع فأنت هذه الأبواب خير منسجمة أبداً في سويتها الثقافية وفائدتها مع الأبواب الاولى من الكتاب ، مع ان هنالك ، كما تقدم ، مادة غزيرة حول كشف كهربية قيمة - انفراغ الكهرباء في الغازات وفي الخلاء والأشعة المبهطية وتطبيقاتها ، دقائق الكهرباء من كهارب وسواها وعلاقتها بالمادة ، حقيقة الكهرباء والتموج الكهربائي ، مغناطيسي على ضوء النظريات الحديثة لم يتعرض المؤلف لها ، ولم كان من المستحب ان تملأ فراغ الأبواب المذكورة فيكون تاريخ الكهرباء تاماً حتى السنين الأخيرة .

وقد اراد المؤلف وهو على حق ، كما جاء في مقدمته ، ان يكون الكتاب مفيداً للخاص والعام ، ولكنه جاء في سويته العلمية مسائراً للعالم بل كأنه أخذ يميل الجمهور الى السهل الطريف الأخاذ مما ضيق على الايضاح العلمي المجال ولو انه رفع من مستوى الكتاب وجعله أغزر مادة لكان فيه التوجيه العلمي المبتغى . وتبدو هذه المسائرة العامة في الباب الأخير واضحة جلية : فما جاء فيه اجدر بمجلة اسبوعية للجمهور الكبير منه بكتاب علمي رفيع : « اشعة الموت » علماء بناء

وعلماء تدمير ، انتصار هؤلاء على أولئك ، انتهاء قصة الحياة . . . خلاص العالم من هذه الحياة الدنيا » . وما كنا لنريد لتاريخ الكهرباء الطلي هذه الخاتمة المفجعة : ان الفكرة العظيمة التي ينبغي عنها تاريخ العلوم هو ان العلم بريء في الأصل وسائر الى الامام دوماً ، واذا كان هنالك من تفاوت بين تقدم علوم المادة والاخلاق فهذا حديث آخر .

وكما في كل كتاب علمي تبرز معضلة المصطلحات العلمية العربية الى العيان والمؤلف العلمي في اللغة العربية أول من يعاني صعوبتها فان هذه المعضلة لم تستوف حقها من البحث سواء كان من قبل علماء اللغة او من قبل الاختصاصيين في العلوم . وأخيراً نصارح المؤلف القول بالطابع المصري والحلي الذي طبع به كتابه وهو مؤلف عالمي انساني : فالكتاب يبدأ من قدماء المصريين على بعدهم عن الموضوع وينتهي ببحث مطول للاسلكي في مصر ولقضايا محلية عديدة قد تكون مفيدة في كراس خاص ولكنها لا تتجدد مكانها في قصص العلماء والمخترعين . انا نجل الرجال الذين اتى على ذكرهم والذين كان لهم في تاريخ الاسلكي والاذاعة في مصر شأن دعا المؤلف ، لاعتبارات يسهل فهمها ، الى التحدث عنهم ولكن لا مثال فاراداي وماكسويل شأناً ولهؤلاء شأن على تقديرنا لهم وانما يزين الكتب العلمية التجرد قبل كل شيء :

وعلى الاجمال فموضوع الكتاب قيم وفق المؤلف في اختياره وهو حري بالمطالعة وقد اصابته وزارة المعارف المصرية بمنحه جائزة المباريات الادبية لعام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ وانا للأجزاء التالية لمتظرون

جمال الفراء

تفصيل آيات القرآن الحكيم

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر سنة (١٣٤٢)
 يقع في (٧١٤) من بالقطع الكبير عدا مقدمته وفهارسه البالغة (٢٤) ص
 وهو كتاب وضعه باللغة الافرنسية الاستاذ جول لا بوم ، ونقله الى اللغة العربية
 الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقدم له في أوله الاستاذ محمد فريد وجدي ، وكنا
 نود لو ان مقدمة المؤلف اثبتت مع الكتاب ليطلع القارئ على غاية المؤلف من
 وضع هذا الكتاب ، وعلى منهجه في الترتيب ، ورأيه في الاسلام والقرآن .
 والكتاب يرتب آيات القرآن الكريم على موضوعات مقسومة الى (١٨) باباً ،
 ولكل عدة فروع يبلغ مجموعها (٣٥٠) فرعاً ، وكل فرع له عنوانات يأتي تحته
 جميع ما ورد في موضوع هذا العنوان من آيات التنزيل ، وقد تكرر الآية الواحدة
 في عدة عناوين لدلالاتها على عدة مواضع

والابواب الثمانية عشرة هي : التاريخ ، محمد صلى الله عليه وسلم ، التبليغ ، بنو اسرائيل
 التوراة ، النصارى ، ما وراء الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العادات ،
 الشريعة ، النظام الاجتماعي ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الاخلاق ، النجاح
 ومن استقرأ عدة مواضع في الكتاب وجدنا ثلاث ملاحظات ينبغي
 التنبيه عليها :

أولاً — لا توجد المطابقة في بعض الاحيان بين الآيات وما عنوان لها به ، من
 أمثلة ذلك ما ورد في ص (٥٠٩) (السبت) ذكر تحت هذا العنوان آيتين
 الأولى : انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ، وهذه الآية مطابقة لما
 عنوان له ، ولكن الانسان يحار في الآية التي بعدها اني علاقة لها في هذا
 الموضوع وهي : يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا
 الى ذكر الله وذروا البيع ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ، فاذا قضيت

الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً
لعلكم تفلحون

وكما في عنوان (مكة) ص ٥٠٩ فقد أورد تحت هذا العنوان عدة
آيات لا يدل عليها هذا العنوان وغاية ما فيها انه خطاب لقريش راجع
ص ٥١١ و ١٢ و ١٣

ثانياً — ان المؤلف لا يتتبع في بعض الأحيان كل ما ورد في الموضوع الذي عنون
له كما في عنوان السبت ص ٥٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آية واحدة تتعلق
بالسبت ، وآية أخرى تتعلق بالجمعة لا بالسبت مع وجود أربع آيات أخرى
تتعلق بالسبت وهي (١) واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون
في السبت اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم
(٢) ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت (٣) كما لعنا اصحاب السبت
(٤) وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ، وكن عنوان المساجد ص ٥٠٩ ذكر فيه
آيتين فقط مع وجود عدة آيات أخرى

ثالثاً — انه يضع عدة عناوين لآيات موضوعها واحد كما في ص (٦٧٨) عنوان
العهارة وفي ص (٦٨٤) عنوان الخلاعة ، ولكن الآيات الواردة تحت
عنوان الخلاعة ينطبق عليها عنوان العهارة لا عنوان الخلاعة فلو أضيف ما جاء
تحت عنوان الخلاعة الى ما جاء تحت عنوان العهارة لكان اجمع للبحث
واخصر للعناوين .

وهناك ملاحظات أخرى تعوز على الترجمة كما في عنوان (العفو) ص ٥٢٠
والصواب ان يكون العنوان (الترخيص) لأن الآيات الواردة فيه هي في الترخيص
والتيسير لا في العفو وقد عنون له في ص ٦٤٨ و ٦٥٣ ، ومثل ذلك عنوان (المبادهة)
ص ٧٠٩ ذكر تحت هذا العنوان آيتين بمعنى ولفظ واحد : قل يا قوم اعملوا علي
مكائلكم اني عامل ، ولا معنى للمبادهة هنا والصواب ان يكون العنوان هكذا

(المباراة) ففي المختار : فلان يباري فلاناً اي يعارضه ويفعل مثل فعله وهذا ما تدل عليه الآية .

وبعد فان فكرة تقسيم القرآن الى عدة موضوعات هي فكرة قديمة حاولها كثير من المتقدمين كابن جرير الطبري الذي قسم القرآن الكريم الى ثلاثة أقسام : التوحيد ، والأخبار ، الديانات ، وقسم علي بن عيسى القرآن ايضاً الى ثلاثين موضوعاً كما ان بعضهم افرد نوعاً خاصاً منها على حدة كآيات الاحكام ، والجهاد ، والقصص ، وآيات الصبر ، والمصيبة الخ ولكتنا لم نطلع على مؤلف جمع واستوعب جميع اصناف موضوعات القرآن ، لذلك فان هذا السفر الذي نكتب عنه هذه الكلمة هو الكتاب الوحيد في هذا الموضوع ، وقد سد فراغاً كبيراً لدى الباحثين ممن يتطلب موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم ، كما أحسن كل الاحسان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في اختياره ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، والعناية بنشره فعمت به فائدة الدارسين والباحثين

محمد احمد دهمان

دمش :

حياة دزرائيلي

في ٢٦٢ صفحة من القطع المتوسط

ألف هذا الكتاب الأديب الفرنسي الشهير أندره موروا ونقله الى العربية السيد حسن محمود وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر . وهو صورة جميلة للحياة السياسية في انكلترة خلال القرن التاسع عشر ، وتاريخ روائي لحياة هذا الرجل

العصامي واليهودي المنتصر الذي تمكن بذكائه ومطامعه وصبره وجدّه وإخلاصه
للملكة فكتوريا، من أن يصبح أكبر رجل دولة في بريطانيا العظمى ، مدة
غير قصيرة .

ولغة الترجمة حسنة اجمالاً . وما لاحظناه على المترجم (ص ١٢ و ٨٩) استعماله لفظة
الغذاء بالذال المعجمة بدلاً من الغذاء أي طعام اول النهار او طعام الظهر ،
واستعماله في تضاعيف الكتاب الكهولة بمعنى الهرم ، والكهل للطاعن في السن .
وقوله في الصفحة ٤٣ «عندما زار قصر الحمراء جلس على عرش بني مريج . وهم
بنو مراح . وقوله في الصفحة ٤٩ «والبلاد التي لها حق التمثيل اختيرت بطريقة
غير نظامية قط» ومن المعلوم ان لفظة (قط) ظرف زمان لاستغراق ما مضى وانها
تختص بالنفي . فلكي تصح الجملة وجب جعلها هكذا «والبلاد التي لها حق التمثيل
ما اختيرت قط بطريقة نظامية» . وقوله في الصفحة ١٨٦ «نحن المؤلفون باسيديتي»
والصحيح «نحن المؤلفين» . وقوله في الصفحة ٩١ «في معرض اثبات صحة نيابة
اعضاء المجلس» وهو تنابع خمس إضافات لأسماء ظاهرة . وقد ساغ في جانبه
قول الشاعر «حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي» .

ولئن كان ذكر هذه الملاحظات ضرورياً في مجلة مجمعا فما لا صرية فيه ان
الكتاب الذي نحن في صده بعد من غرر التراجم وان في تلاوته فائدة ولذة .

السحابي

آراء وانباء

نظائر « التكملة » للجواليقي

كتب الأستاذ « التنوخي » في مقدمته لرسالة « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة »
لأبي منصور الجواليقي^(١) أن لهذه الرسالة نظائر ذكر منها .

- ١ — ما تلحن فيه العامة للكسائي [١٨٩]^(٢)
- ٢ — لحن العامة للدينوري [٢٩٠]
- ٣ — لحن الخاصة للعسكري [٣٩٥]
- ٤ — اللحن الخفي لهاشم بن احمد الحلبي [٥٧٧]
- ٥ — لحن الفامة للسبتي [٧٣٣]

وقد اهتمت اثناء مطالعاتي الى كتب آخر تشاكل التكملة وتناظرها ، اردت
ذكرها للفائدة :

- ١ — كتاب « ما يلحن فيه العامة »
ألفه احمد بن حاتم ابو النصر الباهلي ، وكان راوية ثقة مأمونا مات
سنة [٢٣١]^(٣)
- ٢ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »
ألفه ابو عثمان بكر بن محمد المازني امام عصره في النحو والآداب وتليذ
ابي عبيدة والاصمعي مات سنة [٢٤٩]^(٤)
- ٣ — كتاب « ما تلحن فيه العامة »

(١) كتاب ذو شأن حققه الأستاذ التنوخي فعلق عليه وجعل له الهوامش والشروح واتبعه
بالفهارس والمصادر . وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي . (٢) ذكر الأستاذ التنوخي
ان وفاته كانت سنة (٢٨٩) وهو خطأ والصواب ما ذكرت . وفي النهرست أن وفاته كانت سنة ١٨٧
(٣) معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٨٤ (طبعة دار المآءون بصر) . (٤) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٢٢
والنهرست ص ٥٧

ألفه ابو الهيثام اللغوي كلاب بن حمزة العقيلي المحدث العالم بالشعر^(١)

٤ - كتاب «ما تلحن فيه العامة»

ألفه سهل بن محمد ابو حاتم السجستاني مات سنة ٢٥٥^(٢)

٥ - كتاب «الفاخر فيما يلحن فيه العامة»

ألفه المفضل بن سلمة اللغوي النحوي ، وكان منقطعاً الى الفتوح بن خاقان^(٣)

٦ - كتاب «ما تلحن فيه العامة»

ألفه ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠^(٤)

صالح الدين المنجد

عظماء العلماء والكتاب

لجعت الآداب العربية في العهد الأخير بيضة رجال من المصريين خدموا الآداب والعلم والاجتماع أجل خدمة وخلفوا آثاراً خطيرة استفاد منها أبناء الجيل الحاضر وستستفيد منها الاجيال القادمة . منهم الاستاذ فخري ابو السعود صاحب المقالات البديعة في مجلة الرسالة في المقابلة بين الاديين العربي والانكليزي . ومنهم الاستاذ محمود مصطفى صاحب كتاب اعجام الأعلام والادب العربي ومنهم العلامة محمد بك مسعود صاحب التآليف العلمية والادبية الكثيرة ، وآخرهم الاستاذ عبد القادر حمزة باشا صاحب المقالات الرائعة في السياسة والتاريخ ومنشئ جريدة البلاغ ، واليه انتهت مشيخة الصحافة المصرية ، وكان في مناقشاته السياسية آية في اعتداله وجميل مأناه ، ومن اعرق المنشئين في عرض افكاره بايجاز معجب واسلوب مقنع . اجزل الله ثوابهم وعوض الآداب عنهم خيراً

(١) معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢١ - وقد ضبط الاسم هكذا «ابو الهيثام» أما في
ال فهرست فقد ورد «ابو الهيثام» ص ٨٢ (٢) معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٣٣ .
والفهرست ص ٥٨ - (٣) الفهرست ص ٧٧ - (٤) الفهرست ص ٥٤

Bibliotheca Alexandrina



0652769